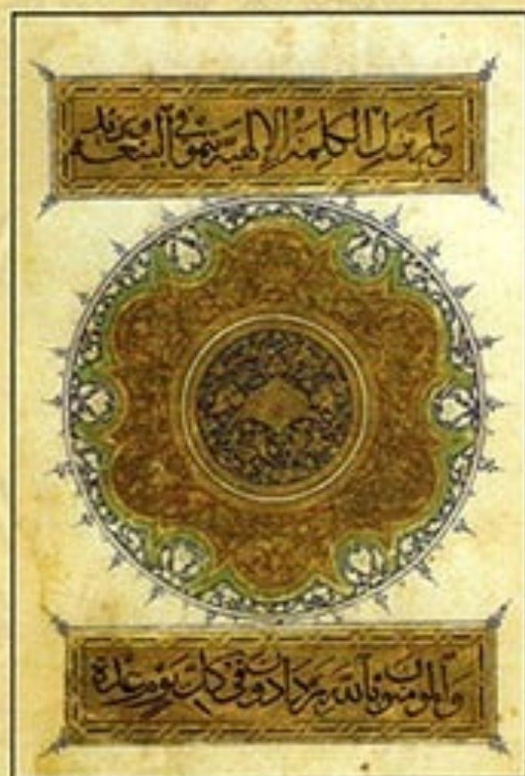


الْبِدَايَةُ فِي أُصُولِ الدِّينِ



تأليف

أبي عبد الله، أحمد بن محمود، الصّائوني، البخاري،

اعتنى به

محمد زاهد كامل جول

منشورات الجمل

أبي عبد الله، أحمد بن محمود، الصائوني، البخاري:
البداية في أصول الدين

الْبِدَايَةُ فِي أُصُولِ الدِّينِ

تأليف

أبي عبد الله، أحمد بن محمد، الصَّابُونِي، البُخَارِي،
المتوفى سنة ٥٨٠ هـ

اعتنى به

محمد زاهد كامل جُول

منشورات الجمل

أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، الصَّابُونِيُّ، الْبُخَارِيُّ، الْبِدَايَةُ فِي أَصُولِ الدِّينِ
اعْتَنَى بِهِ: مُحَمَّدٌ زَاهِدٌ كَامِلٌ جُول

الطبعة الأولى، جميع حقوق الطبع والنشر والاقتباس باللغة العربية محفوظة

لمنشورات الجمل، بغداد - بيروت، ٢٠١١

ص.ب: ٥٤٣٨ - ١١٣، بيروت - لبنان

تلفاكس: ٣٥٣٣٠٤ ٠١ (٠٠٩٦١)

© Al-Kamel Verlag 2011

Postfach 1127 . 71687 Freiberg a.N . Germany

WebSite: www.al-kamel.de

E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

الإهداء

أهدي هذا العمل المتواضع، إلى والديّ العزيزين، اللذين
كانا لي دائماً — بعد الله تعالى — نعم العون.
ومهما فعلت فلا إخالني أوفيهما بعض حقهما.

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا كتابٌ من تراثنا الكلامي بطابعه الفلسفي، مفيدٌ في موضوعه، من حيث النظر في عقائد التوحيد، من وجهة نظر الحنفية الماتريدية، ثريٌ بمادته، محكمٌ ببنائه، واضحٌ بأسلوبه.

يحتاج إليه المبتدئ؛ إذ يقدم إليه ما يريده بأيسر منهج ممكن، ويرغب به المتصلع، لما احتوى فيه من إثارة لكبرى قضايا الكلام، في إطارها الجدلي مع ما يلزم من التعمق والتدقيق.

وما زالت كتب علم الكلام، - ولاسيما ما كان طابعه فلسفياً منطقيًا في أدواته ومنهجه - تحتاج إلى الكثير من التحقيقات العلمية، والدراسات المتعمقة للعمل على استجلاء جوانبه المتشعبة، والكشف عن أصوله الفلسفية والمنطقية، وكيف عالجها المتكلمون الإسلاميون، ومقدار ما قدموه من جديد في مؤلفاتهم الكلامية، وذلك حتى يتمكن من توضيح بنية الفكر الإسلامي، ولاسيما بعد القرن الرابع الهجري، ولا يفوتنا القول: إن ارتباط العقائد الإسلامية بعلم الكلام، المؤسس على المنطق والفلسفة؛ أدى إلى ازدهار الحضارة الإسلامية، وكان سبباً حقيقياً وراء ديمومة الفكر الإسلامي.

ومن أجل ذلك، رأينا أن نقدّم اليوم للمكتبة الإسلامية تحقيقاً علمياً دقيقاً، لواحدة من مخطوطات علم الكلام الفلسفي، حتى نشارك من خلاله في العمل على سدّ النقص.

وفي الوقت نفسه نكون قد اجتزنا خطوة، في طريقنا إلى إخراج مخطوطات هذا العلم إلى حيّز الثور، ولهذا وقع اختيارنا على كتاب: «البداية في أصول الدين» للشيخ الصّابوني، و«الكفاية في الهداية» للشيخ الصّابوني كذلك، في ضمن سلسلتنا في تحقيق مشروع «تجديد النظر في التراث الفلسفي والكلامي».

والله أسأل أن ييسّر ما أسعى إلى إخراجه، من دراسات فلسفية وكلامية، وأن يجعل كلّ ذلك نافعا مفيداً، مساهماً في توعية المسلمين بعقائدهم وتراثهم، وحسم مادة التعصب والنزاع.

عملي في الكتاب

١ - اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسختين مخطوطتين:

النسخة الأولى (الأصل): وقد رمزت لها بـ (أ) نسخة مكتبة تشستريتي بإيرلندا، برقم: (٣٥٩٩)، وتبدأ من ورقة [١ ب] إلى ورقة [٤٩ ب]، ومسطرتها ١٥ سطراً بالصفحة، ومقياسها: ٣.١٥ × ٣.١١. وهي بخط نسخ معتاد واضح، يُقرأ بسهولة ويُسر. وبالصفحة الأولى العنوان بحبر أسود داكن، يتبعه اسم المؤلف، وفي نهاية النسخة: «تم بعون الأحد الصّمد، بيد العبد الضعيف: أحمد بن الحسين - أحسن الله إليه، وإلى المسلمين أجمعين - في سلخ صفر، ختم الله بالخير والظفر، سنة إحدى وسبعمائة».

وبما أنني اعتمدت هذه النسخة، كأصل لتحقيق النص؛ فقد بيّنت كلّ التصحيحات والإضافات في هامش النص.

وأَسباب اعتماد هذه النُّسخة :

أ. كونها أقدم من نسخة (ب).

ب. أنها كاملة، لا نقص فيها، بينما في نسخة (ب) سقط كثير، يكون أحياناً في صفحات متتالية، كما سيري القارئ الكريم بيان ذلك في موضعه.

ت. أنها مقابلة على نسخ أخرى، وعليها بلاغات التصحيح والمقابلة، ونسخة (ب) خالية من كل ذلك.

ث. قلة الأخطاء الواقعة فيها.

النُّسخة الثانية: - وقد رمزنا لها بـ (ب) - نسخة مكتبة أسعد أفندي، الملحقة بمكتبة السليمانية بإسطنبول - حماها الله من جميع الآفات -، ورقم المخطوط: (٤٣٢/٣)، أي إنها الثالثة من مجموع، وبدايتها: من ورقة [٢١٧] إلى ورقة [٢٣٨ ب]، ومسطرتها ٢١ سطرًا بالصفحة، ومقياسها: ١٦ × ٨.٢١ (٢.٩ × ١٧). وخطها نسخي جميل مُتَقَنّ، يُظْهَر أن صاحبها ناسخٌ ماهرٌ، والحبر أسود، إلا عناوين الفُصول فبالأحمر. وفي نهايتها: تَمَّ كتاب «البداية في أصول الكلام» للصَّابُونِيّ، - رَحِمَهُ اللهُ - على يد كاتبه، وهو العبد الخاطئ الرَّاجِي رحمة الله تعالى وعفوه: يحيى بن مُحَمَّد بن منصور المنفلوطي، في أواخر مُحرَّم الحرام، افتتاح سنة ست وعشرين وألف، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

كَمَلَ الْكِتَابُ تَكَامَلَتْ أَيْدِي السُّرُورِ لِصَاحِبِهِ
وَعَفَا إِلَهُ بِفَضْلِهِ عَمَّنْ قَرَاهُ وَكَاتَبَهُ

ولكن في النُّسخة نقص كلماتٍ وجملٍ وصفحات.

وقد بَيَّنْتُ جميع تلك الفُرُوق في الهامش أسفل الصَّفحة، ويجب التَّنبيه أَنَّهُ أهملت الإشارة إلى بعض التَّغْيِيرَات - غير الهامَّة -، المتعلِّقة برسم بعض الكلمات.

١ - لم أحافظ على الرُّسم المتَّبِع في المخطوطتين، وإنما اتَّبعت الطَّرِيقَةَ الإِمْلائيَّة المعاصرة.

٢ - وضعت النُّقاط، والفواصل، والأقواس، وما إلى ذلك حيث يجب أن تُوضع.

٣ - بيَّنتُ رقم ورقة المخطوط ضمن النُّص في بداية كلِّ ورقة؛ لكلِّ من النُّسختين فمثلاً: [١٠ / ١] بداية اللُّوحة العاشرة من النسخة (١)، أمَّا [ب/ ٢١٨] فتعني بداية اللوحة رقم (٢١٨) من النسخة (ب).

١ - قمتُ بكتابة مقدِّمة للكتاب، وترجمة لمؤلفه.

٢ - ترجمتُ للأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب.

٣ - عرِّفتُ بما أورده المؤلف من فِرَق.

٤ - عزوتُ الآيات القرآنيَّة إلى مواضعها من السُّور.

٥ - خرَّجتُ الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب.

٦ - أعددتُ فهرسَ شاملة تخدمُ الكتاب.

- وفي الخِتَام: أَرَى لزاماً أن أزجي الشُّكر الجزيل، وأُثني الثَّناء الجميل، على السَّيد الوالد الكريم، الذي - بتوفيق الله ثم بفضلِ رعايته وتنشئته - نلتُ شرف خدمة العلم الجليل، وأسعد بمعاناةٍ إخراجِ الثُّراث العربيِّ الإسلاميِّ لأهله وذويه وورثته.

ثم إنَّ الوالد - حفظه الله - خصَّ بالإنعام بعد أن عمَّ، وكما ابتدأ المعروف أنتم، فوفَّر لي صُور المخطوطات التي اعتمدتها، ولا يزال عونه يتواصل، وإحسانه يتوالى، حتى خرج الكتاب إلى الثُّور، وما ذاك إلاَّ نفحةً من نفحاته، وعزمةً من عزماته؛ فجزاه الله خير ما جزى والدًا عن بنيهِ، وتأيدت بالسَّعادة والطَّاعة أباهُ ولباليه.

كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ الفاضل أحمد محمود منصور - حفظه الله -،
على مساعدته في إخراج الكتاب بهذه الحلة.

وكتبه: محمد زاهد بن كامل جول

Zahidgol_gol@yahoo.com

mohdzahidgol@hotmail.com

ترجمة المؤلف^(١)

هو الإمام: أحمدُ بنُ محمود بن أبي بكر، الصَّابُونِي^(٢)، المُلَقَّبُ بـثَوْرِ الدِّينِ، المَكْنَى بأبي محمَّد، البُخَارِيّ.

من كبار علماء الكلام من الحنفيَّة الماتريديَّة، وقد وصفه الكثيرون بالإمامة. صاحب كتاب «البداية في أصول الدِّين»، و«الكفاية في الهداية»، و«المتقى من عصمة الأولياء». بينه وبين الشَّيْخ رَشِيدِ الدِّينِ مُنَاطَرَةٌ في مسألة المَعْدُوم ليس بِمَعْرُوفِيٍّ، وهي مُنَاطَرَةٌ طَوِيلَةٌ مُفِيدَةٌ، ذكرها الشَّيْخ حَافِظُ الدِّينِ النَّسَفِيُّ^(٣)

(١) ترجمته في «الجواهر المضيئة»: ٣٢٨/١ - ٣٢٩. «تاج التراجم»: ١٠٥. «كتائب أعلام الأخيار»، برقم: ٤٠٠. «المرقاة الوفية في طبقات الحنفية»، لوحة: ١١. «الأثمار الجنية في الأسماء الحنفية»، لعلي القاري: رقم: ٩٥. «الطبقات السنية»: برقم ٣٧٢. «كشف الظنون»: ١٤٩٩/٢، ٢٠٤٠. «الفوائد البهية»: ٤٢. «إيضاح المكنون»: ١٦٩/١، ٣٧١/٢. «طبقات الفقهاء»، لابن الحنائي: ٢٥٠. «هدية العارفين»: ٧٤/١.

(٢) نسبة إلى عمل الصابون أو بيعه. كما في «الأنساب».

(٣) هو: عبدالله بن أحمد بن محمود، حافظ الدين، أبو البركات، النَّسَفِيُّ. صاحبُ التَّصَانِيفِ المُفِيدَةِ في الفقه والأصول. تفقَّه على شمس الأئمة الكَرْزَوِيِّ. سمع منه الصُّغَرَانِيُّ. مات سنة إحدى وسبعمائة. وقيل: سنة عشر وسبعمائة.

انظر ترجمته في «الجواهر المضيئة»: ٢٩٤/٢ - ٢٩٥. «الدرر الكامنة»: ٣٥٢/٢. «تاج التراجم»: ١٧٤ - ١٧٥. «السلوك»، للمقرئ: ٣٤٨/٢. «طبقات الحنفية»، لابن الحنائي: ٢٦٥ - ٢٦٦. «مفتاح السعادة»: ١٨٨/٢ - ١٨٩. «كتائب أعلام الأخيار»: رقم: ٤٧٨. «المرقاة الوفية في طبقات الحنفية»، لوحة: ٣١. «الأثمار الجنية في الأسماء الحنفية»، لعلي القاري: رقم: ٢٩٠. «الطبقات السنية»: رقم: ١٠٣٧. «كشف الظنون»: ١١٩/١، ١/٢ =

في «الاعتماد»^(١) في فضل: المَعْدُوم ليس بِمَرْتَبِي.

وله مناظرات مع فخر الدين الرَّازِي، وينصُّ الرازي فيها أن الصَّابُونِي «تفقه في علم الكلام» على «تبصرة الأدلة»، لأبي معين النُّسَفِي^(٢)، وكان الصَّابُونِي يزعم - على حدِّ تعبير الرَّازِي - أنه «متكلِّم القوم وأصوليَّهم»^(٣).

وقال الرَّازِي: إنه ناظر الصَّابُونِي في مسائل؛ وهي: «مسألة الرؤية، ومسألة التَّكوين والمكوَّن، ومسألة البقاء»، وإن أخا للصَّابُونِي استضاف الرَّازِي وأصحابه في داره حيث جرت المناظرة في «مسألة البقاء».

أقول: إن الناظر المتفحِّص في مناظرات الفخر في بلاد ما وراء النهر، يلاحظ ما يلي: اسم الصَّابُونِي هو الاسم الوحيد الذي يتردَّد في مناظرات الرَّازِي مع علماء ما وراء النهر في مسائل علم الكلام، وإذا كانت معظم المناظرات الكلامية للرَّازِي قد جرت مع الصَّابُونِي، فلا شك أن ذلك يدلُّ دلالة واضحة على مكانة الصَّابُونِي في علم الكلام، وأنه من أشهر المتكلمين والعلماء في بلاده^(٤).

أمَّا الأوصاف التي يصفها الرَّازِي للصَّابُونِي ولغيره في هذه المناظرات،

= ١١٦٨، ١٢٧٤، ١٥١٥، ١٦٤٠، ١٦٧٥، ١٨٢٣، ١٨٤٩، ١٨٦٧، ١٩٢٢، ١٩٩٧، ٢٠٣٤. «الفوائد البهية»: ١٠١ - ١٠٢. «إيضاح المكنون»: ٩٨/١. «هدية العارفين»: ١/٤٦٤. «الأعلام»: ١٩٢/٤.

(١) هو كتاب «الاعتماد في شرح عمدة العقائد» مختصرٌ يحتوي على أهمِّ قواعد علم الكلام، كافية لتصفية العقائد الإيمانية في قلوب الأنام» اه كشف الظنون.

(٢) انظر «مناظرات الرازي في بلاد ما وراء النهر»: ٢٣ - ٢٤.

(٣) انظر «مناظرات الرازي في بلاد ما وراء النهر»: ١٤.

(٤) كانت كتب الرازي مثل: «المباحث المشرقية»، و«شرح الإشارات»، و«الملخص» تدرِّس في بلاد ما وراء النهر ويخارى خصوصًا قبل قدوم الرازي إليها، وقد أشار الرازي إلى هذا في المناظرات (انظر ص: ٢، ٧، ٩، ١٢، ٢٨). كلُّ هذا يؤكد على وجود النهضة الكلامية والفلسفية في تلك البلاد في تلك الفترة، السؤال الذي يطرح نفسه، أين أولئك الناس الذين درَّسوا ودرَّسوا تلك الكتب في مناظرات الفخر؟

فينجب على الباحث النظر إليها بعين الشك والرّيبة، والتّعامل معها بحذرٍ شديد؛ لأنّ الرّازي قد تناول معظم من ناظرهم من الفقهاء والمتكلّمين والفلاسفة بالتهكم والاستهزاء والسّخرية، كما أن المناظرات أظهرت وبشكلٍ واضح ميل الرّازي للاستعلاء والتّكبر وحبّ الظهور والغلبة.

يصف الرّازي الرّضيّ النّيسابوري^(١) في أحد مناظراته بقوله: «كان ثقیلَ الفهم، کلیلَ الخاطر، محتاجًا إلى الفکر الكثير في تحصيل الكلام القليل»^(٢).

وفي نهاية مناظرته للرّضيّ النّيسابوي، يقول: «وعند هذا تم الكلام، وانقطع الخصام، وانطلقت الألسن بالثناء والتّعظيم»^(٣)؛ أي: بالثناء والتّعظيم للرّازي.

ويصف قاضي غزنة - الذي لم يسمّه! - بقوله: «كان قاضي هذه البلدة رجلًا حسودًا، قليل العلم، كثير التّصنع»^(٤).

وينهي مناظرته معه، بقوله: «وظهر للحاضرين کمال قدرتي أخذ القاضي في تحريك شفّتيه، وما كان يمكنه أن يذكر كلامًا معلومًا، لأنّه كان قاصر النّطق، مقصّرًا في الفهم والإدراك»^(٥).

(١) هو: محمد بن محمد بن محمد، المُلقّب رَضِيّ الدّين، النّيسابوريّ، السّرخسيّ. فقيه حنفي، كان إمامًا كبيرًا جامعًا للعلوم العقلية والنقلية، مُصنّف «المحيط» من أعظم الموسوعات الفقهيّة عند الحنفيّة، وتروى فيه بعض المناقب.

انظر ترجمته في: الجواهر المضيئة: ٣/٣٥٧ - ٣٥٩. تاج التراجم: ٢٤٨ - ٢٤٩. المرقاة الوفية في طبقات الحنفيّة، لوحة: ٧٤. طبقات الحنفيّة، لابن الحنائي: ٢٤٦ - ٢٤٧. مفتاح السعادة: ٢/٢٧٢. كتائب أعلام الأخيار: رقم: ٣٦٢. الأئمار الجنية في طبقات الحنفيّة، رقم: ٥٨٣. الطبقات السنية: رقم: ٢٣٠٠. كشف الظنون: ٢/١٦٢٠، ٢٠٠٢. الفوائد البهيّة: ١٨٨ - ١٩١. إيضاح المكنون: ٢/٥١٤. هدية العارفين: ٩١٢. الأعلام: ٧/٢٤٩ وفيه أن وفاته كانت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة.

(٢) انظر «مناظرات الرازي في بلاد ما وراء النهر»: ٧.

(٣) انظر «مناظرات الرازي في بلاد ما وراء النهر»: ١٤.

(٤) انظر «مناظرات الرازي في بلاد ما وراء النهر»: ٢١.

(٥) انظر «مناظرات الرازي في بلاد ما وراء النهر»: ٢٢.

ويختم مناظرة أخرى مع الرّضي التّيسابوريّ، بقوله: «واختتمت المسألة، وانطلق ألسنة القوم بالمدح والثناء والتّعظيم، وكان الأكابر منهم يجيئون إليّ، ومن الله تعالى الفضل والكرم»^(١).

ويصف الفريد الغيلانيّ، بقول: «ولعمري لقد كان مستقيم الخاطر، حسن القريحة، إلّا أنّه كان قليل الحاصل، وكان بعيداً عن النّظر ورُسوم الجدل»^(٢). ولم يَسلم من لسان الرّازي في هذه المناظرات أصحابه من الأشاعرة، حيث سلّط الرّازي استهزاءه وسخريته لكلّ من الإمامين الغزاليّ والشّهريّ على سبيل المثال^(٣).

كلّ ما سبق يجعلنا لا نصدّق الصّفات التي بها يصفها الرّازي لنور الدّين الصّابونيّ؛ فالرّازي يصف الصّابونيّ بقوله: «الرّجل الغويّ»، «اضطرب وبقي مبهوتاً، ولم يجد البتّة إلى دَفْعِهِ سبيلاً، وانتهى في العيّ والسّكوت إلى أقصى الغايات»^(٤).

وفي مناظرة أخرى يقول: «فلما أوردتُ عليه هذا الكلام صَعُبَ على الرّجل فهمه وإدراكه، إلّا أنّي أعدت هذا الكلام بالرّقق والسهولة مراراً وأطوّراً، حتّى وقف عليه، ولما وقف عليه أخذ في الاضطراب والشّغب»^(٥).

ويحدّثنا الرّازي على لسان الصّابونيّ، قوله: «وأما الآن! فلما رأيْتُك، وسمعتُ كلامك، علمتُ أنّي إن أردتُ الوقوف على هذا العلم أحتاجُ أن أعود إلى الأولى، وأنعلّم هذا العلم كما يتعلّمه المبتدئ، إلّا أنّي في زمان الشّيخوخة، ولا قدرة لي عليه؛ فالتمس منك أن لا تَسعى في إظهار قصُوري

(١) انظر مناظرات الرّازي في بلاد ما وراء النهر: ٥٩.

(٢) انظر مناظرات الرّازي في بلاد ما وراء النهر: ٥٩.

(٣) انظر مناظرات الرّازي في بلاد ما وراء النهر: ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٧.

(٤) انظر مناظرات الرّازي في بلاد ما وراء النهر: ١٧.

(٥) انظر مناظرات الرّازي في بلاد ما وراء النهر: ٢٠.

وتقصيري في هذا العلم» (١).

هذه الصفات التي يصفها الرازي للصابوني وغيره من علماء بلاد ما وراء النهر، تعكس في الحقيقة شخصية الرازي، وتدُلُّ عليها أكثر مما تدُلُّ على شخصيات من ناظرهم، ولعلَّ هذه السخرية من الرازي بمناظره واستهزائه بهم، وتهكمه عليهم، ترجع إلى شخصية الرازي المتقلبة المتغيرة، والتي يصفها بشكل واضح جليُّ الرازي نفسه، حيث يقول عن نفسه [البسيط]:

أشكو إلى الله من خُلُقٍ يُغَيِّرُنِي ويمحقُ النور من عقلي ومن ديني
حرارة في مزاج القلب محكمة تَبْدُو فتَنَمُّو فتُغْوِينِي وتُرْدِينِي (٢)

وقد وصف الخوانساريُّ الرازيَّ بقوله: «إنه كان سيِّئَ الخُلُقِ، يشتم من يباحث معه ويؤدِّبه» (٣).

وفاته:

توفي الصابوني وقت صلاة المغرب، من ليلة الثلاثاء، سادس عشر من شهر صفر، سنة ثمانين وخمسمائة، ودُفِنَ بمقبرة القضاة السبعة.

من تلامذته:

تفقه عليه شمسُ الأئمة الكردي (٤).

(١) انظر «مناظرات الرازي في بلاد ما وراء النهر»: ٢٤.

(٢) نزعة الأرواح، للشهرزوري: ١٢٩٤.

(٣) روضات الجنات: ٧٠١.

(٤) وهو: محمد بن عبد الستار بن محمد، العمادي، الكردي، نسبة إلى الجد المنتسب إليه - الأبراقيني - من أهل بَرَاتَقِين؛ قصبة من قصبات كَرْدَر، من أعمال جرجانية خوارزم. كان أستاذ الأئمة على الإطلاق، والموفود إليه من الآفاق. قرأ على الشيخ المَرْغَنَانِي، والشيخ العَقِيلِي، والإمام العَتَائِي، والشيخ الصَّابُونِي، البخاريين، وعلى قَاضِي خَان، وعلى الفَارَيَانِي، وغيرهم. وسمع التفسير والحديث منهم. وأحصى علم أصول الفقه بعد أئدراسيه، من زمن القاضي أبي زيد اللُّهُوسِي، وشمس الأئمة السَّرَخْسِي. تفقه عليه خلق كثير؛ منهم: بدر الدين الكردي، المعروف بِخَوَاهَر زَادِه، وهو ابنُ أخته، وشيخُ الشُّيُوخ سَيِّف الدِّين البَاخَرَزِي. مات سنة =

نسبة الكتاب ومكانته وتسميته :

أما نسبة كتاب البداية إليه فثابتة؛ فقد ذكره كل من ترجم له، بالإضافة إلى كون الكتاب مشهوراً معتمداً، عند أهل المذهب الحنفي وغيرهم، فقد نقل عنه مثلاً: التفتازاني في مصنفاته، والبخاري في «كشف الأسرار»، والزركشي في «البحر المحيط» عند نقله كلام الأحناف، وعقب على قوله: «لكن هذا الكلام، قد فسرهُ أبو عبدالله أحمد بن محمود الصَّابُوني، وهو العُمدة عندهم»^(١).

أمَّا تسمية الكتاب فقد وقع فيه الكثير من اللَّغَط، فلا خلاف ولا شك في أنه كتاب «البداية» ولكنهم اختلفوا في جزئه الثاني؛ فالراجح لديّ تسميته بـ«البداية في أصول الدين»، وذلك لأن من ترجم للمؤلف ذكره على هذا النحو، وعلى هذه التسمية كل من القرشي في «الجواهر المضية»، وقطلوبغا في «تاج التَّراجم»، والفيرزآبادي في «المِرْقاة الوُفِيَّة في طبقات الحنفيَّة»، وعليّ القاري في «الأثمار الجنيَّة»، والتَّميمي في «الطُّبقات السُّنِّيَّة»، والحِثَّاني في «طبقات الحنفيَّة».

وممَّا يؤكِّد رأيي أن المؤلف ألف كتابه: «الكفاية في الهداية»، وهو كتابٌ جامعٌ مانعٌ لأغلب الأبواب والمسائل، مع استطرادٍ في معالجة المسائل والقضايا، ثم اختصر منه ما هو المعتمد عليه في مسائل أصول الدين، حيث

= اثنتين وأربعين وستمئة.

انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء»: ١١٢/٢٣ - ١١٤. «الوافي بالوفيات»: ٢٥٤/٣. «الجواهر المضية»: ٢٢٨/٣ - ٢٣٠. «تاج التراجم»: ٢٦٧ - ٢٦٨. «المِرْقاة الوُفِيَّة في طبقات الحنفيَّة»، للفيرزآبادي، لوحة: ٦٧. «المسجد المسبوك»: ٥٣٣. «النجوم الزاهرة»: ٣٥١/٦. «الأثمار الجنية في الأسماء الحنفيَّة»، لعليّ القاري: رقم: ٥٤١. «طبقات الحنفيَّة»، لابن الحثاني: ٢٥٢ - ٢٥٤. «كتاب أعلام الأخيار»: رقم: ٤١٨. «الطُّبقات السُّنِّيَّة»: رقم: ٢٠٩٥. «شُرات الذهب»: ٣١٦/٥. «الفوائد البهيَّة»: ١٧٦ - ١٧٧. «هدية العارفين»: ١٢٢/٢.

(١) «البحر المحيط»: ١٤٢/١ طبعة الكويت.

أن المؤلف لم يستطرد في هذا الكتاب في المباحث الجدلية كما صنع في «الكفاية»^(١). وهذا ما دفعني بتسمية الكتاب بـ «البداية في أصول الدين».

أما الأقوال الأخرى في تسمية الكتاب فهي كما يلي:

١. «الأصول» كما يظهر في ظهر النسخة المخطوطة لنسخة (أ)، ويظهر في ذلك إهمال الناسخ للتسمية الأصلية للكتاب.

٢. «البداية من الكلام» كما هو في ظهر نسخة أسعد أفندي، والتي رمزنا لها بـ (ب)، ويظهر أنه تصرف من الناسخ.

٣. «البداية من الكفاية» كما ذهب إلى ذلك بروكلمان، وتابعه في ذلك الزركلي في «الأعلام»، وهذه التسمية وصف للكتاب بأنه مختصر من كتاب المؤلف «الكفاية».

٤. «البداية» ذكر حاجي خليفة أن للصابوني «الهداية في علم الكلام»، وأنه اختصره في كتاب سماه: «البداية»، وكرر الكلام نفسه عمر رضا كحالة، وهي تسمية ناقصة.

٥. «البداية مختصر الهداية» في الأصول. كما ذهب إلى ذلك البغدادي في «إيضاح المكنون». وذكر أيضًا أن كتاب «الكفاية» شرح لـ «الهداية»، وهذا وهم واضح.

(١) انظر مقدمة المؤلف لهذا الكتاب ص ٢٧.

صَوَرُ الْمَخْطُوطَاتِ

أَكْرَمَنَا اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَقِّ مَعَ الْعَالَمِينَ
وَأَعَادَ لَنَا مِنْ عَذَابِ الْحَرِّ وَنَشَأَ
وَالَّذِي نَسْأَلُكَ اللَّهُ بِالصَّلَاةِ الْمُسْتَقِيمَةِ أَنْ تَكُونَ
رَوْفًا رَحِيمًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا
لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَمَّا كُنَّا فِي
الضَّلَالَةِ الْكَبِيرَةِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا
لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ
لَمَّا كُنَّا فِي الضَّلَالَةِ الْكَبِيرَةِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ
هَدَانَا اللَّهُ لَمَّا كُنَّا فِي الضَّلَالَةِ الْكَبِيرَةِ

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَلِّهِ أَجْمَلُ
مَنْ كَتَبَ إِلَيْهِ الْكَرْبَى بَيْنَ الشَّرِّ وَالْإِسْرَافِ
عَلَيْكُمْ أَلَيْسَ سَمْعٌ مِنْ أَلِّهِ لِحَسْبِهِ أَكُلُ
لَوْ رَهْ لَمْ يَسْرَ بَدَا حُدُودَ اللَّهِ وَطُورَ رَسُولِهِ

الصفحة الأخيرة من نسخة تشستريتي الأصل (أ)

15

5c.

14

الصفحة الأولى من نسخة أسعد أفندي (ب)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(عونك يا لطيف)^(١)

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة على رسوله محمد خير الأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام (وسلم تسليماً كثيراً)^(٢).

(قال الشيخ، الإمام، الزاهد، البارع، نور الدين، شيخ المسلمين والإسلام، أبو عبدالله، أحمد بن محمود، الصَّابُونِي، البُخَارِي، - رَحِمَهُمُ اللَّهُ -: ^(٣)).

وبعد؛ لَمَّا تيسَّر (لي^(٤)) الفراغُ (- بحمد الله تعالى ومُنَّه^(٥)) من كتاب «الكفاية في الهداية»، والتمس مُني بعض الأصحاب، أن أَلْخَصَ منه ما هو العمدة في الباب؛ ليكون أَوْجَزُ في اللَّفْظِ، وأَسْهَلُ في (الحفظ^(٦))؛ فاستخرت الله تعالى في ذلك، واستعنته عليه، واستعصمته عن الزَّلَلِ (والخلل^(٧)) في القول والعمل، وهو حُسْبُنَا ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

(١) سقطت من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) في (ب): للحفظ.

(٧) زيادة من (ب).

الْقَوْلُ فِي مَدَارِكِ الْعِلْمِ

العلم الحادث نوعان: ضروريٌ واكتسابيٌ.

والضروري: ما يحدثه الله تعالى في العالم من غير كسبه واختياره؛ كالعلم (بوجود نفسه^(١))، وتغيُّر أحواله بحيث لا يتشكك فيه، ويشترك في هذا النوع (من العلوم^(٢)) جميع الحيوانات.

و(أما^(٣)) الاكتسابي: (فهو^(٤)) ما يحدثه الله تعالى (فيه^(٥)) بواسطة كسبه^(٦)) واختياره، (وهي^(٧)) مباشرة أسبابه.

وأساببه ثلاثة: الحواس السليمة، والخبر الصادق، ونظر العقل.

أما الحواس (السليمة^(٨)) فهي خمس: السَّمْع، والبصر، والشم، والذُّوق، واللمس، ويعلم بكل حاسة ما يختص (به^(٩)) إذا استعملت فيه.

(١) في (ب): بوجوده.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) سقطت من (ب).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) في (ب): العبد.

(٦) في (ب): كسب العبد.

(٧) في (ب): وهو.

(٨) سقطت من (ب).

(٩) في (ب): بها.

وأما الخبرُ الصادقُ نوعان :

أحدهما: الخبر المتواتر، وهو ما (سمع^(١)) من أشخاصٍ مختلفة، في أحوالٍ مختلفة، بحيث لا يتوهم أنهم توافقوا على الكذب، وهو سببٌ للعلم الضروري؛ كالعلم بالملوك الماضية والبلدان القاصية.

والثاني: الخبر المؤيد بالمعجزة من الأنبياء عليهم السلام، وهو سببٌ للعلم القطعي^(٢)، لكن بواسطة الاستدلال.

وأما نظرُ العقل، فهو: سببٌ للعلم أيضًا، والحاصل منه نوعان:

ضروريٌ ويسمى (بديهياً^(٣)) وهو ما يحصل بأول النظر من غير تفكير؛ كالعلم (بأن^(٤)) كل شيء أعظم من جزئه.

(والثاني^(٥)): استدلالِي، وهو: ما يحتاج فيه إلى نوع تفكير؛ كالعلم بوجود النار عند رؤية الدخان، وحصول العلم بهذه الأسباب مشاهد لمن أنصف و^(٦) لم يعاند.

وأنكر ذلك كله طائفةٌ يقال لهم: السُّوفسطائية^(٧)؛ (فأنكر^(٨)) بعضهم حقائق

(١) في (ب): يسمع.

(٢) في (ب) زيادة: و. وسوف لا ننبه في ما يلي إلى مثل هذه البيانات التسخية.

(٣) في (ب): بديهية.

(٤) في (ب): أن. وسوف لا ننبه في ما يلي إلى مثل هذه البيانات التسخية.

(٥) سقطت من (ب).

(٦) في (ب): أو.

(٧) السُّفسطة مشتقة من سوفاء إسطا. ومعناه: علم الغلط، والحكمة الممومة؛ لأن «سوفاء» اسم

للعلم، و«إسطا» للغلط. «شرح المقاصد»: ٣٠ / ١. «شرح العقائد النسفية»: ٢٥.

وقد قسم ابن حزم في «الفصل» السُّفسطائية، إلى أقسام ثلاثة: قسم منهم نفى الحقائق جملةً،

وقسم شكوا فيها فقط، وقسم يقولون بنسبيتها، وذلك باختلاف الحواس في المحسوسات، كمن

يرى الشيء صغيراً عن بعد، وكبيراً عن قرب.

وانظر مقالات السُّوفسطائية في: «مقالات الإسلاميين»: ٤٣٣ - ٤٣٤. «البدء والتاريخ»: ٥ / ٥.

«الفرق بين الفرق»: ٣٥٤. «أصول الدين»، للبغدادى: ٣١٩. «الفصل في الملل والنحل»: ١ / ١.

٣٦ - ٤٣. «التبصير»: ٨٩. «المنية والأمل»: ٦١ - ٦٢.

(٨) في (ب): وأنكر. ولن أنه لاحقاً إلى مثل هذه الفروق.

الأشياء، وأنكر بعضهم العلم بحقائق الأشياء، ولا مناظرة مع هؤلاء إلا بالضرب المؤلم، والإحراق بالنار؛ ليضطروا إلى الإقرار.

وأنكرت السُمنية^(١) والبراهمة^(٢) كون الخبر [٣/١] من أسباب العلم، وهو قريب من إنكار الشوقسطائية؛ فإنهم ينكرون العلم الضروري بواسطة الخبر المتواتر.

قلنا: (لو^(٣)) لم يكن الخبر (المتواتر^(٤)) من أسباب العلم، كيف (يعرف^(٥))

(١) قال في «المصباح المنير»: بضم السين وفتح الميم - مخففة -، قوم بالهند تعبد الأصنام، وتقول بالتناسخ، وتنكر حصول العلم بالأخبار. قيل: نسبة إلى سومنات، بلدة من الهند - على غير قياس -.

وفي تاج العروس، مادة سمن: «قوم بالهند، من عبدة الأصنام، دهريون، قائلون بالتناسخ، وينكرون وقوع العلم بالأخبار».

وانظر لمناقشة آرائهم «شرح الكوكب ٢/٣٢٦»، حيث اتصف نقاشه لأراء هذه الفرقة - من عبدة الأصنام - بالموضوعية، والبعد عن التشنيع والتسخيف، وفيه إحالة على ما لا يقل عن ستة عشر مصدراً منها «المستصفى» للغزالي ١/١٣٢ طبعة بولاق. و«الإحكام»، للباجي ٣٢٠، وهذه خطة رشد وإنصاف، نتمنى أن تسود نقاشات المسلمين - عامة -، ونقاشاتهم فيما بينهم - خاصة -.

(٢) قال الشهرستاني في «الملل والنحل» ٢/٢٥٨: «إن الهند أمة كبيرة، وملة عظيمة، وآراؤهم مختلفة، فمنهم: "البراهمة" وهم المنكرون للنبوات أصلاً، ومنهم من يميل إلى الدهر. من الناس من يظن أنهم سموا براهمة؛ لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام وذلك خطأ؛ فإن هؤلاء القوم هم المخصوصون، بنفي النبوات أصلاً ورأساً، فكيف يقولون بإبراهيم عليه السلام؟. . . هؤلاء البراهمة إنما انتسبوا إلى رجل منهم يقال له: "براهم" وقد مهد لهم نفي النبوات أصلاً، وقرر استحالة ذلك في العقول بوجوه. . .».

انظر عن البراهمة ومقالاتها في: «البلد والتاريخ»: ٩/٤ - ١٩. «تمهيد الأوائل»: ١٢٦ - ١٥٦. «الفهرست»، لابن النديم: ٤٤٥ - ٤٤٧. «الفرق بين الفرق»: ٣٥٥. «أصول الدين»، للبغدادي: ٣٢٣ - ٣٢٤. «التبصير»: ٨٩. «الإرشاد»: ٢٦٣ - ٣٠٢ - ٣٠٣. «الملل والنحل»، للشهرستاني: ٩٥/٢ - ٩٦. «غاية المرام»: ٣١٨. «المنية والأمل»: ٨٠ - ٨١.

وانظر المزيد من آرائهم ومناقشاتهما في كل من: «ابن حزم، المسعودي، البيروني، التهانوي» دائرة المعارف الإسلامية ط. ٢ - (٢) E.I (مقال الدكتور رحمن f.rahman المتخصص في الشمال الشرقي من الهند، والمتعمق في دراسة فلسفة الهند).

(٣) في (ب): فلو. وسوف لا ننبه في ما يلي إلى مثل هذه البيانات النسخية.

(٤) سقطت من (ب).

(٥) في (ب): يعلم.

الإنسان والده وأخاه وعمه وسائر أقربائه؛ إذ لا طريق (لمعرفة^(١)) لهؤلاء، إلا بالخبر.

وأنكرت الملاحدة^(٢)، والرافضة^(٣)، والمشبّهة^(٤)، كون العقل من أسباب

(١) في (ب): معرفة. وسأتجاهل بيان مثل تلك الفروق.

(٢) دأب النظار والدعاة الإسلاميون على رمي مخالفيهم من المسلمين وغيرهم بالإلحاد، وما أكثر ما تبذل هذا بين الغلاة من الشيعة والسنة، والحق ألا ينز بهذا اللقب إلا منكري الصانع أو الثبوت أو البعث، أو مبطلي الشرائع من غلاة الباطنية، ومن أشهر هؤلاء في التاريخ ما عُرف باسم (ملاحدة آل موت)، وهي فرقة تعرف في كتب المذاهب والأديان - تارةً: بالملاحدة، وأخرى بالباطنية، وثالثة بالإباحية، ورابعة بالدعوتية، وخامسة بالإسماعيلية، وسادسة بالزندقة، وسابعة بالصباحية، ولهم كسائر الباطنية - في كل آية من الكتاب تفسير، ولكل خبر تأويل، متبعين في ذلك كلام الفلاسفة، فقالوا في حقه سبحانه: هو ليس بموجود ولا لا موجود، لا قادر ولا عاجز، لا حادث ولا قديم، لا حي ولا لا حي، لا مريد ولا كاره، لا بصير ولا لا بصير، لا سميع ولا لا سميع. وقالوا بارتفاع التكليف عن الخلق: فلا صلاة ولا صيام، ولا حج ولا غيرها من العبادات، والتزموا بنفي الحرمة عن المحرمات الإلهية.

(٣) وهم الذين رفضوا إمامة أبي بكر وعمر، كما قال الأشعري، أو الذين رفضوا زيد بن علي، عندما خرج على هشام بن عبد الملك، سأله عن رأيه في أبي بكر وعمر، فترحم عليهما، فتركوه، فقال لهم: رفضتموني! فسؤوا رافضة، لرفضهم إياه.

انظر: «مقالات الأشعري»: ١٦ - ٦٥. «البدء والتاريخ»: ١٢٤/٥ - ١٣٤. «التنبيه والرد»: ١٨ - ٣٥، ١٥٦ - ١٦٥. «الفرق بين الفرق»: ٢٩ - ٧٢. «الفصل»: ١٤٩/٤ - ١٧٩. «أصول الدين»، للبزدوي: ٢٤٦ - ٢٤٨. «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»، للرازي: ص ٥٢ - ٦١. «منهاج السنة»: ٣٥/١، ٩٦/٢، ٩٧/٣، ٤٧٠/٣ - (٤٧١). «شرح المواقف»: ٢٨٦/٣ - ٢٩١. «المنية والأمل»: ١٠٠ - ١٠٣.

(٤) يراد بالمشبّهة والحشوية والمجسّمة من يقولون في التوحيد بالنسب، ويستندون في الأصول والفروع إلى الروايات والآثار دون رعاية شرائط الحجية. والمشبّهة يجرون الصفات على ظاهرها، دون تمييز بين صفات الخالق وصفات المخلوق، وهم صنفان: صنف: شبهوا ذات الباري بذات غيره، وآخرون: شبهوا صفاته بصفات غيره، وكل صنف من هذين الصنفين مفترقون على أصناف شتى.

انظر المزيد عن المشبّهة: «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»، للرازي: ٩٧ - ١٠٠. «التبصير في الدين»، للأسفراييني: ١٠٥ - ١٧٠. «الانتصار والرد على ابن الراوندي الملاحدة»، للخيّاط المعتزلي، في غالب صفحاته. «دائرة المعارف»، لفريد وجدي: ٣٦٣/٥. «الفرق بين الفرق»: ٢٢٥. «معجم الفرق الإسلامية»، لشريف يحيى الأمين: ٢٢٥. «المنية والأمل في شرح الملل والنحل»، لأحمد بن يحيى بن المرتضى اليماني: ١٩. «تبصرة العوام»: *

العلم^(١)، و^(٢) قالوا: لا؛ لأن قضايا العقل متناقضة لاختلاف العقلاء فيما بينهم.

قلنا: (وبماذا^(٣)) علمتم أن قضايا العقل متناقضة؟
إن قلتم: بالعقل فقد (ناقضتم^(٤)) حيث قلتم: علمنا بالعقل أن لا يعلم
بالعقل شيء.

وإن قلتم بالخبر؛ قلنا: فبم علمتم أنه صدق أو كذب؟.

و^(٥) إن قلتم: بالحس، فقد عانديتم.

ثم نقول: لا تتناقض قضايا العقل، وإنما اختلف العقلاء فيما بينهم، إما
لقصور عقولهم عن بلوغ درجة النظر، أو لتقصيرهم في شرائط النظر؛ فيحكم
بعضهم بالهوى والظن، ويدعي أنه يحكم بالعقل؛ كجماعة سئلوا: كم ثلاثة
في ثلاثة؟ لا يختلفون في جوابه: (إنها^(٦)) تسعة.

ولو سئلوا: كم ثلاثة عشر في ثلاثة عشر؟ يختلف جوابهم [ب/٢١٨]
في ذلك لما قلنا؛ لا لاختلاف قضية العقل في (هذا^(٧)) العدد، واعتبر هذا

= ٧٥ - ٨٥. «أحسن التقاسيم»: ١٢٦. «كشاف اصطلاحات الفنون»: ٨٠٥. «موسوعة الفرق
الإسلامية»: ٤٧٠ - ٤٧١ وغيرها.

وانظر عن المجسمة ما يلي: «مقالات الإسلاميين»: ٢٥٧/١. «الفرق بين الفرق»: ١٣٨ -
١٤٠. «تلخيص المحصل»، للخواجه نصير الدين الطوسي: ٢٥٨، ٢٦٣. «معجم الفرق
الإسلامية»، لشريف يحيى الأمين: ٢١٣. «كشاف اصطلاحات الفنون»، للتهانوي: ١/٢٦١.
«تبصرة العوام»: ٧٥ - ٨٦. «الفرق المفترقة»: ٧٦. «موسوعة الفرق الإسلامية»: ٤٤٩ - ٤٥٠،
وغیرها.

(١) في (ب): أمهات المعارف.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) في (ب): ويم.

(٤) في (ب): أفضتم.

(٥) في أ: ف. وهما قريب لن ننبه إلى مثل هذه الفروق.

(٦) في (ب): إنه. ولاحقاً لن أنه إلى مثل هذه الفروق.

(٧) في (ب): ذلك.

بنظر العين؛ فإن القمر ليلة البدر لا يختلف فيه النظار؛ (وأما^(١)) الهلال في أول الشهر فربما يقع فيه الاختلاف إما لقصور النظر أو لتقصير الناظر، فكلما هذا.

ثم العقول متفاوتة بأصل الفطرة عندنا^(٢) خلافاً للمعتزلة^(٣)، فلا وجه لإنكاره؛ فكم من صبي صغير يستخرج بعقله من غير سابقة تجربة ولا تعليم، ما يعجز عنه البالغ الكبير، وقد صرح صاحب الشرع بنقصان عقل النساء،

(١) في (ب): فأما. ولن أنه لاحقاً إلى مثل هذه الفروق.

(٢) قال الشيخ الإمام محمد عبده في كتابه «التوحيد» ص ٨٥: «مما شهدت به البديهة أن درجات العقول متفاوتة، يعلو بعضها بعضاً، وأن الأدنى منها لا يدرك ما عليه الأعلى إلا على وجه من الإجمال، وأن ذلك ليس لتفاوت المراتب في التعليم فقط؛ بل لا بدُّ معه من التفاوت في الفطر التي لا مدخل فيها لاختيار الإنسان وكسبه، ولا شبهة في أن من النظريات عند بعض العقلاء ما هو بديهي عند من هو أرقى منه، ولا تزال المراتب ترتقي في ذلك إلى ما لا يحصره العدد، وإن من أرباب الهمم وكبار النفوس ما يرى البعيد عن صغارها قريباً فيسعى إليه، ثم يدركه، والناس دونه ينكرون بدايته، ويعجبون لنهايته، ثم يألفون ما صار إليه، كأنه من المعروف الذي لا يتنازع، والظاهر الذي لا يجاحد؛ فإذا أنكر منكر ثاروا عليه ثورتهم في بادئ الأمر على من دعاهم إليه، ولا يزال هذا الصنف من الناس على قلته ظاهراً في كل أمة إلى اليوم».

وانظر مناقشة السيراني لمتى في «الإمتاع والمؤانسة» (١١٣/١) فإنها فريدة في بابها.

(٣) قال الشهرستاني: «المعتزلة يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، وذلك لإسنادهم الأفعال لقدرهم، وإنكارهم القدر فيها موافقة لرأي معبد الجهنني وغيلان الدمشقي». وقال ابن الأثير: سموا قدرية لأنهم أثبتوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى. «ونفوا أن تكون الأشياء بقدر الله وقضائه».

قال أبو الحسين الملطي المتوفى سنة ٣٧٧هـ في «رد الأهواء والبدع» - وهو أقدم مصدر مبين وجه تلقيهم بالمعتزلة -: «وهم سموا أنفسهم معتزلة، وذلك عندما بايع الحسن بن عليٍّ معاوية، وسلم إليه الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس - وكانوا من أصحاب عليٍّ - ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا: نشغل بالعلم والعبادة، فسموا بذلك معتزلة، وذكر المسعودي أن تسميتهم معتزلة لقولهم باعتزال الفاسق عن منزلتي المؤمن والكافر».

وراجع: «الرد على البدع والأهواء»: ٨٨ - ٨٩. «مقالات الإسلاميين»: ١٥٥ - ٢٧٨. «تمهيد الأوائل»: ٢٨٤ - ٢٩٤. «مروج الذهب»: ٢٣٤/٣ - ٢٣٥، ١٠٤/٤. «البلد والتاريخ»: ٥/ ١٤٢ - ١٤٤. «التنبيه والرد»: ٣٥ - ٤١. «الفرق بين الفرق»: ١١٤ - ٢٠١. «الفصل»: ٥٧/ ٧٢. «التبصير»: ٤٠ - ٥٨. «الملل والنحل»، للشهرستاني: ٤٣/ ١ - ٨٥. «المواقف»: ٤١٥ - ٤١٨. شرح «المواقف»: ٢٨٢/ ٣ - ٢٨٦. «المعتزلة»، لزهدي جاز الله.

حيث قال: «إِنَّهُمْ نَاقِصَاتُ الْعَقْلِ وَالْذِّينِ»^(١)، وكذا أقام الشَّرع شهادة امرأتين مقام شهادة رجل واحد؛ لتقصان آلة (ضبطهن)^(٢)، وهو العقل، ولكن مع هذا قدر ما يطلق عليه اسم العقل يكفي لمعرفة الصانع جلّ وعلا؛ فلا يعذر في الجهل بخالفه^(٣)، والله الموفق.

(١) أخرجه «البخاري» في كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم (٣٠٤)، وفي كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب (١٣٦٩). و«مسلم» في كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات (٨٠).

وفهم هذا الحديث ليس بهذا الإطلاق الذي يتبادر إلى ذهن القارئ، وفهم هذا الحديث وتفصيله مكان غير هذا، ولكن يجدر بنا هذا الموضوع أن نستمع إلى كلمات الإمام محمد عبده حيث يقول: «إن حقوق الرّجل والمرأة متبادلة، وإنهما أكفاء.. وهما متماثلان في الحقوق والأعمال، كما أنهما متماثلان في الذات والإحساس والشعور والعقل، أي أن كلّاً منهما بشَرٌ تام له عقل يشكر في مصالحه، وقلب يحب ما يلائمه ويُسّرُّ به، ويكره ما لا يلائمه وينفر منه..» «الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده»: ٦٠٦/٤.

(٢) في (ب): الضبط.

(٣) في (ب): فلا يعذر كل عاقل بالجهل بخالفه.

الْقَوْلُ فِي حَدُوثِ الْعَالَمِ، وَوُجُودِ الصَّانِعِ تَعَالَى

العالم: اسم لما سوى الله تعالى؛ لأنه علم على وجود الصانع.
وهو قسمان: أعيان، وأعراض.

فالأعيان: ما تقوم بنفسها، ويصح وجودها لا في محل.

والأعراض: ما تقوم بغيرها، ولا يعقل خلوها عن المحل.

ثم الأعيان قسمان: مفرد، ويسمى [أ / ٤] جوهرًا، (وهو الجزء الذي لا يتجزأ)^(١)(٢)،

(١) سقطت من (ب).

(٢) كان لنظرية الجوهر المفرد، أو الجزء الذي لا يتجزأ، التي وضعها (لوسيب) و(ديموقريط) في القرن الخامس قبل الميلاد دوي هائل، فقد فتن بها الفلاسفة، لأنها تحل مشكلة عويصة من مشاكل البحث عن أصل المخلوقات الذي نشأت منه.

وكان لها عند متكلمي الإسلام شأن كبير، فذهب إلى القول به عظماء المعتزلة، وسواهم من أهل السنة، كما مال كثير من الشيعة وقالوا بها، منهم الشيخ المفيد في «أوائل المقالات»: ١١٩.

والفلاسفة القدماء الذين ذهبوا إلى فكرة الجوهر المفرد، قرروا أن المادة مؤلفة من جواهر غاية في الصغر، متمتعة بحركة ذاتية فيها، وأنها أزلية أبدية، وأنه لم ينقص عددها، ولن ينقص، ولم تزد، ولن تزيد من الأزل إلى الأبد، فهي من هذه الناحية باقية خالدة، أما التغير والتحول ففي انقسام الأجزاء بعضها إلى بعض وانفصالها، وهم يعنون أنها قديمة غير محدثة، وتبعهم كثيرون من فلاسفة الإسلام، وربما نجدهم ينزهون من الجوهر المفرد جميع خصائص المادة، فهو عند جماعة ليس له أبعاد ولا حركة ولا سكون، وأنه بالرغم من كل هذا فقد اتخذ المتكلمون الإسلاميون من هذه النظرية أساساً لرأيهم في خلق العالم، وقالوا: إن الله خلق أولاً أجزاء لا =

= تنجزاً منفردة، ولعلمهم يعتمدون للملك على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَكَانَ صَلَوًا﴾ [فصلت: ١١] بتفسير الدخان بمرات المادة التي لا تنجزاً، وترى كأنها الدخان، ثم ألف الأشياء منها، فهم قد أدخلوا أصل هذه الفكرة عن اليونان، وخالفوهم في قدمها وأزليتها.

وقد ولع متكلمو الإسلام بهذه الفكرة حتى كانوا يرمون من خالفهم بها بالخروج على أصل من أصول الإسلام. أما البعض فقد خالف الجمهور في نظرية الجوهر الفرد، ونهب إلى إبطاله، وقال بأن كل جزء يفرض فهو قابل للانقسام إلى غير نهاية، يقول الأشعري: «وهم في الجزء فرقتان:

الأولى: يزعمون أن الجزء يتجزأ أبداً، ولا جزء إلا وله جزء، وليس للملك آخر إلا من جهة المساحة، وأن لمساحة الجسم آخر، وليس لأجزائه آخر من باب التجزيء، والقاتل بهذا القول هشام بن الحكم وغيره من الروافض.

الثانية: يقولون إن لأجزاء الجسم غاية من باب التجزؤ، وله أجزاء معدودة لها كل وجميع، ولو رفع الباري كل اجتماع في الجسم لبقيت أجزاؤه لا اجتماع فيها، ولا يحتمل كل جزء منها التجزؤ».

ونظرية انقسام الجزء إلى غير نهاية أول من وضعها (أنكسا غوراس) المولود حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، فإنه أنكر على طائفة اللزبين ما زعموه من إمكان تقسيم المادة إلى ذرات لا تقبل التقسيم، وأكد أن المادة تنجزاً أبداً إلى ما لا نهاية، وربما نسبت هذه النظرية إلى الرواقيين أيضاً.

وقد اختلفت الحكاية عن النظام في هذا الموضوع، ونسب إليه مرة القول بالانقسام بالفعل كما نسب إليه القول بالقسمة بالقوة. ومن جهة ثانية أنه كان يقول بالطفرة خروجاً من مأزق استحالة قطع المسافة مع المحاذاة، والقول بها ربما كان من أثر القول بالقسمة الفعلية، خلافاً للفلاسفة الذين كانوا يعنون بالقسمة القسمة الوهمية، وبالقوة لا بالفعل. والقول بالقسمة الفعلية غير المتناهية للجزء ليس له دليل قوي. ذلك أننا لو فصلنا عن الجزء جزءاً معيناً، فالباقى إما أن يكون متناهياً فيكون المجموع متناهياً، وإما أن يكون غير متناه، وعندئذ لو زدنا عليه ما كان فصل عنه أولاً، فهل يكون بعد إضافة المفصول عنه إليه على حاله أو يزيد؟

أما القول بأنه باق على حاله ولا يصير أكثر مما كان فهو باطل وجداناً، لأنه يلزم أن يكون الجزء بمقدار الكل وهو بين الفساد، فإذا لا بد أن يصير أكبر مما كان عليه سابقاً، والكبر إنما كان بمقدار الجزء الذي أضيف إليه، فيكون متناهياً. ولكن المقدسي في «البدء والتاريخ» يقول: «قال ابن بشار، والنظام، وهشام بن الحكم: إنه يتجزأ تجزؤاً بلا نهاية، ولم يتهياً بالفعل فإنه موهوم». «واحتجوا بأنه لا يجوز أن يخلق الله شيئاً لا شيء أكبر منه، فكذلك لا يجوز أن يخلق شيئاً لا شيء أصغر منه. وقالوا: لو كان قول من قال: إن الجزء لا يتجزأ، صحيحاً، كان في نفسه لا»

ومركب، ويسمى جسمًا^(١)، وأقله جوهران.

وأنكرت الفلاسفة، وبعض المعتزلة الجزء الذي لا يتجزأ، وهذا القول (فاسد لأنه^(٢)) يؤدي إلى أن يكون أجزاء الخردلة مساوية لأجزاء الجبل، لأن كل واحد منهما (مما^(٣)) لا يتناهي، (وما لا يتناهي لا يكون أكثر مما لا يتناهي^(٤))، ولأن الاجتماع لما كان بخلق الله تعالى في أجزاء الجسم.

فنقول: هل يقدر الله تعالى على خلق الافتراق بدلاً عن الاجتماع أم لا؟ إن قلت: لا يقدر، وصفته بالعجز. وإن قلت: يقدر ثبت الجزء الذي لا يتجزأ. وأما الجسم - عند بعض الحساب - (فهو^(٥)) ما له أبعاد ثلاثة، وهو:

= طول ولا عرض، فإذا أحدث له ثان فلن يعدو الطول أن يكون لأحدهما دون الآخر أو لهما معاً، فلما ثبت أنه لهما علم أنه يتجزأ.

والقول بالقسمة الفعلية يتناقض مع ظواهر الأدلة القرآنية مثل قوله تعالى: ﴿وَلَخَصَّ كُلَّ شَيْءٍ عِندَنَا﴾ [الجن: ٢٨]، إذ على القول بالقسمة الفعلية إلى ما لا نهاية لا يمكن أن يحصيه الله سبحانه، وأنه يستحيل أن يكون عالمًا بكل شيء ومحيطاً بأجزاء العالم، وهو مناف لظاهر قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطُونَ﴾ [فصلت: ٥٤] ﴿وَمَوْ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩] إذ لو علمه لكان علمه متناهياً والمعلوم غير متناه.

انظر: «على أطلال المذهب المادي»: ٤١/١. «فلسفة المعتزلة»: ١٦٨/١. «قصة الفلسفة اليونانية»: ٧٠. «الفصل»: ٥٩/٥، ٦٢. «مقالات الإسلاميين»: ١٢٤. «الفرق»: ٤٢، ١١٣، ١٢٣. «إبراهيم بن سيار»: ١٢٦، ١٢٧. «المباحث المشرقية». «البلد والتاريخ»: ٤٠/٢. راجع في مسألة الجوهر الفرد ما يلي: «الشامل»، لإمام الحرمين: ٣٦. «نهاية الإقدام»، للشهرستاني: ٥٠٥. «الأربعين» للرازي: ٣/٢. «المطالب العالية»: ١٢/٦. «أبكار الأفكار» للآمدي: ٥٥/٣. «شرح المقاصد»، للسعد: ٢٥٣/٢.

(١) الجسم اسم مشترك يقال على معان: فيقال جسم لكل كم متصل محدود مسموح، فيه أبعاد ثلاثة بالقوة؛ ويقال: جسم لصورة ما يمكن أن يفرض فيه أبعاد كيف شئت طولاً وعرضاً وعمقاً ذات حدود متعينة؛ ويقال: جسم لجوهر مؤلف من هيولى وصورة. (ابن سينا الحدود: ٢٤٨. ضمن كتاب المصطلح الفلسفي عند العرب، دراسة وتحقيق: د. عبد الأمير الأعسم).

(٢) سقطت من (ب).

(٣) سقطت من (ب).

(٤) سقطت من (ب).

(٥) سقطت من (ب).

الطول، والعرض، والعمق.

وعندنا تركيب الجوهرين يكفي لإطلاق اسم الجسم عليهما، (بدليل أنه^(١)) لو أراد الجوهر الواحد على أحد الأبعاد الثلاثة من أحد الجسمين صحَّ أن يقال: هذا أجسم منه، ولولا أن^(٢) أصل التركيب يكفي لإطلاق اسم الجسم^(٣) عليها، وإلا لما صحَّ التَّرجيح بكونه أجسم (منه^(٤)) بزيادة بعد واحد^(٥)، فالحد الصحيح للجسم، هو: المتركان فصاعداً، والمجتمعان فصاعداً.

وأما العرض، (فهو^(٦)): اسم لما لا دوام له في اللغة وحده، مما يقوم بغيره ولا دوام له.

وأنواعه: نَيْفٌ وثلاثون؛ مثل: الألوان، والأكوان، والطعوم، والروائح، والأصوات، والقُدْر، والأدوات، وغير ذلك.

وأنكرت الدَّهرِيَّة^(٧)، والثَّنَوِيَّة^(٨)، وبعض المعتزلة كون الأعراض معاني

(١) في (ب): لأنه.

(٢) في (ب): لولا أن هذا أصل.

(٣) في (ب): الجنس. وهو تحريف ظاهر.

(٤) سقطت من (ب).

(٥) في (ب): لزيادة تعدد واحد.

(٦) سقطت من (ب).

(٧) الدَّهرِيَّة: - بفتح الدال وتضم - القائلون ببقاء الدهر، ولا يؤمنون بالحياة الأخرى، قالوا: وهم

المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا التَّغَرُّمُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

ويقال لهم: المعطلة، والمهملة، والملاحدة، والزنادقة أيضاً، والتعطيل ملهوب قوم من العرب

بعضهم أنكر الخالق والبعث والإعادة، فجعلوا الصانع لهم الطبع، والمهلك لهم الدهر،

وبعضهم اعترف بالخالق، وأنكر البعث.

انظر عنهم في: «مقالات الإسلاميين»: ٤٣٠. «البدء والتاريخ»: ٤/٢ - ٦. «الفرق بين الفرق»:

٣٥٤. «أصول الدِّين»، للبغدادي: ٣١٩. «الفصل في الملل والنحل»: ١/٣٧ - ٤٧ - ٥٥.

«التبصير»: ٨٩. «الملل والنحل»، للشهرستاني: ٦١/٢. «شرح المقاصد»: ٥/٢٢. «المتن»

والأمل»: ٦٣ - ٦٤.

(٨) هم أصحاب الاثنين الأزليين الذين يزعمون النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم

قالوا بحدوث الظلام والثنوية تقول بتساوي الظلمة والنور في القدم ويختلفان في الجوهر.

وراء الذات، (وهذا^(١)) قول فاسد، بدليل أن الشعر الأسود إذا أبيض صح أن يقال: هذا الشعر عين ذلك الشعر، والبياض غير السواد (بالإجماع^(٢)).

ثم نقول: لو كان الشعر أسود لذاته لما تغير عن حاله، مع قيام الذات الموجب للسواد، ومتى صار أبيض علم أنه كان أسود لمعنى، حتى تغير بتغير ذلك المعنى.

وأما القديم^(٣)، فهو: اسم لما لا ابتداء لوجوده.

والحادث^(٤): ما لم يكن فكان.

وإذا عرفنا هذا فنقول: الأعيان لا يتصور خلؤها عن الأعراض، وهي حادثة؛ فإن الجواهر لا يتصور وجودها إلا مجتمعة أو مفترقة، وكذا المتمكن في زمان البقاء لا يتصور إلا ساكنًا أو متحركًا، فإن السكون كونان في مكان واحد، والحركة كونان في مكانين، وحدوث الحركة ثابت بالحس والمشاهدة، [أ/ ٥] [ب/ ٢١٩] وحدوث السكون ثابت (بدلالة^(٥)) انعدامه

= والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح.

والنور عندهم هو فاعل الخير والظلمة تفعل الشر، ولا يمكن لفاعل الشر أن يفعل الخير ولا فاعل الخير أن يفعل الشر.

ومن الثبوتية: -

المانوية - المزدكثية - الديهانية - التناسخية - المرقونية. راجع: «الفرق بين الفرق»: ٢٨٧ - ٢٨٨. «التبصير في الدين»: ٨٨. «الملل والنحل» للشهرستاني: ٢/ ٢٤٤.

(١) في (ب): وهو

(٢) في (ب): بالاتفاق.

(٣) قسم الفلاسفة القديم إلى قسمين: قديم بحسب الذات، وإما بحسب الزمان، فالقديم بحسب الذات هو الذي ليس لذاته مبدأ هي به موجودة، والقديم بحسب الزمان هو الذي لا أول لزمانه. «النجاة، لابن سينا: ٢١٨».

(٤) قسم الفلاسفة الحادث (المسبوق بالعدم) إلى قسمين: حدوث زمني، وهو: كون الشيء مسبقًا بالعدم زمنيًا. وحدث ذاتي، وهو: افتقار الشيء في وجوده إلى الغير.

ويستفاد من هذا التقسيم عندهم أن: الحدوث الذاتي يشير إلى أن الإمكان من حيث هو إمكان لا يستلزمه مادة، وسبقه على الموجود الحادث ليس سبقًا زمنيًا، بل هو سبق في الدهن فقط.

(٥) في (ب): بدليل.

بوجود الحركة، إذ القديم لا ينعدم.

وإذا لم يتصور خلو الأعيان عن الأعراض، وأنها حادثة، فلا يتصور سبقها على الحوادث، لأن في سبق الخلو لا محالة.

ودلالة استحالة بقاء الأعراض يأتي في مسألة الاستطاعة - إن شاء الله تعالى -، وكل ما لا يسبق الحادث، فهو حادث ضرورة.

وإذا كان حادثاً كان مسبوق العدم، وما سبقه العدم، (لم يكن^(١)) وجوده لذاته، و^(٢) يستوي في العقل إمكان وجوده وعدمه، فلا بُدَّ من مخصص يرجح أحد الجائزين، ويجب أن يكون (المخصص^(٣)) واجب الوجود لا جائز الوجود، لأنه لو كان جائز الوجود لاحتاج إلى مخصص (آخر^(٤))، وذلك إلى آخر، إلى أن يتسلسل^(٥) أو ينتهي إلى من هو واجب الوجود، وهو الصانع جلَّ جلاله^(٦)، وإذا ثبت أنه واجب الوجود لذاته، ثبت أنه قديم، (لأنه^(٧)) لم يتعلق وجوده بغيره، فكان وجوده لذاته، فيستحيل عدمه لوجود ذاته الموجب لوجوده أزلاً وأبداً.

وقد عرف بمجموع ما ذكرنا، أنه لا يجوز أن يسمى الله (تبارك و^(٨)) تعالى : جوهرًا، ولا جسمًا، ولا عرضًا؛ لاستحالة ثبوت معاني هذه الأسماء في حق الله تعالى.

ومن زعم أنه أطلق هذه الأسماء لا لهذه المعاني، فهو باطل؛ فإن إطلاق

(١) في (ب): لا يكون.

(٢) في (ب): (ما) زيادة.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) التسلسل ترامي أمور محدثة إلى غير النهاية.

(٦) في (ب): جل وعلا.

(٧) في أ: لأن.

(٨) زيادة من (ب).

الاسم في غير ما وضع له اللفظ لا يجوز إلا بطريق المجاز.
وشرطه: أن يكون بين محل الحقيقة والمجاز (نوع^(١)) مشابهة بين الله
(تبارك و^(٢)) تعالى (وبين خلقه، ولا مشابهة بوجه من الوجوه، فلا يجوز
إطلاق هذه الأسماء على الله تعالى^(٣)) لا حقيقةً ولا مجازاً.

(١) سقطت من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) سقطت من (ب).

الْقَوْلُ فِي تَوْحِيدِ الصَّانِعِ جَلَّ وَعَلَا

قال أهل الحق: - نصرهم الله - إن الله (تبارك و^(١)) تعالى واحد، لا شريك له.

وخالفهم في ذلك الثنوية، والمجوس^(٢)، والنصارى، والطبائعية^(٣)، والأفلاكية^(٤).

وزعمت الثنوية، والمجوس: أن الصانع اثنان؛ أحدهما: خالق الخير. والآخر: خالق الشر.

(١) زيادة من (ب).

(٢) المجوس: وهؤلاء قوم كانوا قبل دولة الإسلام، وهم يثبتون أصليين، وهما النور والظلمة، إلا أنهم زعموا: أن النور قديمٌ والظلمة حادثَةٌ. وهم فرق أربع هي: الزورانية - الحزم دينية - واليه أفردية - المسخية. راجع: «التبصير في الدين»: ٨٩. «الملل والنحل»: ٣٥/٢.

(٣) هم القائلون باختلاف الأجسام لاختلاف الطبائع، وقال الطبائعيون: بأنَّ الطبائع أربع وهي: الماء والهواء والنار والتراب، والفلَكُ طبيعةٌ خامة لا تقبل الكون والفساد، ومنهم من يقول بأن الطبيعة هي الفاعلة وهؤلاء ينكرون المعاد بالكلية.

انظر عنهم: «مقالات الإسلاميين»: ٣٠٩ - ٣٣٣ - ٣٤٨. «البدء والتاريخ»: ٢٥/٤. «تمهيد الأوائل»: ٥٣ - ٦٦. «الفرق بين الفرق»: ٣٥٤. «أصول الدين»، للبغدادي: ٥٣ - ٥٤ - ٣٢٠. «التبصير»: ٨٩. «الملل والنحل»، للشهرستاني: ٦١/٢.

(٤) الأفلاكيون، ويُقال لهم المُتَجَمِّمون: وهم الذين يزعمون أن ما في عالم الكون والفساد من التأثيرات والمتغيرات والأمور الحادثة من خيرٍ وشرٍّ وضرٍّ ونفعٍ؛ فيستند إلى الاتصالات الكوكبية والحركات الفلكية، والتأثيرات تختلف باختلاف المؤثرات السماوية. انظر «الملل والنحل»: ١٠٣/٣.

وعبر بعضهم عنهما يزدان وأهرمن^(١).

وبعضهم بالثور والظلمة.

وزعمت النصارى: أنه ثالث ثلاثة، وعبروا عنهم بالأقانيم^(٢) الثلاثة، وهي ذاتٌ وعلمٌ وحياةٌ. وزعم بعضهم: أنه أب؛ وهو الله تعالى، وابن؛ وهو عيسى عليه السلام، وزوجة؛ وهي مريم عليها السلام، - (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)^(٣). وزعم الطبائعون: أن الصانع أربعة؛ الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليوسة.

(١) وهما مبدأ موجودات العالم عندهم، وحصلت التراكيب من امتزاجهما، وحدثت الصور من التراكيب المختلفة. «الملل والنحل»، للشهرستاني.

(٢) الأقنوم: - بضم الهمزة وسكون القاف وضم النون -، كلمة رومية على الأصح، معناه الأصل، جمعها الأقانيم.

والنصارى أثبتوا لله تعالى أقانيم ثلاثة، وقالوا إنه تعالى واحد بالجوهرية، يعنون به القائم بالنفس لا التحيز والحجمية، ويعنون بالأقانيم الصفات، كالوجود والحياة والعلم، والأب والابن وروح القدس.

وقال البعض منهم: إن العلم قد تدرع وتجسد بجسد المسيح، دون سائر الأقانيم، ولهم في كيفية الاتحاد والتجسد كلمات مختلفة، ومذاهب متشعبة، فبرأي بعض الكهنوتيين: أنه أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف.

وعن بعض أهل اللاهوت: أنه ظهر به ظهور الروحاني بالجسماني.

وعن بعضهم: أنه انطبع فيه انطباع النقش في الشمعة.

ومنهم من عبر بقوله: مازجت الكلمة جسد المسيح مازجة اللبن بالماء.

ومنهم من عبر بأنه اللاهوت قد تدرع بالناسوت.

وقالوا: إن القتل والصلب، لم يرد على الجزء اللاهوتي من المسيح، بل ورد على الجزء الناسوتي، إلى غير ذلك من الأقوال والتعابير التي تحكي عن ترددهم وتحيرهم، فمن ثم قيل: إن النصارى كالحيارى، وزناً ومعنى.

وانظر مناقشة الأقانيم في: «التمهيد» للباقلاني: ٩٣. «الإرشاد» للجويني: ٢٤. «الشامل» للجويني: ٣٣٠.

وانظر تفاصيل الخلاف بين المسيحيين في كيفية دلالة الأقانيم على ألوهية المسيح: «اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر» لبترس.

(٣) سقطت من (ب).

وزعم الأفلاكيون: أنه سبعة؛ زحل، والمشتري، والمريخ، والشمس،
والزهرة، وعطارد، والقمر.

وهذه الفرق كلهم هم المنكرون (للمصانع^(١)) جلّ جلاله^(٢) على الحقيقة؛
فإن الصانع (جلّ وعلا^(٣)) لا بدّ وأن يكون واجب الوجود لذاته، [٦/أ]
وذلك لا يصور إلا الواحد (القهار^(٤)).

ودلالة (صحة^(٥)) ذلك: أنه لو كان الصانع اثنين، فإذا أراد أحدهما خلق
الحياة في جسم، وأراد الآخر خلق الموت - (في زمان واحد^(٦)) -، في ذلك
الجسم، فلا يخلو إما أن تنفذ إرادتهما، أو (تنفذ^(٧)) إرادة أحدهما دون
الآخر، ونفاذ إرادتهما محال، ولو نفذت إرادة أحدهما دون الآخر، صار
الذي تعطلت إرادته مقهوراً، والمقهور لا يكون إلهاً.

فإن قيل: إذا علم أحدهما (أن^(٨)) الآخر (يريد^(٩)) الحياة في جسم، يوافق
الآخر في ذلك ولا يخالفه بإرادة الموت فيه، خصوصاً على أصلكم أن الإرادة
تلازم العلم.

قلنا: الموافقة بينهما (لا تخلو^(١٠)) إما أن تقع ضرورة أو اختياراً.

فإن قلت: ضرورة، كان كل واحد منهما مضطراً إلى موافقة صاحبه؛ فيكونا

(١) في النسختين: الصانع. والتصحيح من المعنى.

(٢) في (ب): جلّ وعلا.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) سقطت من (ب).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) سقطت من (ب).

(٧) سقطت من (ب).

(٨) سقطت من (ب).

(٩) سقطت من (ب).

(١٠) سقطت من (ب).

عاجزين، (والعاجز لا يكون إلهاً^(١)).

وإن قلت: اختياراً، يمكن تقدير اختيار الاختلاف بينهما؛ فيتوجه التخصيم.

وقوله: إن «الإرادة تلازم العلم».

قلنا: عندنا الإرادة تلازم الفعل دون العلم، بدليل: أن ذات الله تعالى وصفاته معلومة له، وليست بمرادة له، وكذا المعلوم الذي لا يوجد يُعلم أنه لو وجد كيف يوجد، معلوم له، وليس بمراد له.

وأما الرد على من قال «بالنور والظلمة»؛ فنقول: واقتنونا على أن الظلمة حادثه، فنقول: حدوث الظلمة بذاتها أم بإحداث النور إياها؟

إن قلتم: بذاتها فقد صرّحتم بحدوث [ب/ ٢٢٠] (الشيء^(٢)) بدون الصانع، وفيه تعطيل الصانع لا إثبات صانعين.

وإن قلتم: بإحداث النور إياها؛ فهو الذي أحدث أصل الشرور والقبائح.

وأما قول المثلثة باطل أيضاً؛ لأنه لا دليل لهم على تقسيمهم ثلاثة أقسام، لا من جهة العقل، ولا من جهة النقل.

ولأنهم (جعلوا^(٣)) الذات مع العلم، والحياة ثلاثة، فهلاً جعلوه مع القوة والإرادة خمسة، ومع السمع والبصر سبعة، إلى غير ذلك من صفة الكمال^(٤).

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب): شيء.

(٣) في (ب): قالوا.

(٤) قال الكلبي في حاشيته على اللواتي شرح العنقية، ٢٩٩/١: «ولما نسبنا: فلا كفر في إحيات القدماء المتغابرة بالذات ولنا لم يصح إكفر الفلاسفة في إثبات العقول المجردة العنقية... فالوجه في الجواب أن يقال: تكفير الصلبي ليس لإبتهام قلماء متلعة، بل لإبتهام كلمة ثلاثة؛ هم الواجب تعالى والمسيح - ﷺ - ومريم سواء كان ذلك بطريق الإشرق أو بطريق الانقلاب لحماً ودماً أو بطريق آخر مما يزعمون كما دل عليه قوله تعالى ﴿وَمَكَارِنَ يَهُودِيٍّ﴾ بعد قوله ﴿لَقَدْ كَفَرَ الْيَهُودُ إِذْ قَالُوا إِنَّكَ لَمَّا كَذَبْتُمْ﴾ وقوله تعالى خطباً لمعيسى عليه الصلاة والسلام ﴿مَنْ لَكَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُنَادِيَنَّ وَابْنَهُ يَنْهَى مِنَ ذُنُوبِهِ﴾.

وقول من جعل مريم صاحبةً، وعيسى - ~~عليه السلام~~^(١) - ولدًا، أشنع من ذلك؛ لأن فيه إثبات الحاجة، والتجزئة (لله تعالى)^(٢)، وذلك (محالٌ لأنه)^(٣) من أمارات الحدث، وهذا باطل.

وأما الرد [٧/١] على الطبائعية؛ فنقول: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، كلها أعراض، لا قيام لها بذاتها، ولا بقاء لها في نفسها، (وإنها)^(٤) تحدث ساعة فساعة، ومَحَالُّها أيضًا مَحَالٌّ (لحوادث)^(٥)؛ فتكون أيضًا حادثة، فلا بدُّ لها من محدث.

وأما الرد على المنجّمة؛ فنقول: (إن)^(٦) كل هذه الكواكب دائرة، سائرة، منتقلة من برج إلى برج، متحولة من حال إلى حال عندكم؛ من (سعيد، ونحس، وأوج، وحضيض، وشرف)^(٧)، وهبوط، وكسوف، وخسوف، واحتراق)^(٨)، وكل ذلك أمارة كونها مسخرة مقهورة، والصانع هو الله الواحد القهار.

(١) زيادة من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في (ب): وهي.

(٥) في (ب): الحوادث.

(٦) سقطت من (ب).

(٧) سقطت من (ب).

(٨) بين النسختين فروق في التقديم والتأخير.

الْقَوْلُ فِي تَنْزِيهِ الصَّانِعِ جَلَّ جَلَالُهُ^(١) عَنْ سِمَاتِ الْحَدَّثِ

ثم إنَّ صانع العالم (تعالى وتقدَّس^(٢)) يستحيل أن يكون جِسْمًا، أو جوهرًا،
أو ذا صورة، أو في جهة، أو في مكان.
فزعمت اليهود، وغلَّة الروافض^(٣)، والمشبهة، والكُرامِيَّة^(٤): أنه جسمٌ

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب): جل وعلا.

(٣) الغلاة من الشيعة: هم الذين غلوا في حقِّ أئمتهم حتى أخرجوهم من البشرية، وحكموا فيهم بأحكام الألوهية، وشبَّهوا الأئمة بالإله. وبدع الغلاة محصورة في أربع: التشبيه - التناسخ - البداء - الرجعة.

راجع: «التبصير في الدين»: ١٦. «الملل والنحل»، للشهرستاني: ١٧٣/١.
(٤) نسبة إلى مؤسسها محمد بن كرام المتوفى سنة ٢٥٥هـ، وقد نسب إليه القول بالتجسيم، وتسويغ قيام الحوادث بذاته تعالى، وأبدية العالم، وقد حاول ابن الهيصم وهو من أتباعه أن يدافع عنه، ويقرب أفكاره تلك من مذاهب أهل السنة، وقد ازدهر مذهب في الجهات الوسطى والشرقية من العالم الإسلامي، وخاصة في الجهات الإيرانية. ويضاف إلى أقواله المشهورة قول معتدل في عدل الله إذ يرى: أن الله لا يميئ أولاد الكفار على الكفر لإمكان إسلامهم عند البلوغ، وكان يقبل بعليٍّ ومعاوية كإمامين متزامنين، ولكن الذي عرف به ابن كرام خاصة هو التقشف والزهد والعبادة.

انظر للتوسع: «الفرق بين الفرق»: ٢٠٢ - ٢١٤. «التبصير»، للأسفراييني: ٦٧. «الملل والنحل»: ١٠٨/١ - ١١٣.

وانظر ترجمة محمد بن كرام في: «سير أعلام النبلاء»: ٥٢٣/١١. «اللباب»: ٨٩/٣. «ميزان الاعتدال»: ٢١/٤. «الوافي بالوفيات»: ٣٧٥ - ٣٧٧. «البداية والنهاية»: ٢٠/١١. «لسان»

(متمكنٌ على العرش^(١)). (٢).

وهشام بن الحكم^(٣) كان^(٤) يصفه بالصورة.

وقال بعضهم: إنه على العرش، لا بمعنى التمكن، ولكن بثبوت جهة فوق.

وقالت النجارية^(٥): إنه بكل مكان بذاته.

= الميزان: ٣٥٣/٥ - ٣٥٦. النجوم الزاهرة: ٢٤/٣. تذكرة الحفاظ: ١٠٦/٢.

(١) سقطت من (ب).

(٢) الكرامية اتفقوا على أنه تعالى في جهة، ثم زعمت الهيصمية أنه فوق العرش في جهة لا نهاية لها وبينه وبين العرش بعد غير متناه، وزعمت العابدية أن بينهما بعدًا متناهياً، وقال بعض الهيصمية: إنه على العرش كما ذهب إليه سائر المجسمة.

(٣) قال الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء»: ٥٤٤/١٠ ما نصّه: «قال ابن حزم: جمهور متكلمي الرافضة كهشام بن الحكم، وتلميذه أبي علي الصكاك وغيرهما، يقولون: بأن علم الله محدث، وأنه لم يعلم شيئاً في الأزل، فأحدث لنفسه علماً.

قال: وقال هشام بن الحكم في مناظرته لأبي الهذيل: إن ربه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه.

قال: وكان داود الجوّاري - من كبار متكلميهم - يزعم أن ربه لحمٌ ودمٌ على صورة آدمي.

قال: ولا يختلفون في ردّ الشمس لعلّي مرتين.

ومن قول كلهم: إن القرآن مبدّل زيد فيه ونقص منه، إلا الشريف المرتضى وصاحبيه.

قال ابن النديم: هو من أصحاب جعفر الصادق، هدّب المذهب، وفقّ الكلام في الإمامة، وكان حاذقاً حاضر الجواب. ثم سرد أسماء كتبه، منها في الرد على المعتزلة، وفي التوحيد، وغير ذلك.

انظر للمزيد: «فرق الشيعة»: ٦٦ - ٦٧. «مقالات الإسلاميين»: ٣١ - ٣٣ - ٣٧ - ٤٤. «البده

والتاريخ»: ١٣٢/٥ - ١٣٩ - ١٤٠. «التنبيه والرد»: ٢٤. «الفرق بين الفرق»: ٦٥ - ٦٨،

٢٢٧. «أصول الدين»، للبغدادي: ٧٣ - ٣٣٧. «مروج الذهب»: ٤٤٣/٥ - ٤٤٤. ٣٧٠/٦.

٢٣٢/٧ - ٢٣٦. «الفهرست»: ٢٢٣ - ٢٢٤. «التبصير»: ٢٣ - ٢٤ - ٧٠. «تبصرة الأدلة»: ١/

١١٩. «الملل والنحل»، للشهرستاني: ١٨٤/١ - ١٨٥/١. «أمالي المرتضى»: ١٧٦/١.

«سمط اللاكبي»: ٨٥٥. «سير أعلام النبلاء»: ٥٤٣/١٠. «لسان الميزان»: ١٩٤/٦.

«الفهرست»، للطوسي: ١٧٤. «سفينة البحار»، للقمي: ٧١٩/٢. «منهج المقال»: ٣٥٩.

«معرفة أخبار الرجال»، للكشي: ١٦٥. «شرح المواقف»: ٢٨٨/٣ - ٢٩٤. «المنية والأمل»:

٩٤.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) هم أتباع الحسين بن محمد بن عبدالله النجار، أحد كبار المتكلمين. له مناظرة مع النظام،

فاغضب النظام، فرفسه، فيقال: مات منها بعد تعلل. ذكر ابن النديم أسماء تصانيف النجار، =

وقالت المعتزلة: إنه بكل مكان، بالعلم لا بذاته.

وكل ذلك باطل؛ لأن فيه أمارات الحدث، فإن الجسم مجتمع، وكل مجتمع يجوز افتراقه، وكذا يكون مقدراً بمقدار، ويتصور أن يكون أكبر منه، أو أصغر؛ فاختصاصه بهذا القدر لا يكون إلا بتخصيص مخصص، وكذلك الصور مختلفة، واجتماعه على الكل محال، و(تخصيص^(١)) البعض لا يكون إلا بمخصص.

وكذا لو كان متمكناً على العرش، (يخلو إما أن يكون^(٢)) مقدراً بمقداره، أو أصغر منه، أو أكبر منه؛ فإن كان بمقداره أو أصغر (منه^(٣))، لا بد وأن يكون محدوداً متناهياً، والتناهي من أمارات الحدث؛ فإن كان أكبر منه فالقدر الذي يوازي العرش يكون مقدراً [٨/١] بمقداره، فلزم أن يكون متبعضاً ومتجزئاً، ثم لا بد وأن يكون متناهياً من جهة السفلى، حتى يكون متمكناً (عليه^(٤))، وما جاز عليه التناهي من جهة، جاز (عليه^(٥)) من سائر الجهات، ولأن التعري على المكان والجهة كان ثابتاً في الأزل لإجماع بيننا وبين الخصوم؛ أن ما سوى الله تعالى محدث، فلو ثبت التمكن والجهة بعد أن لم

= منها: «إثبات الرسل»، وكتاب «القضاء والقدر»، وكتاب «اللطيف والتأيد»، وكتاب «الإرادة المرجبة». وكان يقول إن الله يعذب الخلق على أفعاله لا على أفعالهم؛ فهو يوافق الجبرية في خلق الأعمال والاستطاعة.

انظر عنه، وعن آرائه، والفرقة المنسوبة إليه في: «الرّد على البدع والأهواء»: ٩٩. «التوحيد»، للماتريدي: ٣٢١ - ٣٢٢. «البدء والتاريخ»: ١٤٦/٥ - ١٤٧. «الفرق بين الفرق»: ٢٠٧ - ٢١١. «التبصير»: ٦١ - ٦٣. «أصول الدين»، للبغدادي: ٣٣٤. «الفصل»: ٨٠/٤. «سير أعلام النبلاء»: ٥٥٤/١٠. «منهاج السنة»: ٣٦٧/٢. «شرح المواقف»: ٢٩٤/٣. «الفهرست»، لابن النديم: ٢٢٩.

(١) في (ب): واختصاص.

(٢) في (ب): وكذا أن يكون.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) سقطت من (ب).

(٥) سقطت من (ب).

يكن (ثابتاً في الأزل فيصير مَحَلًّا للحوادث^(١)) وإنه محال .

وقوله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٢) محتمل .

(قلنا : ^(٣) الاستواء يُذكر ويُراد به الاستيلاء ، ويراد به التقدير .

(ويراد به التمام^(٤)) .

ويراد به الاستقرار والتَّمكن ، فلا يكون حُجَّة مع الاحتمال ، مع أن الترجيح لما قلنا ؛ فإنه تعالى تَمَدَّح به .

ولو ذكر الاستواء للمدح في حقِّ الخلق لا يفهم منه التَّمكن والاستقرار ، كما قال الشاعر [الرجز] :

قَدْ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقٍ^(٥)
وتحقيق ذلك أن التَّمَدُّح (إنما يكون^(٦)) (بما^(٧)) يمتاز به عن من لا يدانيه ولا يساويه .

والاستواء : بمعنى التمكن ، يساويه (فيه^(٨)) كل دنيٍّ وحقير ، فلا يكون فيه كثير مدح .

وقول من قال : إنه في كل مكان ، أفسد ؛ لأن المتمكَّن يستحيل أن يكون في مكانين ، في حالة واحدة ، فمن استحال عليه التَّمكن ، كيف [٩/أ] يتصور أن يكون في الأماكن كلها؟ .

(١) سقطت من (ب) .

(٢) سورة طه ، الآية : ٥ .

(٣) في (ب) : فإن .

(٤) سقطت من (ب) .

(٥) البيت استشهد به الكثيرون دون أن ينسبوه ، ونسبه البعض إلى الأخطل .

انظر : البداية والنهاية : ١٠/٩ ، ٢٩٠ . تاج العروس : ١٨٩/١٠ .

(٦) سقطت من (ب) .

(٧) في (ب) : بمن .

(٨) سقطت من (ب) .

وكذا قول من قال: إنه في مكان بالعلم، (لا بذاته^(١))؛ لأن من يعلم مكانًا، لا يصح أن يقال: هو في ذلك المكان بالعلم.

وكذا القول بالجهة، باطل؛ لأن وجوده [ب/ ٢٢١] في سائر الجهات محالٌ، وتخصيص بعض الجهات لا بدُّ له من مخصّص، ولأن من كان بجهة من الشيء، لا بدُّ وأن يكون بينهما مسافة مقدرة، يتصور أن تكون أزيد من ذلك أو أنقص، فلا بدُّ من مخصّص لذلك القدر مع مساواة غيره إياه في الجواز.

(وكذلك الجواب عن قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(٢)؛ فإنه لا^(٣))
تمدح في الفوقية من حيث الجهة، إذ الحارس فوق السلطان من حيث الصورة، والسلطان فوقه من حيث القهر والولاية والرتبة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾^(٤).

ورفع الأيدي إلى السماء في وقت الدعاء تَعَبُّدٌ (محض^(٥))؛ كوضع الجبهة على الأرض في السجود، (والاستقبال إلى الكعبة في الصلاة.
وللمجسمة والمشبهة^(٦)) آيات وأخبار يتمسكون (بظاهرها^(٧)).

ولأهل السنة فيه طريقان:

أحدهما: قبولها وتصديقها، وتفويض تأويلها إلى الله تعالى، مع تنزيهه عن ما يوجب التشبيه، وهو طريق سلفنا الصالح.

(١) زيادة من (ب).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٨.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٨.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) سقطت من (ب).

(٧) في (ب) بها.

والثاني: قبولها، والبحث عن تأويلها على وجه يليق بذات الله تعالى، موافقاً لاستعمال أهل اللسان، من غير قطع بكونه مراد الله تعالى.
و«طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أحكم»^(١).

(١) قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» ٨/٥ - ١٠ ما نصه: «مَا يَقُولُهُ بَعْضُ الْأَهْبَاءِ، وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ قَدَرَ السَّلَفِ، بَلْ وَلَا عَرَفَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ حَقِيقَةَ الْمَعْرِفَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا: مِنْ أَنَّ «طَرِيقَةَ السَّلَفِ أَسْلَمَ وَطَرِيقَةَ الْخَلْفِ أَعْلَمُ وَأَحْكَمُ» وَإِنْ كَانَتْ مَلِئَةً الْعِبَارَةِ، إِذَا صَدَرَتْ مِنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ قَدْ يَغْنِي بِهَا مَعْنَى صَحِيحًا. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعِينَ الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ طَرِيقَةَ الْخَلْفِ مِنَ الْمُتَحَلِّسَةِ، وَمَنْ حَدَا حَدْوَهُمْ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ: إِنَّمَا أَتَوْا مِنْ حَيْثُ ظَنُّوا: أَنَّ طَرِيقَةَ السَّلَفِ هِيَ مُجَرَّدُ الْإِيمَانِ بِالْقَاطِئِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ مِنْ غَيْرِ فِقْهِ لِدَلِيلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّيِّينَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانًا﴾ [البقرة: ٧٨]، وَأَنَّ طَرِيقَةَ الْخَلْفِ هِيَ: اسْتِخْرَاجُ مَعَانِي النُّصُوصِ الْمَضْرُوقَةِ عَنْ حَقَائِقِهَا بِأَنْوَاعِ الْمَجَازَاتِ وَغَرَائِبِ اللَّغَاتِ. فَهَذَا الظَّنُّ الْقَاسِدُ أَوْجَبَ «تِلْكَ الْمَقَالَةَ» الَّتِي مَضْمُونُهَا تَبْدُؤُ الْإِسْلَامَ وَرَاءَ الظُّهْرِ، وَقَدْ كَذَّبُوا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، وَضَلُّوا فِي تَضْوِيهِ طَرِيقَةِ الْخَلْفِ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الْجَهْلِ بِطَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي الْكَلْبِ عَلَيْهِمْ. وَبَيْنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالِ بِتَضْوِيهِ طَرِيقَةِ الْخَلْفِ».

الْقَوْلُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ (تَبَارَكَ وَ^(١)) تَعَالَى

[١٠ / ١] قال أهل السُّنة: - (٢) - إن الله تعالى موصوفٌ بصفات الكمال، منزَّة عن التَّقْيِصَةِ والزَّوَالِ، (وصفاته^(٣)) ليست بأعراض تحدث وتنعدم، بل هي أزلّية أبدية (قديمة^(٤)) قائمة بذاته، لا تشبه صفات الخلق بوجه من الوجوه، فهو: حيٌّ، عالمٌ، قادرٌ، سميعٌ، بصيرٌ، مريدٌ، متكلمٌ، إلى ما لا يتناهى من صفات الكمال.

وله حياةٌ، وعلمٌ، وقدرةٌ، وسمعٌ، وبصرٌ، وإرادةٌ، وكلامٌ.
وأنكرت الباطنية^(٥)، والفلاسفة كون الله تعالى حيًّا عالمًا قادرًا على

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب): نصرهم الله.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) سقطت من (ب).

(٥) سَمُوا بِالْبَاطِنِيَّةِ لِقَوْلِهِمْ: بَانَ لِلدِّينِ ظَاهِرٌ غَيْرُ مُرَادٍ، وَبَاطِنٌ وَهُوَ الْمَرَادُ، وَلَا يَعْلَمُ بِهِ إِلَّا الْخَاصَّةُ إِمَّا لِمُغْوَضِهِ أَوْ لِسُرِّيَّتِهِ، وَيَرْجِعُ تَأْسِيسُهَا إِلَى مَيْمُونِ بْنِ دِيصَانَ الْقُدَّاحِ، وَمُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ (دَنْدَانٍ)، وَحَمْدَانَ قَرْمَطٍ، وَأَبُو سَعِيدِ الْجَنْجَابِيِّ، وَالْبَاطِنِيَّةُ كَمَنْهَجٍ تَنْضَوِي تَحْتَ لَوَائِهَا فِرَقٌ عَدِيدَةٌ مِثْلُ: الدَّرُوْزِ الْبَهْرَةِ - الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ - الْقَرَامِطَةِ. وَيَقُولُ الْبَغْدَادِيُّ: «إِنْ فَضَائِحُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ الرَّمْلِ وَالْقَطَرِ، وَهُمْ زَنَادِقَةٌ، دَهْرِيُّونَ، يَنْكُرُونَ الشَّرَائِعَ، وَيَجْحَدُونَ الرُّسُلَ، وَيَسْتَبِيحُونَ الْمَحْرَمَاتِ، وَيَسْقُطُونَ الشَّرَائِعَ».

انظر عن فرقهم وآرائهم في: «فرق الشيعة»: ٥٨ - ٦٠. «البدء والتاريخ»: ٦/٤ - ٨، ٥١/٥، ١٣٣ - ١٣٤. «الفرق بين الفرق»: ٢٨١. «أصول الدين»، للبغدادى: ٣٢٩ - ٣٣١. «التبصير»: ٨٤ - ٨٧. «الفصل في الملل والنحل»: ١/١٦٥ - ٣٢٦. «الإرشاد»: ٣٧ - ٣٩. «الملل» =

التحقيق، وزعمت أن ما يوصف به الخلق لا يوصف به الله (تبارك و^(١)) تعالى.

واعترفت المعتزلة باتصاف الله تعالى بأنه حي، عالم، قادر، سميع، بصير، مريد، متكلم، ولكن أنكرت وجود هذه الصفات، وقيامها بذات الله تعالى، إلا في الكلام والإرادة والفعل، وزعمت أنها حادثة غير قائمة بذات الله تعالى. وقسمت الأشعرية الصفات على قسمين:

صفات ذات، وصفات فعل.

وزعمت أن صفات الذات قديمة قائمة بذات الله تعالى، (وصفات الفعل حادثة غير قائمة بذات الله تبارك وتعالى^(٢))، وبيان ذلك في مسألة التكوين والمكون - إن شاء الله تعالى -.

ودلالة صحة ما قلنا: ما تمدح الله (تبارك و^(٣)) تعالى في كتابه، وتعرف إلى عباده بأسمائه الحسنی، فقال (جل جلاله^(٤)): ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾^(٥).

وقال (جل ذكره^(٦)): ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْغَنِيُّ﴾^(٧).

وقال: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٨).

= والنحل: ١٩١/١ - ١٩٨. شرح المواقف: ٢٨٨/٣ - ٢٩٠. «المنية والأمل»: ١٠٣ - ١١٠.

(١) زيادة من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) سقطت من (ب).

(٥) سورة غافر، الآية: ٦٥.

(٦) سقطت من (ب).

(٧) سورة النحر، الآية: ٢.

(٨) سورة المائدة، الآية: ١٢٠.

وقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١).

وقال: ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٢٠٢).

وقال (جلّ جلاله^(٤)): ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾^(٥) إلى غير ذلك من الآيات.

فنقول: لما اتّصف الله (تبارك و^(٦)) تعالى بكونه حيًا، عالمًا، قادرًا، على التحقيق، وهذه (الأسماء^(٧)) مشتقة من (معاني^(٨)) مخصوصة عند أرباب (اللسان، فإذا أطلقت على ذاتٍ يراد بها إثبات مأخذ الاشتقاق^(٩))، لا مجرد تعريف الذات، فلو لم تكن الحياة والعلم والقدرة قائمة بذات الله تعالى، لكان إطلاق هذه الأسماء عليه بطريق اللقب والعلم، لا بطريق الحقيقة، وهذا لا يجوز.

فإن قيل: أثبتنا هذه المعاني وراء الذات، لزمنا القول بالقدماء، وإنه مُتَّافٍ للتوحيد.

قلنا: مهما دللنا على أن إطلاق هذه الأسماء المشتقة، على الذات بطريق الحقيقة يقتضي قيام هذه المعاني بالذات، وجب القول بقيامها بذات الله تعالى، نظرًا إلى هذه الأسماء.

والقول بالقدماء إنما يلزم: أن لو كانت هذه المعاني أغيارًا للذات، ونحن

(١) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) سقطت من (ب).

(٥) سورة الحشر، الآية: ٢٤.

(٦) زيادة من (ب).

(٧) في (ب): أسماء.

(٨) في (ب): معاني.

(٩) سقطت من (ب).

تُكر ذلك، فمن ادعى ذلك^(١) فعليه البيان، ثم نتبرع ببيان ذلك.

فنقول: (صفات الله تعالى^(٢)) ليست عين الذات، كما زعمت المعتزلة.

وليست غير الذات كما ذهب إليه الكرامية^(٣).

بل نقول: كل صفة من (صفات الله^(٤)) (تعالى^(٥)) لا هي عين الذات، ولا غير الذات.

وكذا في كل صفة من صفاته مع صفة أخرى، لا هي ولا غيرها؛ لأن حدّ الغيرين موجودان يتصور وجود أحدهما مع عدم الآخر، وهذا لا يتصور في صفات الله (تبارك و^(٦)) [ب/٢٢٢] تعالى مع ذاته، ولا في صفة [أ/١١] مع صفة أخرى، (فلا يكونان^(٧)) متغايرين، كالواحد من العشرة، بخلاف الصفات المحدثّة، فإن قيام الذات بدون تلك الصّفة المعيّنة متصور.

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب): صفاته تعالى.

(٣) اعلم أنه لم يكن لأهل العلم في الصدر الأول خوض في هذه الأحوال، وإنما اشتهر الخلاف في ذلك في زمن الجبائين أبي علي محمد بن عبد الوهاب، وابنه أبي هاشم، حيث أثبتا أبو هاشم، ونفاها أبو علي وغيره، وهو يقول: العقل يدرك فرقاً ضرورياً بين معرفة الشيء مطلقاً وبين معرفته على صفة إذ ليس يلزم من معرفة الذات معرفة كونه عالماً أو قادراً أو حياً، ولا شك أن العقل يدرك اشتراك الموجودات في شيء، واقتراقها بأشياء أخرى، وأن ما به الاشتراك فيها غير ما به اقتراقها، وهذه قضايا عقلية لا يكاد ينكرها عاقل، وهي لا ترجع إلى الذات، ولا إلى أعراض وراء الذات؛ لأن ذلك يؤدي إلى قيام العرض بالعرض المستحيل عقلاً؛ فيتعين أنها أحوال أي: هي صفات وراء الذات بمعنى أن المفهوم منها غير ما يفهم من الذات، وللقوم خوض طويل في هذه المسألة، وقد أثبتنا القاضي أبو بكر الباقلاني وإمام الحرمين عبد الملك بن محمد الجويني والغزالي أيضاً من الأشعرية، ونفاها كثير من المتكلمين وأبطلوا ما فرّعه مثبتوها على القول به بما لا محل للتطويل به هاهنا.

(٤) في (ب): من صفاته.

(٥) سقطت من (ب).

(٦) زيادة من (ب).

(٧) في (ب): فيكونان.

(وكذا كلُّ صفةٍ مع صفةٍ أخرى^(١))، فتكون غير الذات، ويجوز أن يكون لله تعالى صفاتٌ لا نعرفها على التفصيل عندنا خلافاً للمعتزلة.

وكذا في الأسماء، (لقول^(٢) النبي ﷺ: «أنا أعلمكم بالله تعالى، وأخشاكم لله عزَّ وجلَّ»^(٣)).

وكذا قال ﷺ^(٤) «أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك»^(٥).

ولكن مع ذلك^(٦) (لما^(٧)) عرفنا بطريق الإجمال أنه موصوفٌ بصفات الكمال، فقد عرفناه حقَّ معرفته.

ولا يصح أن يقال: صفاته حلت ذاته، ولا (أن^(٨)) ذاته محلٌ لصفاته، لأنَّ الحلول انتقال، والانتقال في الصفات محالٌ، ولكن يستعمل ذلك في صفات الخلق على سبيل التوسع والمجاز، فلا يجوز استعماله في حقِّ الله (تبارك و^(٩)) تعالى، ولكن يقال: صفاته قائمة بذاته.

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب): في قول.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب قول النبي: «أنا أعلمكم بالله» (٢٠). وأبو داود في كتاب الصوم (٢٣٨٩)، ومالك في كتاب الصيام (٦٤١). وأحمد في «المسند»: ٦١/٦ (٢٤٣٦٤). وعبد بن حميد في «المسند»: ٤٣٥/١ (١٥٠٢).

ولفظ البخاري: «عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَمَرَهُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ بِمَا يُطِيقُونَ، قَالُوا: إِنَّا لَسْنَا كَهَيْئَتِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ غَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَغْضَبُ حَتَّى يُعْرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ أَتَقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا».

(٤) في (ب): ﷺ.

(٥) أخرجه أحمد في «المسند»: (٣٧١٢)، والحاثر بن أبي أسامة في «مسنده» (ص ٢٥١ من زوائده)، والطبراني في «الكبير» (٣/٧٤/١)، وابن حبان في «صحيحه»: (٢٣٧٢)، والحاكم في «المستدرک»: (٥٠٩/١).

(٦) في (ب): هذا قد.

(٧) سقطت من (ب).

(٨) زيادة من (ب).

(٩) زيادة من (ب).

وقال الأشعري^(١): صفاته موجودة بذاته، ولا يقال صفاته معه، أو مجاور له، أو فيه.

واحترز بعض أصحابنا عن قوله: عالم بالعلم، كيلا يتوهم أن العلم آلة له، ولكن قالوا: إنه عالم وله علم.

(١) هو أبو الحسن، علي بن إسماعيل، مؤسس العقيدة الأشعرية، وشهرته تفني عن التعريف به، وللتوسع انظر ترجمته وأحواله في «الفهرست»: ٢٥٧. «تاريخ بغداد»: ٣٤٦/١١ - ٣٤٧. «الأنساب»: ٣٩ و. «المنتظم»: ٣٣٢/٦ - ٣٣٣. «الكامل»: ٣٩٢/٨. «وفيات الأعيان»: ٣/٢٨٦ - ٢٨٤. «وفيات الأعيان»: ٢٤٨/٣ - ٢٨٦. «العبر»: ٢٠٢/٢. «مرآة الجنان»: ٢٩٨/٢ - ٣٠٩. «طبقات الشافعية الكبرى»: ٣/٣٤٧ - ٤٤٤. «طبقات الشافعية»، للإسنوي: ٧٢/١ - ٧٣. «البلدانية والنهاية»: ١٨٧/١١. «الديباج المذهب»: ٩٤/١ - ٩٦. «الجواهر المضية»: ٢/٥٤٤ - ٥٤٥. «خطط المقرئ»: ٣٥٨/٢. «المروحة الوفية في طبقات الحنفية»، لوحة: ٤٥. «النجوم الزاهرة»: ٢٥٩/٣. «طبقات الحنفية»، لابن الحنائي: ١٦٤ - ١٦٦. «الأثمار الجنية في الأسماء الحنفية»: رقم: ٣٧٤. «مفتاح السعادة»: ١٥٢/٢ - ١٥٣. «كتائب أعلام الأخيار»: رقم: ١٦٦. «الطبقات السنية»: رقم: ١٤٥٤. «كشف الظنون»: ٢٠٨/١، ٤٤٠، ٨٣٨. «شذرات الذهب»: ٣٠٣/٢ - ٣٠٥. «روضات الجنات»: ٢٠٧/٥ - ٢١٤. «إيضاح المكنون»: ٥٥٣/١، ٥٥٥، ٩٤/٢، ٢١٨، ٢٦٢ - ٢٦٤، ٢٧٢. «هدية العارفين»: ٦٧٦/١ - ٦٧٨. وانظر «تبيين كلب المفتري»، لابن عساكر.

الْقَوْلُ فِي الْأَسْمِ وَالْمُسَمَّى^(١)

قال أهل السنة: - (٢) - الاسم والمسمى واحد.

وقالت الجهمية^(٣) والكرامية والمعتزلة: إن الاسم غير المسمى.

(١) قد نسب القول بكون الاسم هو عين المسمى إلى أحمد بن حنبل، وأبي زرعة، وأبي حاتم من المحدثين، وكذا إلى ابن فورك من متكلمي الأشاعرة. أما أحمد بن حنبل ومن ذكرناه؛ فالظاهر أنهم فرعوا ذلك على مقالتهم في قدم كلام الله تعالى، وأن اسمه تعالى لو كان غير مسماً لكان مخلوقاً، ويلزم أن لا يكون له تعالى اسم في الأول، لأن أسماء صفات. وأما ابن فورك فقد حكى عنه أنه قال: «إن كل اسم فهو المسمى بعينه، وأنه إذا قال القائل: الله، قوله دال على اسم هو المسمى بعينه»، ونقل عنه ابن حزم أنه كان يقول: «إنه ليس لله تعالى إلا اسم واحد، وإن ما ورد في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وكذا ما في الخبر «إن لله تسعة وتسعين اسماً» فالمراد به التسمية، ففرق هو بين الاسم والتسمية».

وقد أطال ابن حزم في الرد عليه، ومذهب المعتزلة هو اتحاد الاسم والتسمية ومغايرتهما للمسمى.

وملخص القول أن هنالك ثلاثة أشياء: الاسم والتسمية والمسمى، فالاسم هو نفس المدلول، والتسمية هي الأقوال الدالة، والاتفاق واقع على المغايرة بين التسمية والمسمى، وإنما الخلاف في مغايرة الاسم مع المسمى وعدمه، فالمعتزلة على المغايرة ووافقهم بعض الأشعرية والمجبرة وبعض أهل الحديث على نفي المغايرة كما أشرنا إليه.

(٢) في (ب): نصرهم الله.

(٣) هم أصحاب الجهم بن صفوان الترمذي، ومن أهم مقولاتهم: القول بنفي الصفات عن الله تعالى، وأن لا قدرة للعبد أصلاً لا مؤثرة ولا كاسبة؛ بل هو بمنزلة الجماد، أو الريشة في مهب الرياح، وأن الجنة والنار تفنيان. وقد عُدَّ الجهمية من فرق الجبرية، وعُدَّ البعض من فرق المعطلة.

وقال بعض الأشعرية: الاسم غير التسمية و غير المسمى .

وقال بعضهم: الاسم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أحدها: عينُ المسمى .

والثاني: (غير المسمى) .^(١)

والثالث: لا هو ولا غير .

(واتفقوا^(٢)) أن التسمية غير المسمى، وهي (ما^(٣)) قامت بالمسمى .

والصحيح ما قلنا؛ فإن من قال: الله تعالى، صحَّ أن يقال: ذكر الله تعالى .

وصحَّ (أيضاً^(٤)) أن يقال: ذكر اسم الله تعالى، ولولا أن الاسم والمسمى واحد لَمَا صحَّ إطلاق ذلك، دلَّ عليه، قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٥) .

ونقول في الركوع^(٦): «سبحان ربي العظيم»، وكذا تعارف أرباب اللسان،
(كما^(٧)) قال الشاعر [الطويل]:

إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْنُكُمَا وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اخْتَلَزَ^(٨)

= انظر عن مقالاتهم وفرقهم: «الرد على البدع والأهواء»: ٦١ . «مقالات الإسلاميين»: ١٣٢ ،
٢٧٩ - ٢٨٠ . «البلد والتاريخ»: ١٤٦/٥ . «الفرق بين الفرق»: ٢١١ . «الفصل»: ٢/٢٩٦ -
٣٠٢ . «التبصير»: ٦٣ - ٦٤ .

(١) سقطت من (ب) .

(٢) في (ب): اتفق على .

(٣) سقطت من (ب) .

(٤) سقطت من (ب) .

(٥) سورة الواقعة، الآية: ٧٤ .

(٦) في (ب) زيادة (والسجود) .

(٧) في (ب): حتى .

(٨) البيت للبيد .

(فَقَدْ اخْتَلَزَ) أي: فقد أتى بعلر صحيح، ويقال: قد علَّر الرجل في الحاجة إذا قصر فيها، وقد
أهلر إذا بالغ ولم يقصر، من ذلك قولهم: قد أهلر من أنلر، أي قد جاء بمحض العلر من-

والمراد منه: السلام عليكما.

وكذا إذا قال الرجل: زينب طالق، واسم امرأته زينب، يقع الطلاق على ذات المرأة، لا على اسمها، إلا أن الاسم يذكر ويراد به التسمية، فإذا استعمل الاسم بمعنى التسمية يكون غير المسمى لا محالة، كما (يقال^(١)) ما اسمك؟.

(فيقول^(٢)): محمد، يريد السؤال عن التسمية، بدليل أنه ذكر بكلمة (ما)، وإنه لغير العقلاء، ثم إذا استعمل بكلمة (من)، (فيقال^(٣)): من محمد؟. (فيقول^(٤)) إنا نضيفه إلى الذات، ولا يقال: إن محمد اسمي؛ فدل ذلك على صحة ما قلنا، (وبالله التوفيق^(٥)). [١٢ / أ]

= أنلرك المخوف.

(١) في أ: (قال).

(٢) في أ: (تقول).

(٣) في (ب): (فيقول).

(٤) في أ: (يقول).

(٥) في (ب): والله الموفق.

الْقَوْلُ فِي نَفْيِ التَّشْبِيهِ

قد أثبتنا صفات الكمال الله تعالى، ردًا على المعطلة^(١)، فلا بد من نفي المماثلة و(قصده^(٢)) التشبيه ردًا على المشبهة ليتضح المنهج القويم، والصراط المستقيم^(٣).

فكلاً طرفي الأمور دميمٌ، وخيرُ الأمور أوسطها، (ودلالة ذلك قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٤)، نفى المماثلة بقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ودلَّ على ثبوت الصفات بقوله: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٥)).

واختلف القائلون فيما يثبت به المماثلة

قالت الفلاسفة، والباطنية، وجهم بن صفوان^(٦): المماثلة تثبت بالاشتراك

(١) هم القائلون: إن كل ما وقع عليه وَهْمُ الإنسان فهو مخلوق.

انظر عن مقالاتهم: «الرد على البدع والأهواء»: ١٠٥. «التنبيه والرد»: ٩١ - ٩٢ - ٩٦.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) سقطت من (ب).

(٤) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٥) سقطت من (ب).

(٦) هو أبو محرز، ويذكر بالترمذي، والسمرقندي، وكان كاتباً للحارث بن سريج الذي ثار ضد الأمويين، وحكم جهات من خراسان الشرقي بين ١١٦ - ١٢٨ هـ. وقُبض على جهم، وقتل في ١٢٨ هـ، وقد ألحقت الجهمية بالمرجئة. ويُذكر عنه أنه قاوم الفرقة المعروفة بالسُّنِّيَّة، إثباتاً =

في مجرد الوصف والتسمية، حتى امتنعوا عن تسمية الله تعالى موجودًا، وشيئًا، وحيا، وعالمًا، وقادرًا، نفياً للمماثلة بين الله تعالى وبين خلقه، وهذا باطل؛ لأن المماثلة لو ثبتت بالوصف العام لبطل تقسيم أرباب اللسان بين الأشياء من تسميتهم لبعض الأشياء ضدًا، وبعضها خلافًا، وبعضها جنسًا، وبعضها مثلًا، بل كانت الأشياء كلها متماثلة، حتى كان العجز مثلًا للقدرة، والسكون مثلًا للحركة، والشهد مثلًا للسَّم، وهذا مما يحيله العقلاء.

وقالت المعتزلة: المماثلة تثبت بالاشتراك في أخص الأوصاف؛ فإن العلم (مِثْلُهُ) ^(١) أوصاف ثلاثة: (موجود) ^(٢)، وعَرَضٌ، وعِلْمٌ.

(فالموجود) ^(٣) أعم أوصافه، والعرضية أوسطها، وكونه عالمًا أخصها؛ فالعلم (يمثل) ^(٤) العلم بكونه علمًا، لا لكونه موجودًا وعرضًا، ولهذا امتنعوا [ب/٢٢٣] عن وصف الله تعالى بالعلم نفياً للمماثلة بين الله تعالى وبين خلقه، وهذا أيضًا فاسد، لأن القدرة التي يحمل الإنسان بها عشرة أشياء تشارك القدرة التي يحمل بها غيره مائة، من في أخص أوصافها، ومع ذلك لا تماثلها.

= لوجود الله. وتنسب إليه الكثير من الآراء التي لا وجود إلا بعد موته.

وانظر للتوسع: «مقالات الإسلاميين»: ١٦٤/٢. «الانتصار»: ١٠٨ - ١١٠. «الطبري»: ٧/٢٢٠، ٢٢١، ٢٣٦، ٢٣٧. «الإرشاد»: ٩٦. «ميزان الاعتدال»: ٤٢٦/١. «الملل والنحل»، للشهرستاني: ١/١٨٠، ١/١٩٩ - ٢٠٠. «نهاية الإقدام»: ٢١٥. «الفصل»: ٢/١٢٦ - ١٢٨، ٤/٢٠٤. «سير أعلام النبلاء»: ٢٦/٦. «الكامل»، لابن الأثير: ٥/٣٤٢ - ٣٤٤. «الخطوط»، للمقرئ: ٢/٢٤٩، ٣٥١. «أوائل المقالات»: ٥٧ - ٥٨. «تاريخ الجهمية والمعتزلة»: ١٠ وما بعدها، للقاسمي. «جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي» رسالة ماجستير للباحث خالد العلي.

(١) في (ب): أمثاله.

(٢) في (ب): وجود.

(٣) في (ب): فالوجود.

(٤) في (ب): مماثل.

وعندنا المماثلة إنما تثبت بالاشتراك في جميع الأوصاف، حتى لو اختلفا في وصف واحد لا تثبت المماثلة، مثال ذلك: أن العلم متأ موجود، وعرض، وعلم، ومحدث، وجائز الوجود، ويتجدد في كل زمان، ولو أثبتنا العلم صفة الله تعالى، لكان موجوداً وصفةً، وقديماً، (وقائماً بذات الله تعالى، و^(١)) واجب الوجود من الأزلي إلى الأبد، فلا يماثل علم الخلق.

(وحد^(٢)) المثلين عندنا: أن يجوز على أحدهما من الأوصاف ما يجوز على الآخر.

وقيل حدّ المثلين: ما يسدُّ أحدهما مَسَدَّ الآخر، وهذا منفيّ بين صفات الله تعالى، وصفات الخلق، فلا يكونان مثلين.

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب): وقيل.

النَّوْلُ فِي أَرْيَةِ كَلَامِ اللّٰهِ تَعَالَى

[١٣/١] قَالَ أَهْلُ الْحَقِّ: - (١) - إِنْ اللّٰهُ تَعَالَى مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ وَاحِدٍ، أَرْيٌّ، أَبَدِيٌّ، قَائِمٌ بِذَاتِهِ، لَا يَفَارِقُ ذَاتَهُ، وَلَا يَزَايِلُهُ، لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ، غَيْرِ مُتَجَزِئٍ، وَلَا مُتَبَعِّضٍ.

وَزَعَمَ جَمْعُ الْمَعْتَزِلَةِ: أَنَّ اللّٰهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا فِي الْأَزَلِ، حَتَّى خَلَقَ لِنَفْسِهِ كَلَامًا، وَأَنَّ كَلَامَهُ حَادِثٌ، غَيْرُ قَائِمٍ بِذَاتِهِ.

(ثُمَّ (٢) اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ (قَالَ (٣) بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ مِنْ جِنْسِ (الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ (٤)، حَتَّى صَارَ مُتَكَلِّمًا بِخَلْقِ الْحُرُوفِ وَالْأَصْوَاتِ فِي مَحَلِّ الْقِرَاءَةِ.

(قَالَ (٥) بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْحُرُوفِ وَالْأَشْكَالِ، حَتَّى صَارَ مُتَكَلِّمًا بِأَحْدَاثِ الْحُرُوفِ (وَالْأَشْكَالِ (٦) فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: نَقَرُ بِكَلَامِ اللّٰهِ تَعَالَى، وَنَتَوَقَّفُ فِي أَنَّهُ حَادِثٌ أَوْ قَدِيمٌ، مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

(١) فِي (ب): نَصَرَهُمُ اللّٰهُ.

(٢) فِي (ب): يَلْ.

(٣) فِي (ب): وَزَعَمَ.

(٤) فِي (ب): الْأَصْوَاتُ وَالْحُرُوفُ.

(٥) فِي (ب): وَزَعَمَ.

(٦) سَقَطَتْ مِنْ (ب).

(وَحُبَّتَا فِي ذَلِكَ^(١)): أَنْ الْحَيَّ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَوْصُوفًا بِالْكَلَامِ، لَكَانَ مَوْصُوفًا
بِفَيْدٍ مِنْ أَضْلِلَاهُ، نَحْوِ السُّكُوتِ، وَالْخَرَسِ، وَالطُّفُولِيَّةِ، وَكُلِّ ذَلِكَ مِنْ
الْمَخْلُصِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَلَا أَنْ التَّعَرِّيَ عَنِ الْكَلَامِ لَوْ (كَانَ ثَابِتًا^(٢)) فِي الْأَزْلِ، ثُمَّ اتَّصَفَ بِالْكَلَامِ لِتَغْيِيرِ
عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَالتَّغْيِيرُ مِنْ أَمَارَاتِ الْحَدَثِ.

وَلَا أَنَّ الْكَلَامَ لَوْ كَانَ حَادِثًا لَا يَخْلُو أَمَّا إِنْ حَدَثَ فِي ذَاتِهِ كَمَا زَعَمَتِ
الْكِرَامِيَّةُ، فَيَصِيرُ مُحَلًّا لِلْحَوَادِثِ.

وَأَمَّا إِنْ حَدَثَ لَا فِي مُحَلٍّ، وَإِنَّهُ مُحَالٌّ، وَلَا قَائِلٌ بِهِ، وَلَأنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ
قَائِمًا (بِمَحَلٍّ لَمْ يَكُنْ^(٣)) اتِّصَافٍ هَذِهِ الذَّاتُ بِهِ أَوْلَى مِنْ اتِّصَافِ ذَاتِ آخَرٍ.

وَأَمَّا إِنْ حَدَثَ فِي مُحَلٍّ آخَرَ (كَمَا زَعَمَتِ الْمُعْتَزَلَةُ^(٤)) فَيَكُونُ الْمُتَكَلِّمُ بِهِ
ذَلِكَ الْمُحَلُّ لَا مِنْ أَحَدِهِ، كَالسَّوَادِ (وَالْبَيَاضِ^(٥))، وَالْحَرَكَةِ، وَ (وغير ذلك
مِنْ^(٦)) سَائِرِ الصُّفَاتِ.

ثُمَّ حَقِيقَةُ الْكَلَامِ: هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِالذَّاتِ، الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ (الْحُرُوفُ وَ
الْأَصْوَاتُ^(٧))، كَمَا فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ (الْأَخْطَلِ) [الْكَامِلُ]:

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفَوَادِ وَإِنَّمَا جَعَلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفَوَادِ دَلِيلًا
وَلِهَذَا (سَمِيَ^(٨)) أَهْلُ اللُّغَةِ: كُلُّ عِبَارَةٍ تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى كَلَامًا لَا غَيْرَ.

(١) فِي (ب): فَقَوْلُ فِي ذَلِكَ.

(٢) فِي (ب): لَوْ كَاتِبًا.

(٣) فِي (ب): بِلَا تَلَا لَا يَكُونُ.

(٤) زِيَادَةُ مِنْ (ب).

(٥) مَقْطُوعَاتُ مِنْ (ب).

(٦) زِيَادَةُ مِنْ (ب).

(٧) فِي (ب): الْأَصْوَاتُ وَالْحُرُوفُ.

(٨) فِي (ب): يُسَمَّى.

وقد صرّح ^(١) الكتاب بكلام النفس حيث، قال (جلّ جلاله) ^(٢): ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ^(٣).

والرجل يقول لغيره: لي معك كلام (أريد أن أخبرك به، إلا أن هذه الألفاظ سُميت كلامًا لدلالاتها على الكلام) ^(٤).

وكذا الأمة اجتمعت على تسمية ما في المصحف كلام الله تعالى، وكذا سمّوا ما (يقراه) ^(٥) القارئ أيضًا كلام الله تعالى.

واتفقنا على الخصوم: أن كلام الله تعالى معنًى واحدًا، وله حقيقة واحدة، والأشكال المنقوشة على القرطاس (مخالف) ^(٦) بحقيقتها الأصوات المقطعة في اللّهوات، فلو كانت الحروف المكتوبة كلامًا حقيقة (لم تكن الأصوات المقطعة كلامًا حقيقة) ^(٧).

وكذا على القلب، ومع ذلك (سُمي) ^(٨) كل واحد منهما كلامًا، ولا مناسبة بينهما إلا ^(٩) من حيث الدلالة؛ فإن المكتوب يدل على عين ما يدل عليه الملفوظ. [١٤/أ]

علم أن كل واحد منهما يسمّى كلامًا، لدلالته على الكلام، وهو معنى قول ^(١٠) (سلفنا الصالح - عليه السلام) -: إن كلام الله تعالى مكتوب في مصاحفنا،

(١) في (ب): في.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٨.

(٤) سقطت من (ب).

(٥) في (ب): يقرؤه.

(٦) في (ب): تخالف.

(٧) سقطت من (ب).

(٨) في (ب): يسمى.

(٩) سقطت من (ب).

(١٠) في (ب): قولنا.

مقروءةً بالسُّنَّةِ^(١)، محفوظ في قلوبنا، غيرُ حالٍ فيها.

كما أن النارَ (مذكور^(٢)) على اللسان، مكتوبٌ على القرطاس، غيرُ حالٍ فيهما.

فأما^(٣) القرآنَ (فتارة^(٤)) يُطلق على المقروء، وتارةً يُطلق على القراءة، وتارةً يطلق [ب/ ٢٢٤] على المكتوب.

فإذا ذكر لفظُ القرآن مع (قرينة^(٥)) تدلُّ على المقروء، كان قديمًا غير مخلوق، كما قلنا: (إن القرآن^(٦)) كلام الله، غير مخلوق.

وإذا دُكر مع قرينةٍ تدلُّ على القراءة، كما يقال: قرأتُ نصفَ (القرآن^(٧))، أو ثلثه، أو ريعه.

أو ذكر مع قرينةٍ تدلُّ على المكتوب، كما يقال: يحرم على المُحدث (والجُنُب^(٨)) مسُّ القرآن، كان المراد منه (الدلالة^(٩)) على كلام الله تعالى؛ فيكون حادثًا، ومخلوقًا، خلافًا لما تَوَهَّمت الحنابلة: أن حروف القرآن غير مخلوقة، وهو باطل؛ لِمَا أن ما يتجزأ ويتبعَّض لا بُدَّ وأن يكون حادثًا ومخلوقًا.

وقول من تَوَقَّف في أن كلام الله تعالى حادث أم قديم، مخلوق أو غير مخلوق؛ فهو باطلٌ، لأنَّ التوقف موجب الشك، والشك فيما يفترض

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب): مذكورة.

(٣) في (ب): فإن.

(٤) في (ب): تارة.

(٥) في (ب): دلالة.

(٦) سقطت من (ب).

(٧) في (ب): نصف.

(٨) سقطت من (ب).

(٩) في (ب): الحروف الدالة.

اعتقاده، كالإنكار سواء؛ فيكون كمن زعم أنني أعتقد أن الله تعالى موجود، ولكن أتوقف (في^(١)) أنه واحد أو اثنان أو ثلاثة، لاختلاف الناس في ذلك.

فإن قيل: لو كان كلام الله تعالى قديمًا، وهو أمر^(٢) ونهي^(٣)، كيف يصح الأمر والنهي، والمأمور والمنهي لم يوجد بعد.

قلنا: كما (يصح^(٤)) عندكم الخطاب على كل من كان في عصرنا الآن، بكلام حدث في عصر النبي ﷺ، وهم معدومون في ذلك الوقت؟ فكل جواب لكم فيه، فهو جوابنا عن هذا الإشكال.

ثم نقول: الأمر للمعدوم ليجب في الحال لا يجوز، فأما الأمر (للمعدوم^(٥)) ليجب وقت وجوده جائز.

فإن قيل: سمعنا الله تعالى يقول: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾^(٦)، كيف يستقيم الإخبار في الأزل، عن إرسال نوح ﷺ^(٧) بلفظ الماضي، ونوح وقومه لم يوجدوا بعد؟

قلنا: إخبار الله تعالى لا يتنوع إلى الماضي والمستقبل.

بل نقول: قام بذات الله تعالى في الأزل، إخبار عن إرسال نوح ﷺ^(٧) مطلقًا، وإنه باقٍ من الأزل إلى الأبد، فقبل الإرسال كانت الصيغة الدالة عليه: (أنا نرسل نوحًا)، وبعد الإرسال: (إنا أرسلنا نوحًا)، والتغير في المُخْبَر به، لا في الإخبار.

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب): أو.

(٣) في (ب): صغ.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) سورة نوح، الآية: ١.

(٦) زيادة من (ب).

(٧) زيادة من (ب).

وهذا كما قلنا في علم الله: إنه قام بذاته في الأزل علم بأن نوحًا عليه السلام (١) مرسلٌ، وعلمه باقي من الأزل إلى الأبد، وقبل (الإرسال) (٢) أنه: سيوجد، ويرسل، وبعد (الإرسال) (٣) علم بذلك العلم: أنه وُجدَ، وأُرسِلَ، والتغيير يكون في المعلوم، لا في العلم، فكذا هذا.

ثم اختلف [١٥/١] أهل السنة أن:

كلامه (جل جلاله) (٤) مسموع أم غير مسموع؟

فاختار الأشعري: أن كل موجود، كما يجوز أن يرى، يجوز أن يُسمع. وقال ابن فورك (٥): المسموع عند قراءة القارئ شيئان: صوت القارئ، وكلام الله تعالى.

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب): وجوده.

(٣) في (ب): وجوده.

(٤) سقطت من (ب).

(٥) أبو بكر، محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني. كان أشعريًا، رأسًا في فن الكلام، أخذ عن أبي الحسن الباهلي، عن أبي الحسن الأشعري. له «تفسير القرآن» قد انتهت من تحقيقه كاملاً، وهو في طريقه إلى الطباعة أثناء كتابة هذه السطور.

انظر للمزيد عنه: «الرسالة القشيرية»: ٣١٠. «الفصل»: ٧٥/١، ١٦٢/٤. «المنتخب من السياق»: ١٧. «التبصير في الدين»: ١١٨. «الأنساب»: ٢٥٧/١٠. «تبيين كذب المفتري»: ٢٣٢. «التقيد لمعرفة رواة السنن والمسانيد»: ٤٦/١. «تكملة الإكمال»: ٥١١/٤. «اللباب في تهذيب الأنساب»: ٢٢٦/٢. «إنباء الرواة»: ١١٠/٣ - ١١١. «وفيات الأعيان»: ٢٧٢/٤ - ٢٧٣. «فهرست اللبلي»: ٩٢. «سير أعلام النبلاء»: ٢١٤/١٧ - ٢١٦. «العبر»: ٩٥/١. «تلخيص ابن مکتوم»: ٢٠٣. «الوافي بالوفيات»: ٣٤٤/٢. «مرآة الجنان»: ١٧/٣ - ١٨. «طبقات السبكي»: ١٢٧/٤ - ١٣٥. «طبقات الإسنوي»: ٢٦٦/٢ - ٢٦٧. «النجوم الزاهرة»: ٢٤٠/٤. «تاج التراجم»: ٢٥٨ - ٢٥٩. «طبقات ابن شهبة»: ١٩٠/١. «طبقات المفسرين»، للداودي: ١٢٩/٢. «شلرات الذهب»: ١٨١/٣ - ١٨٢. «تاج العروس»: ١٦٧/٧. «روضات الجنات»، للبخونساري: ٦٨٥. «كشف الظنون»: ٢٠٠، ٤٣٩، ١١٠٦، ١٩٦٠. «إيضاح المكنون»: ٤٧٥/١، ٤٨٩/٢. «هدية العارفين»: ٦٠/٢. «آثار الأدهار»، للخوري: ٣٧٣/٢. «دائرة المعارف»، للبستاني: ٤٣٦/٣. «تاريخ الأدب العربي»، لبروكلمان: ٢١٧/٣ (النسخة =

وقال أبو بكر الباقلاني^(١): كلامه (جل ذكره)^(٢) غير مسموع على العادة الجارية، ولكن يجوز أن يُسمع الله تعالى كلامه من شاء من خلقه، على خلاف العادة.

وعند هؤلاء: سمع موسى (صلوات الله عليه كلام)^(٣) الله تعالى، من غير واسطة الصوت والحرف.

= الألمانية: ١/ ١٧٥، والذيل والمستدرك: ١/ ٢٧٧. «طبقات الأصوليين»، للمراغي: ١/ ٢٦٦. «الأعلام»: ٦/ ٨٣. «معجم المؤلفين»: ٩/ ٢٠٨. «تاريخ التراث العربي»، لسزكين: ١/ ٥١١/٤.

وفورك: ضبطها ابن خلكان، والسمعاني، وابن الأثير، والصفدي، والسيوطي، وابن العماد: بضم الفاء، وسكون الواو، وفتح الراء، وبعدها كاف، وضبطها الزبيدي بضم الفاء وفتحها. (١) القاضي: أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم، البصري، ثم البغدادي، ابن الباقلاني، صاحب التصانيف، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه. كان ثقة، إماماً، بارعاً، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج، والجهمية، والكرامية. انتصر لطريقة أبي الحسن الأشعري، وقد يخالفه في مضايق؛ فإنه من نظرائه، وقد أخذ علم النظر عن أصحابه. مات في ذي القعدة، سنة ثلاث وأربعمئة.

انظر للمزيد عنه: «تاريخ بغداد»: ٥/ ٣٧٩ - ٣٨٣. «ترتيب المدارك»: ٤/ ٥٨٥ - ٦٠٢. «الأنساب»: ٢/ ٥١ - ٥٢. «تبيين كذب المفتري»: ٢١٧ - ٢٢٦. «المنتظم»: ٧/ ٢٦٥. «اللباب»: ١/ ١١٢. «وفيات الأعيان»: ٤/ ٢٦٩ - ٢٧٠. «المختصر في أخبار البشر»: ٢/ ١٤٤. «سير أعلام النبلاء»: ١٧/ ١٩٠ - ١٩٣. «المعبر»: ٣/ ٨٦. «دول الإسلام»: ١/ ٢٤٢. «الوافي بالوفيات»: ٣/ ١٧٧. «مرآة الجنان»: ٣/ ١٠٠٦. «البداية والنهاية»: ١١/ ٣٥٠ - ٣٥١. «الدِّيَاج المذهب»: ٢/ ٢٢٨ - ٢٢٩. «النجوم الزاهرة»: ٤/ ٢٣٤. «شذرات الذهب»: ٣/ ١٦٨ - ١٧٠. «إيضاح المكنون»: ٢/ ٦٩١. «هدية العارفين»: ٢/ ٥٩. «شجرة النور الزكية»: ١/ ٩٢ - ٩٣.

وانظر كتاب «الباقلاني وإعجاز القرآن» للأستاذ أحمد صقر. و«الباقلاني وآراؤه الكلامية» لمحمد رمضان عبدالله.

قال ابن خلكان في نسبته: «هذه النسبة إلى الباقلي وبيعه، وفيه لغتان: من شدد اللام قصر الألف، ومن خففها مد الألف فقال: باقلاء. وهذه النسبة شاذة لأجل زيادة النون فيها، وهي نظير قولهم في النسبة إلى صنعاء: صنعاني، وإلى بهراء: بهراني» وفیات الأعيان: ٤/ ٢٧٠.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) في (ب): عليه السلام.

وقال أبو إسحاق الأسفراييني^(١)، ومن تابعه: إن كلامه غير مسموع أصلاً، وهو اختيار الشيخ الإمام أبي منصور - **رحمه الله** - .

وقوله جل جلاله: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٢)؛ (أراد به^(٣)) حتى يسمع ما يدلُّ على كلام الله تعالى، كما يقال: سمعت علم فلان، (أنه^(٤)) يدلُّ على علمه، ويقال: انظروا إلى قدرة الله تعالى، أي: ما يدلُّ على قدرته.

وعند هؤلاء: سمع موسى **عليه السلام** ^(٥) صوتاً دالاً على كلام الله تعالى، إلا أنه لم تكن فيه واسطة الكتاب والملك، فسمي كليم الله لذلك، وشرحه في «الكفاية»^(٦) ومن الله الهداية.

(١) أبو حامد، أحمد بن أبي طاهر، محمد بن أحمد الأسفراييني، شيخ الشافعية ببغداد. عالم بالفقه والأصول. كان يلقب بركن الدين، قال ابن تغري بردي: وهو أول من لقب من الفقهاء. ولد سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. مات أبو حامد في شوال، سنة ست وأربعمائة مئة.
انظر للمزيد عنه: «طبقات العبادي»: ١٠٧. «طبقات الشيرازي»: ١٠٣. «تاريخ بغداد»: ٤/ ٣٦٨ - ٣٧٠. «الأنساب»: ١/ ٢٣٧ - ٢٣٨. «المنتظم»: ٧/ ٢٧٧ - ٢٧٨. «معجم البلدان»: ١/ ١٧٨. «تهذيب الأسماء واللغات»: ٢/ ٢٠٨ - ٢١٠. «وفيات الأعيان»: ١/ ٧٢ - ٧٤. «المختصر في أخبار البشر»: ٢/ ١٥٢. «سير أعلام النبلاء»: ١٧/ ١٩٣. «العبر»: ٣/ ٩٢. «دول الإسلام»: ١/ ٢٤٣. «الوافي بالوفيات»: ٧/ ٣٥٧ - ٣٥٨. «مرآة الجنان»: ٣/ ١٥. «طبقات السبكي»: ٤/ ٦١ - ٧٤. «طبقات الإسروي»: ١/ ٥٧. «البداية والنهاية»: ١٢/ ٢ - ٣. «النجوم الزاهرة»: ٤/ ٢٣٩. «طبقات ابن هداية الله»: ١٢٧ - ١٢٨. «شذرات الذهب»: ٣/ ١٧٨ - ١٧٩. «تاج العروس»: ٩/ ٢٣٦.

(٢) التوبة: ٦.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) في (ب): أي ما.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) كتاب «الكفاية» للمولف، وسيطع في القريب باعتائنا - بمشينة الله - .

الْقَوْلُ فِي التَّكْوِينِ وَالْمُكَوَّنِ

قال (أصحابنا - رحمهم الله - ^(١)): إن جميع الصفات (قديمة قائمة ^(٢)) بذات الله تعالى.

وقالت الأشعرية والمعتزلة: ما كان من صفات الذات (فهي قديمة قائمة ^(٣)) بذات الله تعالى، (نحو ^(٤)): (العلم ^(٥))، (والقدرة ^(٦)).

وما كان من صفات الفعل؛ (فهي حادثة غير قائمة ^(٧)) بذات الله تعالى، نحو: التكوين، والرِّزْق، والإحياء، والإماتة، وغير ذلك.

ثم اختلفوا فيما بينهم أن:

التكوين إذا لم (يقم ^(٨)) بذات الله تعالى، هل هو عين المكوَّن أو غيره؟ وزعم الأشعري: أنه عين المكوَّن.

وزعم عامة [ب/ ٢٢٥] المعتزلة: أنه وراء المكوَّن.

(١) في (ب): أهل الحق - نصرهم الله -.

(٢) في النسختين: قديم قائم.

(٣) في النسختين: فهو قديم قائم.

(٤) سقطت من (ب).

(٥) في (ب): كالعلم.

(٦) في أ: والحياة.

(٧) في النسختين: فهو حادث غير قائم.

(٨) في (ب): يكن.

ثم اختلفت المعتزلة في محله، قال أبو الهذيل^(١): إن التكوين قائم بالمكون.

وقال ابن الراوندي^(٢)، وبشر بن المفضل^(٣): إنه لا في المحل.

(١) هو رأس المعتزلة: أبو الهذيل، محمد بن الهذيل، البصري، العلاف، صاحب التصانيف. أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل، تلميذ واصل بن عطاء الغزال. مات في سنة سبع وعشرين ومائتين، ويقال: بقي إلى سنة خمس وثلاثين. أخذ عنه: علي بن ياسين وغيره من المعتزلة. انظر ترجمته وآراءه في: «مروج الذهب»: ٢/٢٩٨. «طبقات المعتزلة»، للقاضي عبد الجبار: ٢٥٤ - ٢٦١. «طبقات المعتزلة»: ٤٤ - ٤٩. «أمالى المرتضى»: ١/١٧٨ - ١٨٣. «الفهرست»، لابن النديم: ٢٠٣ - ٢٠٤. «الفرق بين الفرق»: ١٢١ - ١٣٠. «التبصير»: ٤٢. «الملل والنحل»، الشهرستاني: ١/٤٩ - ٥٣. «تاريخ بغداد»: ٣/٣٦٦. «وفيات الأعيان»: ٤/٢٦٥ - ٢٦٧. «سير أعلام النبلاء»: ١٠/٥٤٢. «العبر»: ١/٤٢٢. «نكت الهميان»: ٢٧٧. «لسان الميزان»: ٥/٤١٣ - ٤١٤. «شرح المواقف»: ٣/٢٨٣. «الخطوط»: ٢/٣٤٦. «النجوم الزاهرة»: ٢/٢٤٨. «روضات الجنات»: ١٥٨. «شلمات الذهب»: ٢/٨٥. «المعتزلة»، لزهدي جاره: ١٢٣ - ١٢٨. «أبو الهذيل العلاف»، لعلي مصطفى الغرابي: ١٥ - ١٢٩.

(٢) هو: أبو الحسن، أحمد بن يحيى الحسين الراوندي، نسبة إلى راوند، قرية تابعة لأصبهان، متكلم مشهور، كان معتزلياً ثم فارقهم وقاومهم، وكانت له علاقة بالنشيع - وإن كان لزمان محدود -، وقد أثنى أبو حيان التوحيدي على فكره الثاقب وجذقه للغة العربية. له من الكتب مائة وأربعة عشر كتاباً، منها كتاب: «فضيحة المعتزلة»، وكأنه أراد مناقضة كتاب معاصره الجاحظ «فضيلة المعتزلة» اتهم بالزندقة، ولعل هذا الاتهام جاءه من قبيل المعتزلة لتحامله عليهم. توفي سنة ٢٤٥ أو ٢٥٠.

انظر للتوسع: «الرد على البدع والأهواء»: ٩٢. «مقالات الإسلاميين»: ٢/٢٤٠. «مروج الذهب»: ٣/٢٥٢ - ٢٥٤. «البلد والتاريخ»: ٥/١٣١ - ١٣٣، ٦/٨٣. «الفرق بين الفرق»: ٢٧٢. «الفهرست»: ٢١٦ - ٢١٧. «تكملة الفهرست»: ٥٤. «المنتظم»: ٦/٩٩ - ١٠٥. «وفيات الأعيان»: ١/٩٥ - ٩٤. «منهاج السنة»: ١/٥٠٠ - ٥٤٦. «العبر»: ٢/١١٦. «سير أعلام النبلاء»: ١٤/٥٩. «دول الإسلام»: ١/١٨٢. «الوفاي بالوفيات»: ٨/٢٣٢ - ٢٣٨. «مرآة الجنان»: ٢/١٤٤ - ١٤٥، ٢٣٧ - ٢٣٨. «البداية والنهاية»: ١١/١١٢ - ١١٣. «طبقات المعتزلة»، لابن المرتضى: ٩٢. «لسان الميزان»: ١/٣٢٣ - ٣٢٤. «النجوم الزاهرة»: ٣/١٧٥ - ١٧٧. «شلمات الذهب»: ٢/٢٣٥ - ٢٣٦. «معاهد التنصيص»: ١/١٥٥.

(٣) هو: أبو سهل الهلالي، ويعتبر مؤسس مدرسة بغداد الاعتزالية، سجنه هارون الرشيد لمناصرتة للمعلوين، فألف بشر في مدحه قصيدة طويلة جداً (أربعون ألف بيت) في العدل والتوحيد والوحد، والرد على جميع المخالفين، وذاعت القصيدة وراجت، فأطلق الرشيد سراحه. وكان إماماً بليغاً فصيحاً. ولم يصلنا - وللأسف - من نألفه إلا نصف بشر فيها قضايا اعتزالية منها قضية =

وقالت الكرامية: إن التكوين حادث قائم بلمات الله تعالى، ويوصف الله تعالى عندهم في الأزل بأنه خالق بمعنى الخالقية، (وأنها^(١)) عبارة عن القدرة على الخلق، (وهذا باطل^(٢))، والصحيح ما قلنا.

(وحجبتنا في ذلك^(٣)) قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾^(٤) وصف ذاته بأنه خالق، وذاته أزلي، وكلامه أزلي، فلو كان التكوين حادثاً لم يكن الله تعالى موصوفاً به في الأزل؛ فيكون كذباً أو مجازاً، تعالى الله عن ذلك (علواً كبيراً^(٥)).

وتحقيق ذلك: (٦) أن الخالق اسم مشتق من الخلق، كالعالم مشتق من العلم، وإنما يتحقق الاسم المشتق (من المعنى^(٧)) على من قام به ذلك المعنى، كالمتحرك على من قامت به الحركة.

وتأويل الكرامية الآية بأنه خالق في الأزل، بمعنى الخالقية، وهو قدرته [١٦/١] على الخلق، تأويل فاسد؛ فإن الاسم المشتق من القدرة، هو القادر لا الخالق.

= التولد في أفعال الإنسان، وعلاقاتها باستطاعته وقيام فعله الاختياري على الأسباب. ومما نسب إليه من الكتب: كتاب «تأويل المتشابه»، وكتاب «الرد على الجاهل»، وكتاب «العدل». وانظر المنقول عنه في «الانتصار» للخياط، و«المعتزلة» لابن المرتضى، و«فضل الاعتزال» للجشمي، ومؤلفات الجاحظ. وتوفي في فترة تقع بين ٢١٠ و ٢٢٦ هـ.

انظر «الأغاني»: ١٢٨/٣. «الفرق بين الفرق»: ١٥٦. «الانتصار»: ١٩٤. «الفهرست»: ١٨٤، ٢٠٥. «الملل والنحل»: ٦٤/١. «طبقات المعتزلة»: ٢٦٥ - ٢٦٦. «الأنساب»: ٢٣١/٢. «اللباب»: ١٥٦/١. «سير أعلام النبلاء»: ٢٠٣/١٠. «الوافي بالوفيات»: ١٥٥/١٠. «أمالي المرتضى»: ٨٩/١. «لسان الميزان»: ٣٣/٢. «تاريخ التراث العربي»، سزكين: ٣٩٥/٢ - ٣٩٦ ر ٣.

(١) في (ب): وهي.

(٢) زيادة من (ب).

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في (ب): له الأسماء الحسنى. «تمة الآية». الحشر: ٢٤.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) في (ب): وهو.

(٧) سقطت من (ب).

ولأن القادر على الزنى، لا يوصف بكونه زانيًا، وكذا في سائر الصفات .

ولأن اسم الخالق اسم مدح، فلو لم يكن موصوفًا به في الأزل، ثم اتصف به الآن، فقد اكتسب (لذاته^(١)) بوجود الخلق زيادة مدح، لم يكن له في الأزل، وإنه محالٌ .

وأما المعقول: وهو أن التكوين لو كان حادثًا، لا يخلو إما إن كان حادثًا بتكوين الله (تعالى^(٢)) إياه (أو^(٣)) بدون التكوين؟

إن قال: (بالأول^(٤))، نقول: (٥) ذلك التكوين قديم أم حادث؟

إن قلت: هو قديم، فهو الذي ندعيه .

وإن قلت: حادث؛ فالسؤال يعود إلى أن يتسلسل .

وإن قال^(٦): بدون التكوين، (فقد صرّحت بحدوث شيء بدون الصانع، وفيه تعطيل الصانع جلّ وعلا^(٧))، فإذا جاز حدوث حادث بدون التكوين، جاز أيضًا حدوث الحوادث، وفيه تعطيل الصانع (جلّ وعلا^(٨)) .

ولأن التكوين لو كان حادثًا، لا يخلو إما إن حدث في (ذات الله تعالى^(٩))، كما ذهب^(١٠) إليه الكرامية، وهو فاسد؛ لما فيه من جعل القديم محلًّا للحوادث .

(١) سقطت من (ب) .

(٢) في (ب): عز وجل .

(٣) في (ب): أو .

(٤) في (ب): إن قال بتكوين الله عز وجل إياه بالأزل .

(٥) في (ب): إن .

(٦) في (ب): قلت .

(٧) زيادة من (ب) .

(٨) زيادة من (ب) .

(٩) في (ب): ذاته .

(١٠) في أ: نعم .

ولما إن حدث لا في محل، كما ذهب إليه ابن الراوندي وبشر بن المعتمر، وهو محال؛ لاستحالة وجود الصفة لا في محل.

ولأن التكوين إذا لم يكن قائماً بمحلٍ لم يكن انضمام ذاته به أولى من انضمام ذات آخر.

ولما إن حدث في ذات^(١) آخر، كما قال^(٢) أبو الهذيل: إن تكوين كل جسم (خالقاً ومكوناً لنفسه وفيه تعطيل الصانع، على أن^(٣) هذا الكلام لا يصح في الأعراض، لما أن قيام الشيء بالأعراض محال. ولأن التكوين لو كان هو المكون أو قائماً به، لكان وجود المكون بنفسه، واستغنى في وجوده عن غيره؛ فيكون قديماً.

والخصم إنما امتنع عن القول بقدم التكوين، تحريزاً عن القول بقدم المكونات، وقد وقع (في ما^(٤)) تحريز عنه (مع ركوب^(٥)) هذا المحال.

ولأن السواد لما كان مكوناً، وهو بعينه تكوين عندكم؛ فكل ذات قام به السواد قام به التكوين لا محالة ضرورة اتحادهما؛ فإذا وصف الذات بأنه أسود، لقيام السواد به (لزم^(٦)) أن تصفه بأنه مكون، لقيام التكوين به، فإذا لم تصف الله تعالى بأنه أسود، لأن السواد لم يقم به، لا يمكنك أن تصفه بأنه مكون، لأن التكوين لم يقم به.

وهذا كالخبر متى كان صدقاً؛ فكل ذات قام به (الخبر^(٧))، كان مخبراً

(١) في (ب): محل.

(٢) في (ب): ذهب إليه.

(٣) في (ب): قائماً بذلك.

(٤) في (ب): عن ما.

(٥) سقطت من (ب).

(٦) في (ب): لزمك.

(٧) سقطت من (ب).

صادقًا، وكل ذات لم يقم به لم يكن مخبرًا ولا صادقًا ضرورة اتحادهما .
 فإن قيل: لو كان التكوين أزليًا، وهو قائم بذات الله تعالى، لتعلق وجود
 العالم (به في الأزل؛ [١٧/أ] فيكون العالم قديمًا لا حادثًا .
 قلنا: متى سلّمتم تعلق وجود العالم بالتكوين^(١)، فقد سلّمتم حدوث
 العالم، إذ القديم: ما لا يتعلق وجوده (بغيره)^(٢)، وما تعلق وجوده (بغيره)^(٣)
 فهو حادث .

ثم نقول: التكوين في الأزل، ما كان ليكون العالم به في الأزل، بل يكون
 كل شيء كائنًا به وقت وجوده، على حسب علمه وإرادته، وتكوينه باق من
 الأزل إلى الأبد، [ب/٢٢٦] فيتعلق وجود كل موجود وقت وجوده بتكوينه
 الأزلي .

وهذا؛ كمن علّق طلاق امرأته في شعبان بدخول رمضان، يبقى التعليق
 حكمًا إلى رمضان، (ليتعلق الطلاق^(٤)) وقت وجوده، بذلك (التعليق^(٥)) .
 وكمن جرح إنسانًا يوم السبت، (فسرّي حتى مات المجروح يوم الجمعة، كان
 الجراح قاتلاً من يوم السبت^(٦))، وإن ظهر أثره يوم الجمعة (فكذلك هنا^(٧)) .
 والقاطع للشغب، أن نقول: هل تعلق وجود العالم (بذات القديم^(٨))، أو
 بصفة من صفاته عندكم أم لا؟ .

-
- (١) سقطت من (ب) .
 (٢) في (ب): لغيره .
 (٣) في (ب): لغيره .
 (٤) زيادة من أ .
 (٥) في (ب): التعلق .
 (٦) سقطت من (ب) .
 (٧) في (ب): فكلاهما .
 (٨) في (ب): بلاته الأزلي .

إن قالوا: لا؛ فقد صرّحوا بتعطيل الصّانع (جلّ وعلا^(١)).

وإن قالوا: نعم.

قلنا: هل اقتضى ذلك قِدَمَ العالم أم لا؟

فكلُّ جواب لكم (عنه^(٢))؛ فهو جوابنا في (مسألة^(٣)) التّكوين على أن عند الأشعري تعلّق وجود العالم، بخطاب: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤) تكوينًا، وإنه: قديم قائم بذات الله تعالى، فيكون مناقضًا لقوله في مسألة التّكوين، والله الموفق.

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب): له.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

الْقَوْلُ فِي جَوَازِ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى

ذهب أهل الحق: إلى أن رؤية الله تعالى بالأبصار جائزة عقلاً، وواجبة سمعاً، للمؤمنين في دار الآخرة.

خلافًا للمعتزلة، والخوارج^(١)، والنَّجَارِيَّة، والزَّيْدِيَّة من الرُّوَافِض^(٢).

(١) أقدم فرقة دينية في الإسلام، ركزت عقيدتها على قضية سياسية، وكان تاريخها السياسي عبارة عن سلسلة من الثورات المستمرة انتهت أحيانًا بالاستحواذ على سلطةٍ وقتيةٍ لإماراتٍ كاملة.

انظر مقالاتهم وفرقهم الكثيرة في: «الرد على البدع والأهواء»: ٦١. «مقالات الإسلاميين»: ٨٦ - ١٣١. «مروج الذهب»: ١٤٥/٣. «البدء والتاريخ»: ١٣٤/٥ - ١٣٩. «الفهرست»: ٢٥٦ - ٢٥٩. «التنبيه والرد»: ٤٧ - ٩١، ١٧٨ - ١٨٥. «الفرق بين الفرق»: ٧٢ - ١١٤. «الفصل»: ٥١/٥ - ٥٦. «التبصير»: ٢٦ - ٣٦. «أصول الدين»، للبزدوي: ٢٤٢ - ٢٤٨ - ٢٤٩. «المحلل والنحل»، للشهرستاني: ١١٤/١ - ١٣٨. «المواقف»: ٤٢٤. «شرح المواقف»: ٣/٢٩١ - ٢٩٣.

(٢) الزَّيْدِيَّة ليست من فرق الرَّاافضة، وإنما هي من فرق الشَّيعَة، وهم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومن مقالته:

إن الإمامة تنعقد للمفضول مع وجود الفاضل للمصلحة في ذلك. ومن أجل هذا رأى انعقاد الخلافة لأبي بكر وعمر مع أن عليًا أفضل منهما، وكان لا يتبرأ منهما، ولما بلغ شيعة الكوفة عنه أنه لا يتبرأ منهما رفضوه، فسمُّوا رافضة.

ومن مذهبه: سوق الإمامة في أولاد فاطمة: الحسن، والحسين، وأولادهما. وجواز خروج إمامين في قطرين على أن يكون كل منهما من أولاد فاطمة، ويتحلى بالعلم، والزهد، والكرم، والشجاعة.

ومن رأيه بأن الخروج شرط في كون الإمام إمامًا، وكان يذهب في القدر إلى مذهب القدرية. وقد خرج زيد على هشام بن عبد الملك أيام خلافته، وبويع له بالخلافة، فقتل، وصلب بكناسة الكوفة عام ١٢١هـ.

وافترقت المعتزلة فيما بينهم، أنه تعالى هل يرى ذاته أم لا؟

فاعترفت عامتهم أنه يرى، وأنكرت طائفة منهم أن يرى ويرى.

وحُجَّة أهل الحق: سؤال موسى ﷺ الرؤية من الله تعالى، كما أخبر بقوله (جلّ جلاله^(١)) قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾^(٢) مع أنه عَرَفَ الله تعالى حق معرفته، مُتَّزِّهاً عن التشبيه والجهّة والمقابلة، واعتقد أنه مع ذلك (مَرِيئ^(٣))، حتى سأله أن يريه.

فمن زَعَم استحالة رؤية الله تعالى، فقد ادعى (معرفة^(٤)) ما جهله موسى (صلوات الله عليه^(٥)) من صفات الله تعالى، وهذا فاسد.

ولأن الله تعالى علّق رؤيته باستقرار الجبل، بقوله: ﴿فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَامُهُ فَسَوْفَ تَرَاهُ﴾^(٦)، واستقرار الجبل ممكن عقلاً.

= وما أجمعت عليه الزيدية: تخليد من ارتكب كبيرة من المؤمنين في النار، وتصويب عليّ، وتخطئة مخالفه، وتصويبه في التحكيم، وإنما أخطأ الحكماء، ويرون السيف والخروج على أئمة الجور، وأنه لا يصلّي خلف فاسق.

وقد افترقت الزيدية إلى فرق منها: الجارودية، والسليمانية، والبترية، والنعمية، واليمانية، والبعقرية.

قال شارح «المواقف»، الشريف الجرجاني بعد أن عدّد فرق الزيدية ومقالاتها: «وأكثرهم مقلّدون يرجعون في الأصول إلى الاعتزال، وفي الفروع إلى مذهب أبي حنيفة إلا في مسائل قليلة».

انظر عن الزيدية: «فرق الشيعة»: ١٩ - ٤٨ - ٥٢. «مروج الذهب»: ٣/ ٢٢٠. «المحلل والتحلل»: ١/ ١٣٧ - ١٤٠، ١٥٤. «فرق الشيعة»، للنويختي: ٤٦. «مقالات الإسلاميين»: ١/ ٧٨٩. «الفرق بين الفرق»: ٤٠، ٣٠٢. «نفائس الفنون»: ٢/ ٢٧٥. «أصول الدين»، للبزدوي: ٢٤٨. «كشف اصطلاحات الفنون»: ١/ ٦١٤. «دائرة معارف»، لفريد وجدي: ٤/ ٧٨٩. «مقاتل الطالبين»: ١٧٠ «تاريخ المذاهب الإسلامية»: ٤٤. وغيرها من المصادر ككتاب «الإمام زيد»، لمحمد أبي زهرة.

- (١) في (ب): عز وجل.
- (٢) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.
- (٣) في (ب): أنه يرى.
- (٤) في (ب): علم.
- (٥) في (ب): ﷺ.
- (٦) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(١) والتعليق بالممكن يدلُّ على إمكانه، ولأنَّ الله تعالى أخبر أنه تَجَلَّى للجبل، وهو: عبارة عن خلقي الحياة، والعلم، والرؤية في الجبل. نصُّ عليه الشَّيخ الإمام أبو منصور - رحمته -؛ فيدلُّ على جواز رؤيته.

فإن قيل (٢): إن كان ما ذكرتم يدلُّ على جواز الرؤية؛ [١٨/أ] فقوله عز وجل: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ (٣) يقتضي النفي على التأييد، ويدلُّ على استحالة الرؤية.

قلنا: نحن استدللنا بالآية على جواز الرؤية، وقوله عز وجل: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ يقتضي نفي الوجود، لا نفي الجواز، فلا يقع التعارض. وقوله: إنه نفي على التأييد.

قلنا: لا نسلم بأن كلمة (لن) للتأييد، بل للتأكيد فحسب، والدليل عليه قوله تعالى خبراً عن مريم: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ لِنِسَاءٍ﴾ (٤) قرنها باليوم، والتأييد مع التوقيت يتناقضان.

ولو كان للتأييد لكان المراد منه النفي في دار الدنيا، لا في دار الآخرة، والدليل عليه، قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ (٥)، ثم أخبر أنهم يتمنون الموت في الآخرة، بقوله عز وجل: ﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِّيَقْضِيَ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ﴾ (٦).

(١) من هنا وإلى آخر الباب تقريباً سقطت من نسخة (ب)، وتقدير للسقط بـ ٤٥ سطراً.

(٢) أشهر من أورد الموانع على الأدلة العقلية في جواز الرؤية هو الإمام فخر الدين الرازي، بحيث لجأ أهل السنة إلى القول بأن الأدلة العقلية على الجواز لم تثبت، وكذا الأدلة على المنع لم تثبت فثبت النصوص على ظواهرها في هذا الأمر.

انظر «الأربعين في أصول الدين» للإمام الرازي.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

(٤) سورة مريم، الآية: ٢٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٩٥.

(٦) سورة الزخرف، الآية: ٧٧.

وكذا قوله تعالى: ﴿وَبُجُوهٌ يُؤْمَرُ أَنْ يُدَافِعَ عَنْ وَجْهِهِ﴾ (١) يدلُّ على رؤية المؤمنين ربِّهم يوم القيامة؛ فإن أهل اللغة اتفقوا على أنَّ (النَّظَرَ) إذا عُذِّي بكلمة (إلى) يرادُّ به رؤية البصر.

وكذا قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ (٢) إلى غير ذلك من الآيات، واللقاء هو الرؤية.

وكذا قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئَةٍ وَزِيَادَةٍ﴾ (٣).

ذكر عامة أهل التفسير، مرفوعاً إلى رسول الله - ﷺ -، أن المراد من الزيادة رؤية الله تعالى. (٤)

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وأشهرها قوله ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا تُصَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» (٥).

وفي هذا تشبيه رؤية الله تعالى برؤية القمر في التيقن والوضوح، لا تشبيه المرئي بالمرئي.

ونقل حديث الرؤية أحد وعشرون عدداً من كبار الصحابة وعلمائهم، رضوان الله عليهم أجمعين، فيكون مشهوراً بحيث لا يسع إنكاره.

(١) سورة القيامة، الآيتان: ٢٢ - ٢٣.

(٢) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٣) سورة يونس، الآية: ٢٦.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين، رقم: (٢٢٦)، من حديث صهيب. وقد قرَّر الإمام الرازي الدليل على جواز رؤية الله تعالى من قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَسْئَةٍ وَزِيَادَةٍ﴾ على النحو التالي، قال: «(أل) في قوله: (الحسن) إما أن تكون للعهد، أو للاستغراق، ولا جائز أن تكون للاستغراق، وإلا لدخلت الزيادة فيها، وامتنع العطف، فوجب حمل (أل) على العهد، والمعهود عندنا الجنة وما فيها، وحيث يجب أن تكون الزيادة شيئاً آخر من صنوف النعيم، وهو الرؤية». انظر «الأربعين»: ٢٩٤/١.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر (٥٥٤) أطرافه: (٥٧٣)، (٤٨٥١)، (٧٤٣٤)، (٧٤٣٦). ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما (٦٣٣).

وكذا اختلفت الصحابة عليهم السلام: أن النبي ﷺ - هل رأى ربّه ليلة المعراج أم

٩٧

واختلافهم يدلُّ على جواز الرؤية؛ لأن العقلاء إنّما يختلفون في وجود الجائر، لا في وجود المَحال.

ومن حيث المَعْقُول أن تُثبت أن إمكان الرؤية في الشاهد، إنّما نشأ من الوجود لا غير، والله تعالى موجودٌ، فيجوز أن يُرى.

ودلالة ذلك: وهو أننا رأينا في الشاهد أشياء مختلفة الحقائق، نحو: الجواهر، والأجسام، والألوان المختلفة؛ كالحركة، والسكون، والألوان المتضادة، كالسوداد، والبياض.

والحركة بحقيقتها تخالف السكون، وكلاهما يخالفان السوداد، والبياض.

والأعراض [١٩/١] يَجْمَعُهَا تخالف الأجسام والجواهر، فلا بُدَّ من وَصْفٍ عامٍّ يشمل الكل، ليُحال جواز الرؤية إلى ذلك الوصف، لتَطَرُّدِ الْعِلَّةِ وتنعكس، وليس ذلك إلا الوجود.

فإن قيل: لا نَسْلَمُ بأنَّ ما سِوَى الأجسام مَرْتَبِيٍّ، بل المرتبي عندنا: المتحرّك والسّاكن، لا الحركة والسكون، كذلك في سائر الأعراض.

قلنا: إنكار رؤية هذه الأعراض، إنكار الحسّ والمشاهدة؛ فإن الحركة والسكون لو لم يكونا مَرْتَبِيَّيْنِ، لما وقع التَّمْيِيزُ بين المتحرّك والسّاكن، بحاسّة البصر، كما لم تُمَيِّزْ بالبصر بين الحارّ والبارد، والحلو والحامض، لمّا لم تكن هذه الأعراض مَرْتَبِيَّةً.

ونحقيقه: أنّا لا نشكُّ في علمنا بالتّفَرُّقِ بين حالتي الحركة والسكون في جسم واحد، - وأسباب العلم ثلاثة؛ إما العقل، أو الخبر، أو الحسّ. - وهذا العلم ليس من باب العقل، وقد انعدم الخبر، فتعيّن الحسّ، ويستحيل حصول هذا العلم بالشمّ والدّوق واللمس والسمع، فتعيّن البصر.

فإن قيل: كيف تصح دعواكم، وكثير من الموجودات لا يُرى؟.

قلنا: التزمنا بهذا التعليل جواز رؤية كل موجود لا وجودها، وما من موجود إلا ويجوز رؤيته، لكن الله تعالى أجرى العادة بعدم رؤية بعض الموجودات لحكمة، لا لأنه ليس بجائر الرؤية.

فإن قيل: لو كان مرئيًا، لكان في جهة من الرائي؛ فإننا ما رأينا في الشاهد شيئًا إلا وهو في جهة منّا.

قلنا: الرؤية إثبات الشيء كما هو بحاسة البصر، فإن كان المرئي بجهة يُرى في جهة، وإن كان منزهاً عن الجهات يرى كذلك، أليس أننا ما علمنا في الشاهد شيئًا إلا وهو في جهة من الجهات، ثم علمنا أن الله تعالى منزّه عن الجهات، وكذا هذا.

والدليل على صحة ما قلنا: أن الله تعالى يرانا، ولسنا بجهة منه، وكذا يرى ذاته، وليس هو في جهة، فكذا نراه، وليس بجهة منّا.

فإن قيل: لو كان مرئيًا لرأيناه في الحال، إذ لا خلل في أبصارنا، ولا حجاب عليه.

قلنا: كل ما جاز رؤيته، إنما نراه إذا خلق الله تعالى رؤية ذلك الشيء في أبصارنا، فإذا لم يخلق لا نراه، وإن كان هو مرئيًا في ذاته؛ كالجني يراه المصروع، ولا يراه من حوله، والنبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام، ولم يره أصحابه.

وأوضح من ذلك كله أن الهرة تبصر الفأرة في الليل ولا نراها لما قلنا.

فإن قيل: لو كان الله تعالى مرئيًا، إما أن يُرى كله أو بعضه، وكلا القسمين مُحال.

قلنا: نعارضكم^(١) بالعلم، يُعلم كله أو بعضه، أو لا يُعلم أصلًا، (فكل

(١) هنا تنتهي السقطات في نسخة (ب).

الجواب في فصل العلم فهو جوابنا في فصل الرؤية^(١).
ثم نقول: قسمة الكل والبعض^(٢) فيما يتصور له الكل والبعض،
(واستحال^(٣)) أنصاف الله بذلك، فلا يصح التقسيم. [٢٠ / ١]

فصل

واختلف القائلون بجواز الرؤية:

ان رؤيته^(٤) في المنام هل يجوز أم لا؟

ذهب طائفة منهم إلى أنه يستحيل، لأن ما يرى في النوم خيال ومثال،
وكلاهما على القديم مُحال.

وجوز ذلك بعضهم من غير كيفية، (وجهة^(٥))، ومقابلة، وخیال، ومثال.
وحكي عن كثير من السلف - ^(٦) - أنهم رأوه كذلك.

وجه ذلك: أن ما جاز رؤيته في ذاته لا يختلف بين النوم واليقظة.
وتحقيق ذلك: أن الرائي في النوم هو الروح أو القلب؛ فيكون نوع مشاهدة
يحصل للعبد، كما قال عمر - ^(٧) -: «رأى قلبي ربي».

(١) سقط من (ب).

(٢) في (ب): البعض والكل.

(٣) في (ب): ليستحال.

(٤) في (ب): رؤية الله تعالى.

(٥) في (ب): ولا جهة.

(٦) في (ب) زيادة: قلنس الله أرواحهم.

(٧) بحث طويلاً في المصادر والمراجع عن تخريجه، ولكن دون جدوى، وعلى كل أمارات الوضع
واضحة عليه، وضوح الشمس، والله أعلم.

القول في الإرادة

ذهب أهل الحق - (١) - (إلى (٢) أن الله تعالى مريدٌ بإرادةٍ قديمةٍ، قائمة بذاته، وهي صفةٌ تقتضي تخصيص (المفعولات (٣) (بوجه (٤) دون وجهٍ من الوجود، ووقتٍ دون وقتٍ خلافاً للفلاسفة والباطنية.

وزعمت النجارية: أنه مريدٌ لذاته.

وزعمت المعتزلة: أنه مريدٌ بإرادةٍ حادثةٍ لا في محل.

وحجبتنا في ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (٥).

(وكذا وقوله: (٦) ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ﴾ (٧) إلى غير ذلك من الآيات، التي صرح فيها بالمشيئة والإرادة، وكلاهما واحد عند أهل السنة والجماعة - (٨) -، (إلا الكرامية؛ فإنهم زعموا: أن المشيئة أزلية، والإرادة حادثة، وهو قولٌ باطلٌ؛

(١) في (ب) زيادة: نصرهم الله.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) في (ب): المفعولات.

(٤) في (ب): لوجه.

(٥) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٦) سقطت من (ب).

(٧) سورة الزمر، الآية: ٣٨.

(٨) في (ب): زيادة نصرهم الله.

لما أنه خلاف أقاويل السلف، والخروج عن الإجماع^(١).

والمريد: من قامت به الإرادة، فلزم القول بقيام الإرادة القديمة، القائمة بذاته، كيلا يكون ذاته محلاً للحوادث.

وأما المعقول: وهو أن ما وجد من المحدثات بمقدارها في أوقاتها، لا يستحيل في العقل أن يقع على خلاف ذلك القدر، وأن يتقدم أو يتأخر عن ذلك الوقت بالنسبة إلى قدرة الله تعالى وخلقه، (فلولا وجود الإرادة التي توجب تخصيصها بذلك القدر والوقت لما وجدت كذلك؛ لأن الإرادة لو انتفت عن ذات الله تعالى^(٢) لكان مجبوراً في إيجاد العالم، إذ لا واسطة بين الجبر والإرادة، وبين [ب/٢٢٧] الاختيار والاضطرار، والمجبور عاجز.

وقول المعتزلة: أنه مريد بإرادة حادثة لا في محل، قول باطل؛ فإن تلك الإرادة (إما إن حدثت بإحداث الله تعالى، أم بذاتها؟)^(٣)

إن قال: بذاتها، (فهو تعطيل^(٤) الصانع (جل وعلا)^(٥)).

وإن قال: بإحداث الله تعالى.

فنقول: [أ/٢١] أحدثها بإرادة أم بغير إرادة؟.

(فإن قال: بغير إرادة يكون مجبوراً في إحداثها.

وإن قال: بإرادة.^(٦)

نقول: (تلك الإرادة^(٧) قديمة أم حادثة؟.

(١) سقطت من (ب).

(٢) سقطت من (ب).

(٣) في (ب): لو حدثت، فلا يخلو إما إن حدثت بالله تعالى، أم بذاتها.

(٤) في (ب): فقد تعطل.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) سقطت من (ب).

(٧) سقطت من (ب).

إن قال: قديمة، فهو الذي (نبتها^(١)).
وإن قال: حادثة، نعود بالسؤال إلى أن يتسلسل، (والله الموفق^(٢)).

(١) في (ب): يئثها.

(٢) زيادة من (ب).

الْقَوْلُ فِي اثْبَاتِ الرُّسَالَةِ

(قال عامة^(١)) أهل الحق: - (٢) - (إن^(٣)) الإرسال من الله تعالى ممكن (بقضية العقل^(٤)).

وقال بعضهم: إنه واجب بقضية الحكمة.
وزعمت السمنية والبراهمة: أنه مُحَالٌ.

وحجة أهل الحق: - (٥) - أن صدور الأمر والنهي من الله تعالى على عباده، وإخبارهم عن ما فيه صلاح دارهم، مما قصرت (عقولهم^(٦)) عن معرفته، غير مستحيل، وإنه حكمة وصواب، فلا يتعد (من الحكيم^(٧)) أن يخص (بعض^(٨)) عباده ليعلم ذلك، إما بإلهام صحيح، أو (وحي^(٩)) صريح، فيخبر غيره بأمر الله تعالى، ويجعل له أمانة تدل على صدق إخباره، وهي المعجزة.

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب) زيادة: نصرهم الله.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) سقطت من (ب).

(٥) في (ب) زيادة: نصرهم الله.

(٦) في (ب): الهمم.

(٧) سقطت من (ب).

(٨) في (ب): لبعض.

(٩) في (ب): بوحى.

وبيان ذلك: أن الله تعالى خلق الجنة والنار، وأعدَّ فيهما الثَّواب لأولياته،
(والعذاب^(١)) لأعدائه، وليس في العقل إمكان الوقوف على ذلك.

وكذا خلق الأجسام (الضَّارة^(٢)) والنَّافعة في الدنيا، ولم يودع في الحسَّ
والعقل إمكان الوقوف على التَّفرقة بين الضَّار والنَّافع، (والغذاء^(٣)) والسَّم،
(والدواء^(٤)) والدواء، والعقل لا يطلق التَّجربة لما فيها من احتمال الهلاك؛
فاقتضت الحكمة (من الله^(٥)) أن يرسل (رسولاً^(٦)) يخبر عباده بما أعدَّ في
العُقْبَى، وما أودع في الدُّنيا، ويأمرهم بما فيه صلاحهم ويزجرهم عن ما فيه
هلاكهم، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(٧).

فإن قيل: لو أتى الرسول - (٨) - بما يقتضيه العقل، ففي العقل غنية عن
ذلك، ولو أتى بما ينفيه العقل؛ فالعقل يرُدُّه ويحيله، فلا فائدة فيه.

قلنا: يأتي بما يقصر العقل عن معرفته وإدراكه، - فإن قضيات العقول
منقسمة إلى ثلاثة أقسام: واجب، (وممتنع^(٩))، (وجائز^(١٠)) -.

(والعقل^(١١)) يحكم في الواجب والممتنع، ولكن يتوقف في الجائز، فلا
يحكم فيه لا بالنَّفي ولا بالإثبات، ولا يُوجب من ذلك شيئاً، ولا يحرم إلا أنَّه
إذا تعلَّق به عاقبة حميدة يقبل عليه، وإذا تعلَّق به عاقبة ذميمة يُعْرِضُ عنه.

(١) في (ب): والعقاب.

(٢) غير واضحة في (ب).

(٣) في (ب): والعذاب.

(٤) سقطت من (ب).

(٥) سقطت من (ب).

(٦) في (ب): رسوله.

(٧) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

(٨) في (ب) زيادة: ~~عَلَيْهِ~~.

(٩) في (ب): ممنوع.

(١٠) في (ب): جائزة.

(١١) سقطت من (ب).

فلإذا بيّن الرسول من الله تعالى عواقب الأفعال، وقف العقل على ما فيه صلاحه^(١) فيقبله، وعلى ما فيه فساده فيرده، على [٢٢/١] أنه يجوز أن يردّ الشرع ببيان ما في العقل إمكان الوقوف عليه، تيسيراً للأمر على العاقل.

إذ لا بُدَّ له (في^(٢)) معرفة ذلك من ملازمة التفكير، والنظر الدائم، والبحث الكامل، بحيث لو اشتغل بذلك لتعطل أكثر مصلحة، فيكون التنبيه من الله (جلّ جلاله^(٣)) على ذلك بواسطة الرسول^(٤)، فضلاً ورحمةً، كما قال (جلّ جلاله^(٥)): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٦).

ثم الشرط فيه: أن يكون ذكراً؛ لأن الأنوثة تنافي (الرسالة^(٧)) عندنا، خلافاً للأشعرية، وذلك لأن الرسالة تقتضي الاشتهار بالدعوة، والأنوثة توجب السّتر، وبينهما تناف^(٨).

(ويدعي ما لا يحيله العقل^(٩))، ويقيم الدلالة على صدق دعواه، إذ لا يجب قبول قوله بدون المعجزة، (خلافاً للإباضية^(١٠)) من الخوارج، حيث

(١) في (ب): صلاح دارهم.

(٢) في (ب): من.

(٣) في (ب): تعالى.

(٤) في (ب) زيادة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾.

(٥) في (ب): عز وجل.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

(٧) في (ب): الإرسال.

(٨) قال المرجاني في «حاشيته على شرح الدواني على العقائد العنصرية» ص ٩: «ما ذهب إليه الأشعرية من تجويز كونه أنثى وتمسكوا بما لا يدل على مدعاهم وهو ما روي عنه عليه السلام : «كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسيا امرأة فرعون» والذي ذهب إليه الحنفية أنه لا يكون أنثى ويؤيده قوله تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ نوحى إليهم وقد نقل الإجماع على عدم نبوة النساء ذكره الكرمانى في شرح صحيح البخارى.

(٩) كذا في النسختين، وظني: (ويدعو إلى ما لا يمنعه العقل).

(١٠) هم أتباع عبد الله بن إباض، من بني مرة بن عبيد بن تميم. خرج على دوله بني أمية.

نقل الشهرستاني في «الملل والنحل»: ١/ ١٣٤ قوله: «إن مخالفتنا من أهل القبلة كفارٌ غير =

قالوا: يجب قبول قوله قبل إظهار المعجزة^(١)، وذلك باطل؛ لأنه لا يقع التفرقة بين النبي والمُنبّي إلا بالمعجزة، فلا يلزم القبول بدونها.

والمعجزة: ما يظهر عجز الخلق عن الإتيان بمثله، والهاء للمبالغة لا للتأنيث، وحده عند المتكلمين: ظهور أمر بخلاف العادة على يد مُدّعي النبوة عند تحدي المنكرين، على وجوه يُعجزُ المنكرون عن الإتيان بمثله.

ووجه دلالة المعجزة على صدق النبي - ﷺ^(٢): -: أَنَّا لَمَّا عَرَفْنَا أَنَّ الْمَعْجِزَةَ فَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى، لَا صَنَعَ لِلْعِبَادِ فِي ذَلِكَ؛ كَقَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً، وَإِحْيَاءِ الْمَيِّتِ، (وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ بِنَصْفَيْنِ^(٣))؛ فَإِذَا [ب/٢٢٨] أَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَقِيبَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَنِّي رَسُولُكَ فَافْعَلْ كَذَا؛ ففعل، كان تصديقًا له بالفعل، فيكون بمنزلة قوله: صدقت، كمن ادّعى بحضرة السلطان أنه رسوله، ثم قال لغلّمانه: آية صدقي أنني أقول له: إِنْ كُنْتُ صَادِقًا أَنِّي رَسُولُكَ فَقُمْ مِنْ مَجْلِسِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ اقْعُدْ؛ ففعل السلطان، وعرف الغلمان أنه لم يكن من عادة السلطان ذلك، كان ذلك الفعل تصديقًا له في دعواه، بمنزلة قوله: صدقت فكذا هذا.

= مشركين، ومناكرتهم جائزة، وموارثتهم حلال، وغنيمة أموالهم عند الحرب حلال، وما سواه حرام، وحرام قتلهم وسبيهم في السر غيلة إلا بعد نصب القتال، وإقامة الحجّة، ولا تزال بقيّة من هؤلاء في بلاد الجزائر، وعُمان، وقد أطلال الزركلي في «أعلامه» في ترجمة عبدالله بن إياض، فراجع.

وافترقت الإباضية فيما بينهم أربع فرق، وهي: الحفصية، والحارثية، والبيزيدية، وأصحاب طاعة لا يراد الله بها. «الفرق بين الفرق»: ١٠٣ - ١٠٤.

وانظر مقالاتهم في: «مقالات الإسلاميين»: ١٠٢ - ١١١. «البدء والتاريخ»: ١٣٨/٥.

«الفهرست»: ٢٥٨. «الفرق بين الفرق»: ١٠٣ - ١٠٤. «الفصل»: ٥١/٥ - ٥٢. «التبصير»:

٣٤ - ٣٥. «الملل والنحل»، للشهرستاني: ١٣٤/١ - ١٣٦. «المواقف»: ٤٢٧. «شرح

المواقف»: ٢٩٢/٣.

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب) زيادة: ﷺ.

(٣) سقطت من (ب).

فَضْلٌ

وإذا عرفنا من هذا نقيم الدلالة على صدق نبينا محمد ﷺ، إذ هو الأصل في الباب، ثم نبوة سائر الأنبياء ﷺ^(١) ثبتت بإخباره عندنا.

والدلالة على ذلك من وجهين:

أحدهما: القرآن الذي [٢٣/١] تحدّى به جميع فصحاء العرب والعجم بإتيان مثله؛ فعجزوا عن ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ الآية^(٢).

وقال الله تعالى^(٣): ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^(٤) إلى غير ذلك من الآيات، التي نطق بها القرآن؛ فعجز الكل عن الإتيان بمثله.

ودلالة ذلك: أنهم لو قدروا (على إتيانه)^(٥) لأتوا بذلك، لحرصهم على إبطال دعوته، وإدحاض حجّته، ولو فعلوا لظهر ونقل إلينا، كما نُقل ترّهات مسيلمة الكذاب وهذيانه.

فإن قيل: لعلّ الاشتغال بالحروب والمكاسب منعهم عن ذلك.

قلنا: التّحدّي بالقرآن (كان)^(٦) قبل المحاربة، ونصرة الدين، والدّب عن الحريم عندهم أهمّ من المكاسب؛ فبان أن التّعليل فاسد.

فإن قيل: لعلهم عارضوه، و^(٧) لكن المؤمنين هجروا ذلك وشهروا القرآن.

(١) زيادة من (ب).

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣.

(٣) في (ب): الآية لم ترد كاملة، بل إلى قوله: ﴿مِثْلِهِ﴾.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٥) سقطت من (ب).

(٦) زيادة من (ب).

(٧) زيادة من (ب).

فلنا: الجاحدون في ذلك العصر كانوا أكثر من المؤمنين، فلوا وجدوا ما يعارض القرآن، لحملهم جحودهم (ومعارضتهم^(١)) للنبي ﷺ^(٢) على نقله وإشهاره، (كما حمل المؤمنون تصديقهم ومحبتهم على نقل القرآن وإشهاره^(٣))، ومع ذلك لم يُنقل.

عُلم أنهم عجزوا عن ذلك، وإذا عجز فصحاء العرب وبلغاؤهم عن معارضته، كان من بعدهم من العجم أعجز.

والثاني من الدلالة: على ما نقل عنه من المعجزات الحسية والخبرية، بعضها في ذاته، وبعضها خارج ذاته.

فأما ما (يتعلق^(٤)) بذاته: (نحو^(٥)) «ظهور النور في جبين من كان هو في صلبه أو في رحمها من آبائه وأمهاته».

وما ذكر في الكتب السالفة من نعوته، وصفوته، وبيان وقت خروجه، وصفة أتباعه وأشياعه.

وكذا ما نقل من أوصاف حليته، (ولطيف صورته^(٦))، وكرم أخلاقه، وجميل أفعاله، كما روي في حديث علي^(٧)،

(١) في (ب): وعدائهم.

(٢) في (ب): ﷺ.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) في أ: تعلق.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) سقطت من (ب).

(٧) أخرج حديث علي الترمذي في «الجامع» (٣٥٧١)، باب ما جاء في صفة النبي ﷺ. وأخرجه الترمذي في «الشمائل» أيضًا (٦). وابن أبي شيبة في «المصنف»: ٤٤٥/٧ (١٦٧). والبيهقي في «شعب الإيمان»: (١٣٩٩).

ولفظ الترمذي: «كَانَ عَلَيْهِ ﷺ إِذَا وَصَفَ النَّبِيُّ ﷺ، قَالَ: لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُغْطِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ، وَكَانَ رِنَةً مِنَ الْقَوْمِ، وَلَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطِطِ، وَلَا بِالسَّيِّطِ، كَانَ جَعْدًا رَجُلًا، وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ، وَلَا بِالْمُكَلَّمِ، وَكَانَ فِي الرُّجُو تَذْوِيرٌ، أَبْيَضُ مُشْرَبٌ، أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ، - - -

وهند بن أبي هالة^(١)، وأم معبد^(٢)، - - -

أَمَدَبُ الْأَشْفَارِ، جَلِيلُ الْمَشَاسِ وَالْكَنْدِ، أَجْرَدُ فَوْ مَسْرِيَّةٍ، شَتْنُ الْكَنْفَيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ، إِذَا مَشَى تَمَلَّحَ، كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَبَبٍ، وَإِذَا لَمَسَتْ أَلَمَّتْ مَعًا، بَيْنَ كَيْفِيَّةِ خَاتَمِ النَّبُوءَةِ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، أَجْوَدُ النَّاسِ كَفًّا، وَأَشْرَحُهُمْ صَنَوًّا، وَأَضْلَقُ النَّاسِ لَهْجَةً، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمُهُمْ حِشْرَةً، مَنْ رَأَى بَلِيهَةً هَابَةً، وَمَنْ خَالَطَهُ مَغْرَقَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاجِيَةٌ: لَمْ أَرِ كِبَلَةً وَلَا بَغْدَةَ مِثْلَهُ. قَالَ أَبُو عِيْسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، لَيْسَ إِسْنَادُهُ بِمُتَّحِلٍ.

(١) أخرج حديث ابن أبي هالة بالفاظ متفرقة الحاكم في «المستدرک» (١٧٧٤). والترمذي في «الشمائل المحمدية»: (٧)، (٢٢٣)، (٣٢٨)، (٣٤٦). والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧٨٦٨). وابن أبي عاصم في «الأحاديث والمثنوي»: (١١١٢) (١١١٣). والبيهقي في «السنن الكبرى»: (٤١/٧). وفي «دلائل النبوة»: (١٤٠) (٢٣٦). وفي «شعب الإيمان»: (١٤١٣). وانتظر تخريج أجزاء منه في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٠٥٣)، (٢٠٨٦).

ولفظه في «الشمائل» للترمذي: «عن الحسن بن علي، قال: سألت خالي هند بن أبي هالة، وكان وصافًا، عن حلية النبي ﷺ، وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئًا أتعلق به، فقال: «كان رسول الله ﷺ فخماً مفخماً، يتلألاً وجهه تلالو القمر ليلة البدر، أطول من المربع، وأقصر من المشدب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن افرقت عقيقته فرقها، وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزج الحواجب سوابغ في غير قرن، بينهما عرق يدره الغضب، أقتى العرنيين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أشم، كث اللحية، سهل الخدين، ضليح الفم، مفلج الأسنان، دقيق المسرة، كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخلق، بادن متماسك، سواء البطن والصدر، عريض الصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط، عاري الثديين والبطن مما سوى ذلك، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رطب الراحة، شتن الكفين والقدمين، سائل الأطراف - أو قال: شائل الأطراف - خمسان الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال قلعًا، يخطو تكفيًا، ويمشي هونًا، ذريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبيب، وإذا التفت التفت جميعًا، خافض الطرف، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء، جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقي بالسلام».

(٢) أخرج حديث أم معبد بالفاظ مختلفة كل من الحاكم في «المستدرک»: (٤٢٤٣). والطبراني في «المعجم الكبير»: (٢٥٢٤)، (٦٣٩٠). وابن أبي عاصم في «الأحاديث والمثنوي»: (٣٠٨٣). والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٢٣٥).

ولفظ حديث الحاكم «... قال: صفه لي يا أم معبد، قالت: رأيت رجلًا ظاهر الوضوء، أبلج الوجه، حسن الخلق، لم تعب ثجلة، ولم تزره صعلة، وسيم قسيم، في حينه دهج، وفي أشفاره وطف، وفي صوته سهل، وفي عنقه سطع، وفي لحيته كثافة، أزج أقرن، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سماه وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاء من بعيد، وأحسنه وأجمله من -

كل ذلك دليلٌ من جهة أصحاب (الفراصة^(١)) أن مثل هذه الصفات لم
تجتمع في أحد قبله ولا بعده، فبدل ذلك على شرف ذاته، وعلو شأنه،
بحيث لا يوازيه أحد في ذلك، (كما^(٢)) روي أن أبا بكر رضي الله عنه كلما نظر إليه في
صِغَرِه، وتأمل في أوصافه، يقول: «خلق هذا (لأمر^(٣)) عظيم»، فلما دعاه إلى
الإسلام، قال: «هذا الذي كنت أرجو منك».

ولما لقبه عبدالله بن سلام أول مرة، قال: «ما هذا بوجه [٢٤ / أ] كذاب^(٤)».

وقال فيه عبدالله بن رواحة^(٥) [البسيط]:

لَوْلَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيَّنَةٌ كَانَتْ بَدِيهَتُهُ تُنْبِيكَ بِالْخَبِيرِ^(٦)

ثم استمر على هذه الأخلاق طوال عمره، لم يتغير عن شيء منها سرًا
وجهرًا، (لا^(٧)) في حال غضبٍ ولا رضا، حتى لم يجد أعداؤه مع شدة

= قريب، حلو المنطق فصلاً، لا نزر ولا هلز، كأن منطق خرزات نظم، يتحدثون ربعة لا تشناه
من طول، ولا تقتحمه عين من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم،
قلدًا له رفقاء يحفون به، إن قال: سمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود لا
هابس ولا مفند...».

(١) في (ب): الغرابة.

(٢) في (ب): وكلنا.

(٣) في (ب): الأمر.

(٤) أخرجه «الترمذي» في كتاب صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله، (٢٤٨٥). و«ابن ماجه»،
في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام الليل (١٣٣٤). و«الدارمي» في كتاب
الصلاة، باب فضل صلاة الليل (١٤٦٠).

(٥) نسبة هذا البيت إلى عبدالله بن رواحة هو الأشهر في الكتب والمدونات، والبيت في ديوان عبدالله
ابن رواحة، وقد نسب البيت غير واحد إلى حسان بن ثابت منهم: «المبرد» في كتابه «الفاصل
في اللغة والأدب»، والبيت في ديوان حسان بن ثابت كذلك.

(٦) البيت من البحر البسيط، وقد اعتبر الزمخشري في «ربيع الأبرار ونصوص الأخبار» أن هذا البيت
من أحسن ما مدح به الحبيب ﷺ.

(٧) مقطعت من (ب).

عداوتهم وحرصهم على الطعن فيه مطعناً، فيكون ذلك أقوى دليل على صدق دعواه، إذ يستحيل من (الحكيم^(١)) - جل جلاله - أن يجمع هذه الفضائل في حق من يعلم أنه يفترى عليه، ثم يُمهله ثلاثاً وعشرين سنة، ثم يظهر دينه على سائر الأديان كلها، وينصره على أعدائه، ويحيي آثاره بعد موته إلى يوم القيامة.

وأما ما كان خارج [ب/٢٢٩] ذاته: نحو: انشقاق القمر، وانجذاب الشجر، واستنطاق الحجر، وحنين الجذع، وشكاية الناقة، وشهادة الشاة المصلية بأنها مسمومة، وإظلال السحاب إياه.

وكذا إخباره عن الكوائن في الماضي والمستقبل.

(أما^(٢)) الماضي؛ نحو: قصص الأنبياء - ﷺ^(٣) -، وأحوال الأمم (الماضية^(٤)) في مواضع متفرقة، بألفاظ مختلفة، بِمَحْضَرٍ من علماء أهل الكتاب، بحيث لم يقدر أحدٌ منهم على تكذيبه والطعن فيه، مع أنه لم يقرأ كتب الأولين، ولا خالط أهل الكتاب؛ فدلّ ذلك على أنه يخبر بوحى الله تعالى وإرساله.

(وأما^(٥)) في المستقبل؛ فكما أخبر يوم بدر أنه يُقتل فلان في موضع كذا، وفلان في موضع كذا، فكان كما أخبر.

وكذا أخبر عن قتال فارس وبني حنيفة، وانقراض ملك كسرى، وظهور دينه على (سائر^(٦)) الأديان، وبلوغه إلى أقصى المشرق والمغرب، وغير ذلك (من

(١) في (ب): الحكيم.

(٢) في (ب): ثم.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) في (ب): الماضية.

(٥) في (ب): وكذا.

(٦) سقطت من (ب).

الآيات^(١)، كما جاءت به الأخبار، وقد ظهر كما أخبر، ولم تشبه حالته في تلك الإخبارات بحال الكهنة والسحرة والمنجمة، كما نقل منهم من السجّع، والرجز، وملابسة الأقدار، والاستعانة بالشياطين، والنظر في الاضطراب، والتفكير في الحساب، بل كانت أحواله (صلوات الله عليه^(٢)) على الاستقامة، والسكون، والوقار، وترك (حظوظه^(٣)) الدنيوية، ودوام الاشتغال بذكر الله تعالى.

وهذه المعجزات، وإن ثبت أكثرها بطريق (الآحاد^(٤))، ولكن (لَمَّا^(٥)) دَلَّت هي بمجموعها على معنى واحد، وهو ظهور الناقض للعادة على يديه، (بصير^(٦)) كالماتر في هذه الدلالة، فيفيد العلم قطعياً، كالحكايات التي نقلت بطريق الآحاد عن جود حاتم، وعدل انوشروان، وشجاعة عليّ - عليه السلام^(٧) -، وعلم أبي حنيفة عليه السلام^(٨).

ولكن لَمَّا دَلَّ كُلُّ جنسٍ من ذلك (بمجموعها^(٩)) على معنى واحد؛ وهو: الجود، والعدل، والشجاعة، والعلم، وقع العلم بهذه المعاني [٢٥/١] قطعاً، فكذا هذا.

فإن قيل: زعم بعض النصارى أنه عليه السلام^(١٠) رسول إلى العرب خاصة، فما الدليل على تعميم الرسالة؟.

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب): عليه السلام.

(٣) في (ب): الحظوظ.

(٤) في (ب): الاتحادا.

(٥) سقطت من (ب).

(٦) في (ب): بصير.

(٧) سقطت من (ب).

(٨) في (ب): عليه السلام.

(٩) في (ب): بمجموعتها.

(١٠) زيادة من (ب).

قلنا: مهما دَلَّلنا على كونه (رسولاً^(١))؛ فالرسول لا يكذب، وقد أخبر أنه بُعِثَ إلى النَّاسِ كافَّةً، قال الله - (جَلَّ جلاله^(٢)) -: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِنَّكُمْ جَمِيعًا﴾^(٣).

وقال تعالى^(٤): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ الآية.

وبعث رسوله إلى كسرى، وقبصر، وسائر ملوك الأطراف، يدعوهم إلى الإسلام، وآمن به النُّجَاشِيُّ وغيره، فدلَّ أنه رسول إلى الناس كافَّةً. (والله الموفق^(٥)).

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب): تعالى.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٤) في (ب): ذكرت الآية إلى قوله: ﴿كَافَّةً﴾، سبأ: ٢٨.

(٥) زيادة من (ب).

الْقَوْلُ فِي خَوَاصِّ النُّبُوءَةِ

لا بُدَّ لِلرَّسُولِ مِنْ مَعَانٍ يَخْتَصُّ بِهَا مِنْ غَيْرِهِ؛ لِيَصِيرَ بِهَا أَهْلًا لِلتَّسْفَارَةِ (مِنْ نَقْلِ الْكَلَامِ^(١)) بَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى وَبَيْنَ خَلْقِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٢).

وَمِنْ ذَلِكَ: أَنْ يَكُونَ أَعْقَلُ مِنْ أَهْلِ عَصْرِهِ، وَأَحْسَنُهُمْ خَلْقًا، وَلَا يَكُونَ مَوْصُوفًا بِصِفَاتٍ تَخِلُّ بِإِدَاءِ الرِّسَالَةِ، وَلَوْ كَانَ قَبْلَ الْإِرْسَالِ يَزِيلُهُ (اللَّهُ تَعَالَى^(٣)) وَقْتُ الْإِرْسَالِ، كَمَا أزال عقدة (لسان^(٤)) موسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِسْؤَالِهِ، وَيَكُونَ مَعْصُومًا فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ مِمَّا يَشِينُهُ وَيُسْقِطُ قَدْرَهُ، وَإِنْ جَرَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ قَصْدِهِ وَاخْتِيَارِهِ يَنْبَهُهُ، وَيَعَاتِبُهُ، وَلَا يُنْهَلُهُ، بَلْ لَا يُنْهَلُهُ.

قال الشيخ الإمام أبو منصور - رَحِمَهُ اللَّهُ -: العَصْمَةُ لَا تَزِيلُ الْمُحَنَّةَ، وَمَعْنَاهُ: (أَنَّهَا^(٥)) لَا تَجْبِرُهُ عَلَى الطَّاعَةِ، وَلَا تَعْجِزُهُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، (بَلْ هِيَ لَطْفٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى، تَحْمِلُهُ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ، وَتَرْجِرُهُ عَنِ الشَّرِّ^(٦))، مَعَ بَقَاءِ الْإِخْتِيَارِ

(١) سقطت من (ب).

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

(٣) سقطت من (ب).

(٤) سقطت من (ب).

(٥) زيادة من (ب).

(٦) سقطت من (ب).

للابتناء، والمعصية عن الكفر ثابتة قبل الوحي وبعده عند عامة المسلمين، إلا عند الفضلانية من الخوارج.

والمعصية عن المعاصي ثابتة بعد الوحي عند أهل السنة والجماعة، إلا عند الحشوية؛ فإنهم ينقلون في قصة (آدم^(١))، وداود، وسليمان، ويوسف، وغيرهم من الأنبياء (صلوات الله عليهم^(٢)) ما يوهم ارتكاب الذنب منهم، وبعض ذلك مردود، وبعضه مؤول بتأويل صحيح يليق بحالهم.

ودلالة ذلك: أنهم حُجِّجُ الله تعالى على عباده، (بقوله: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾^(٣)^(٤)) فلو جاز منهم ارتكاب (الذنب^(٥)) لم يوثق بقولهم، فلا تلزم الحجة.

وأما قبل الوحي؛ فكذلك عند جميع المعتزلة والخوارج، وعندنا يجوز على سبيل النُدرة، ثم يعود حالهم وقت الإرسال إلى الصلاح والسُّداد، والله الموفق.

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب): ~~الله~~.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٤) سقطت من (ب).

(٥) في (ب): المنهي.

الْقَوْلُ فِي الْكَرَامَةِ

كرامة الأولياء جائزة عندنا، خلافاً للمعتزلة.
وكذا السُّحر والعين [٢٦/أ] متحققٌ عندنا، خلافاً لهم.
وحجبتنا في ذلك: من حيث الثَّقَل والعقل.
أما الثَّقَل: فما أخبر الله تعالى عن قصة صاحب سليمان - عليه السلام - أنه أتى
بعرش بلقيس من مسافة بعيدة، في زمان قريب، كما قال الله تعالى: ﴿أَنَا أَنَا بِكَ
يَمِينٌ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَنا﴾ الآية (١).
وكذا سمع سارية (وهو بنهاوند، قول عمر - عليه السلام - وهو بالمدينة: «يا
سارية (٢) الجبل الجبل» (٣)، وبينهما أكثر من خمسمائة فرسخ. [ب/ ٢٣٠]
وجريان النيل بكتاب عمر - عليه السلام - (٤).

(١) ذكرت الآية في (ب) إلى قوله: ﴿طَرْفُكَ﴾ النمل: ٤٠.

(٢) سقطت من (ب).

(٣) أخرجه أبو بكر بن خلاد في «الفوائد» (١/ ٢١٥/ ٢)، وأبو عبد الرحمن السلمي في «الأربعين
الصوفية» (٢/ ٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة»، وابن عساكر (١/ ٦/ ٧)، (٢/ ٦٣/ ١٣)، والفضاء
في «المنتقى من مسموعاته بمرور» (٢٨ - ٢٩) وابن الأثير في «أسد الغابة».
وذكره ابن كثير في «البداية» (٧/ ١٣١) وقال: «وهذا إسناد جيد حسن».

(٤) الخبر أورده الواقدي في «فتوح مصر»: ٦٩/ ٢. وأخرجه الأصبهاني في «العظمة»: ١٤٢٥/ ٤.

وشرب محالد بن الوليد قدحاً من السم (مشهور^(١))^(٢).

وما نقل من كرامات التابعين، وصالحى هذه الأمة بلغ حدّاً لو جمعت
أحاديها لبلغت حدّ التواتر في جواز الكرامة.

وأما العقل: فإنها فعل الله تعالى على خلاف مجرى العادة، ليعرف العبد
نمرة الطاعة، ويزداد بصيرته بصحة دينه.

فإن قيل: لو ظهرت الكرامة على هذا الحدّ لاشتبهت بالمعجزة؛ فلا يعرف
النبي من الولي.

قلنا: ليس كذلك؛ فإن (المعجزة^(٣)) تقارن دعوى النبوة، ولو ادّعى الولي
ذلك من ساعته، فلا يبقى أهلاً للكرامة، بل يدعي متابعة النبي ﷺ^(٤)، فلا
جرم تكون كل كرامة بمعجزة للنبي الذي يدعي الولي متابعته، فلا يقع
الاشتباه.

(١) في (ب): مشهورة.

(٢) لم أجد له سنداً، ولكن القصة مذكورة في بعض الكتب، منها: كتاب «النبوات» لشيخ الإسلام
ابن تيمية: ص: ٣٠٨، ٢٩٦. وكلنا ابن حجر في «الفنوحات الربانية»، والألوسي في التفسير.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) زيادة من (ب).

الْقَوْلُ فِي الْإِمَامَةِ وَتَوَابِعِهَا

قال أهل الحق: - (١) - لا بُدُّ للناس من (الإمام^(٢))، يقوم بمصالحهم، وعليه إجماع الصحابة - ؓ - (٣)؛ حيث اختلفوا بعد موت رسول الله ﷺ (٤) في تعيين الإمام، ثم اتفقوا على إمامة أبي بكر - ؓ -.

ولا يجوز نصب إمامين في زمانٍ واحدٍ، خلافاً لبعض الروافض حيث قالوا: إنَّ في كلِّ عصرٍ إمامين؛ صامتٌ وناطقٌ.

وكذا الكُرَّامِيَّةُ صَحَّحُوا إمامة معاوية مع إمامة عليٍّ ؓ.

وكل ذلك باطل؛ لأنه يؤدي إلى لزوم طاعة شخصين (في أحكام متضادة في زمانٍ واحدٍ، وإنه محالٌّ، وإليه أشار أبو بكر - ؓ -، حيث قال: «لا يصلح سيفان في غمد واحد»^(٥)).

وكذا قال علي - ؓ - لأصحاب معاوية: «إخواننا بغوا علينا»^(٦).

(١) في (ب) زيادة: نصرهم الله.

(٢) في (ب): إمام.

(٣) في (ب): رضوان الله عليهم أجمعين.

(٤) زيادة من (ب).

(٥) موقوف على عمر. أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: ٤٣٩/٥ (٩٧٥٨). والبيهقي في «السنن الكبرى»: ١٤٤/٨ (١٦٣٢٥)، ١٤٥/٨ (١٦٣٢٦)، وفي «السنن الصغرى»: (٢٥٢٦).

والنسائي في «السنن الكبرى»: ٣٧/٥ (٨١٠٩). والبزار في مسنده «البحر الزخار»: (٢٠٣).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: ٥٣٥/٧. والبيهقي في «السنن الكبرى»: ١٧٣/٨.

(١٦٤٩٠)، ١٨٢/٨ (١٦٥٢٩).

ولو عقدت الإمامة لاثنتين كان الإمام^(١) من (عقدت^(٢)) له أولاً.

ولو عقد لهما معاً بطلا؛ فيستأنف لأحدهما أو لغيرهما.

(و^(٣)) شرطها^(٤) أن يكون: ذكراً، حرّاً، (بالغاً، عاقلاً^(٥))، قرشياً.

وكونه من بني هاشم [٢٧/١] ليس بشرط، خلافاً لبعض الروافض؛ لعموم قوله ~~عنه~~: «الأئمة من قریش»^(٦).

= وانظر: «البداية والنهاية»: ٢٩٠/٧.

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب): عقد.

(٣) في (ب): وشرطهما.

(٤) ترجع جميع الشروط في مجملها إلى صنفين: شروط ذاتية، وشروط غير ذاتية، أو شروط من الأمير، وشروط من غيره. فالذاتية ما تعلق بالنسب والصفات الجسميّة والعقليّة والسلوكيّة والعلميّة (وهذا ما تعرّض للمؤلف). أمّا غير الذاتية فما تعلق منها بطريقة التنصيب؛ تولية للعهد، أو تفويضاً من أهل الحل والعقد، أو أنصاراً وجنوداً يستطيع بهم السيطرة على السلطنة والخلبة عليها واغتصابها.

والشروط الذاتية متقاربة لدى الفقهاء والمتكلمين، لكنها تتعدّد وتتنوع عند بعضهم إلى الحد الذي يجعل استجماعها في شخص واحد من قبيل المتعذر، وتتقلّص عند البعض إلى حد يُعدّ فيه الظالم والمعتدي والغاصب والفاسق عملاً ومعتقداً أهلاً للإمامة انعقاداً واستدامةً. وما ذلك إلا لأنّ لهم في اعتبارها شروطاً، مرجعين اثنتين لا غير: أحدهما: النص من صاحب الشرع، ولم يرد النص في شيء من ذلك إلا في النسب، إذ قال: «الأئمة من قریش». أما ما عدا ذلك فإنما أخذ بالضرورة والحاجة الماسة ليتنظم أمر الإمامة.

(٥) في (ب): عاقلاً بالغاً.

(٦) ورد من حديث جماعة من الصحابة، منهم: أنس بن مالك، وعلي بن أبي طالب، وأبو برزة الأسلمي. أما حديث أنس فأخرجه الحاكم: ٥٠١/٤ (٦٩٦٢)، الطيالسي في «مسنده»: ٢٨٤/١ (٢١٣٣). وأبو نعيم في «الحلية»: ١٧١/٣، ٨/٥، ١٢٢/٨ - ١٢٣. وأحمد: ١٢٩/٣ (١٢٣٢٩). والبيهقي في «السنن الكبرى»: ١٢١/٣ (٥٠٨١)، وقال: (مشهور من حديث أنس رواه عنه بكير). والطبراني في «الأوسط»: ٢٦/٤ (٣٥٢١)، ٣٥٧/٦. وأبو يعلى في «المسند»: ٣٢١/٦ (٣٦٤٤)، ٩٤/٧ (٤٠٣٢)، ٩٤/٧ (٤٠٣٣). وأما حديث علي بن أبي طالب فأخرجه الطبراني في «المعجم الصغير»: ٢٦٠/١ (٤٢٥). وأبو نعيم: ٢٤٢/٧. والحاكم: ٧٥/٤ - ٧٦. وأما حديث أبي برزة فأخرجه الطيالسي: ١٢٥/١ (٩٢٦)، وأحمد: ٤٢١/٤ (١٩٧٩٢)، وكذا يعقوب بن سفيان وأبو يعلى والطبراني والبخاري كما في «الفتح» ١٠١/١٣.

وكذا كونه معصومًا ليس بشرط، خلافًا للباطنية.
والعدالة شرط الكمال عندنا، وعند الشافعي - رحمه الله (١) -: شرط الانعقاد،
حتى كره تقليد الإمامة للفاسق، ولكن تنعقد.
ولو ارتكب الإمام (كبيرة) (٢) يستحق العزل عندنا، وعند الشافعي: ينزل،
وكذلك عند المعتزلة والخوارج.
(وتنعقد) (٣) إمامة المفضل، مع قيام الفاضل (عندنا) (٤)، خلافًا لأكثر
الروافض؛ فإن عمر - رضي الله عنه -، جعل الأمر شورى بين ستة، مع أن بعضهم
أفضل من بعض. (والله أعلم) (٥).

(١) زيادة من (ب).

(٢) في (ب): الكبائر.

(٣) في (ب): ويجوز.

(٤) زيادة من (ب).

فَصْلٌ فِي إِمَامَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ - ؑ - أَجْمَعِينَ

أولهم: أبو بكر - ؑ -، وكان مستجمعًا لشرائط الخلافة، مفضلًا على جميع الصحابة، وقد اتفقت الصحابة (رضوان الله عليهم أجمعين^(١)) على خلافته، وذلك حجة قاطعة.

فيُطْلَ بذلك دَعْوَى من زعم أن النبي ﷺ نصَّ على (خلافة^(٢)) عليٍّ - ؑ -، لقوله ﷺ: «لا تجتمع أمتي على الضلالة»^(٣).

(١) زيادة من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) قال السخاوي في «كشف الخفاء» ٢/ ٣٥٠ - ٣٥١ (٢٩٩٩) «لا تجتمع أمتي على ضلالة» رواه أحمد، والطبراني في «الكبير»، وابن أبي خيثمة في «تاريخه» عن أبي نضرة الغفاري، رفعه في حديث: «سألت ربي أن لا تجتمع أمتي على ضلالة فأعطانيها».

والطبراني وحده، وابن أبي عاصم في «السنة» عن أبي مالك الأشعري رفعه: «إن الله أجاركم من ثلاث خلال: أن لا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعًا، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وأن لا تجتمعوا على ضلالة».

ورواه أبو نعيم، والحاكم، وأعله اللالكائي في «السنة»، وابن منده، ومن طريقه الفياء، عن ابن عمر رفعه: «إن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة أبدًا، وإن يد الله مع الجماعة فاتبعوا السواد الأعظم، فإن من شدَّ شدَّ في النار».

وكذا هو عند الترمذي لكن بلفظ: «أمتي».

ورواه هبدي بن حميد، وابن ماجه عن أنس رفعه: «إن أمتي لا تجتمع على ضلالة؛ فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم».

ورواه الحاكم عن ابن عباس رفعه بلفظ: «لا يجمع الله هذه الأمة على ضلالة، ويد الله مع الجماعة».

وقد اشتهر أن عليًا - عليه السلام - بايعه على رؤوس الأشهاد، (ويعد أن^(١)) رأى ذلك مصلحةً، و(ظهر^(٢)) من بركة خلافته أمورٌ تحيرت فيها عقول الصحابة - رضي الله عنهم -، و(قد^(٣)) ارتفع بيمن رأيه الخلاف من بين الأمة، كما شرحناه في «الكفاية»^(٤).

ثم استخلف قبل وفاته عمر بن الخطاب - عليه السلام -^(٥).

وروي أنه لما آيس من حياته، دعا عثمان - عليه السلام -، وأملى عليه كتاب عهدة لعمر - عليه السلام -؛ فلما كتب ختم الصحيفة، وأخرجها إلى الناس، وأمرهم (أن يبايعوا^(٦)) في الصحيفة؛ فبايعوا حتى مرّت بعليّ - عليه السلام -، فقال: «بايعنا لمن كان^(٧) فيها وإن كان عمر (بن الخطاب^(٨))» - عليه السلام -.

ثم أتفتت الصحابة - عليه السلام -^(٩) على صحة خلافته، وأتبع آثار أبي بكر - عليه السلام -، وجهّز الجيوش، (وأصل الأجناد^(١٠))، حتى قمع الله تعالى (بسعيه^(١١)) الكفر والفساد.

ثم استشهد عمر - عليه السلام -، وترك أمر الخلافة شورى بين ستة: عثمان، وعليّ،

= والجملة الثانية عند الترمذي، وابن أبي عاصم عن ابن مسعود موقوفًا في حديث: «عليكم بالجماعة، فإن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة». زاد غيره: «ولياكم والتلون في دين الله». وبالجملة فالحديث مشهور المتن، وله أسانيد كثيرة، وشواهد عديدة في المرفوع وغيره.

(١) في (ب): بعد أن رأى.

(٢) في (ب): وظهرت.

(٣) زيادة من (ب).

(٤) من تأليف المؤلف رحمه الله تعالى، وهو في طريقه إلى الطبع أثناء كتابة هذه الأسطر.

(٥) زيادة من (ب).

(٦) في (ب): لمن.

(٧) سقطت من (ب).

(٨) زيادة من (ب).

(٩) زيادة من (ب).

(١٠) سقطت من (ب).

(١١) في (ب): بسيفه.

وعبد الرحمن (بن عوف^(١))، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص - ؓ - .

ثم فُوِّضَ خمسُهم الأمر إلى عبد الرحمن بن عوف، ورضوا بحكمه؛ فاختار هو عثمان - ؓ - ^(٢)، (وبايع^(٣)) بمحضرٍ من الصُّحابة، (فبايعوه^(٤))، وانقادوا لأوامره، وصلُّوا معه الجُمُع [٢٨/١] والأعياد مدَّة خلافته؛ (فكان^(٥)) إجماعًا منهم على صحَّة خلافته.

وما نُقل (منهم عمَّا^(٦)) يُوهَم ظاهره الطَّعن (فيه^(٧))؛ فبعضه افتراءٌ عليه، وبعضه مُأوَّلٌ بتأويلٍ صحيح، فلا يعارض ما هو حُجَّةٌ قطعًا، (وهو الإجماع^(٨)).

ثم استشهد (عثمان^(٩)) - ؓ -، وترك الأمر مُهملاً، حتى اجتمع (كبار^(١٠)) الصُّحابة من المهاجرين والأنصار - ؓ - ^(١١)، (والتمسوا من عليٍّ - ؓ - ^(١٢) قبول الخلافة، وأقسموا عليه، حتى قبلها؛ (فبايعوه بمحضرٍ من كبار الصُّحابة^(١٣)).

ومن خالفه، أو قاتله من الصُّحابة^(١٤)، كان عن ظنٍّ واجتهادٍ وعليٍّ ؓ هو

(١) سقطت من (ب).

(٢) زيادة من (ب).

(٣) كذا في النسختين، وربما كان: بويع.

(٤) في (ب): فبايعوا له.

(٥) في (ب): وذلك.

(٦) في (ب): عنه مما.

(٧) في (ب): عليه.

(٨) سقطت من (ب).

(٩) سقطت من (ب).

(١٠) في (ب): كرام.

(١١) سقطت من (ب).

(١٢) زيادة من (ب).

(١٣) في (ب): وبايع له من حضر من كبار الصحابة رضي الله عنهم.

(١٤) في (ب) زيادة رضي الله عنهم.

المصيب عند أهل السنة، (إذ^(١)) هو أفضل أهل عصره، وأولاهم بالإمامة.

وروي أنهم رجعوا عن ذلك، وندموا على ما صنعوا، وختمت خلافة النبوة بعلي عليه السلام؛ فإنه استشهد على رأس ثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ^(٢)، وقد قال عليه السلام: «الخلافة بعدي ثلاثون سنة»^(٣).

وترتيب فضلهم على ترتيب الخلافة، عند أهل السنة. (٤)

وأما فضل أولادهم، قال بعض العلماء: لا نفضل أحداً بعد الصحابة - رضي الله عنهم^(٥) - إلا بالعلم والتقوى.

وقال بعضهم: نفضل أولادهم بفضل آبائهم، إلا أولاد فاطمة عليها السلام^(٦) [ب/

(١) سقطت من (ب).

(٢) في (ب): عليه السلام.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٤٦، ٤٦٤٧)، والترمذي (٣٥/٢)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/٣١٣)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥٣٤، ١٥٣٥)، وابن أبي عاصم في «السنة»، والحاكم (٣/٧١، ١٤٥)، وأحمد في «المسند» (٢٢٠/٥، ٢٢١)، والرويان في «مسنده» (١٣٦/٢٥)، وأبو يعلى الموصلي في «المفاريذ» (٢/١٥/٣)، وأبو حفص الصيرفي في «حديثه»، وخيشمة بن سليمان في «فضائل الصحابة» (١٠٨/٣ - ١٠٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/٨)، وأبو نعيم في «فضائل الصحابة» (٢/٢٦١)، والبيهقي في «دلائل النبوة».

والحديث صحيح لا غبار عليه من جهة السند حكم بذلك جمع من الحفاظ، وأهل الصنعة؛ لذا فلا يلحق إلى تضعيف هذا الحديث من غير علة، كما فعل العلامة ابن خلدون، وابن العربي في «المواصم من القواصم».

(٤) لم تجتمع كلمة أهل السنة عموماً على هذا؛ بل وقع الخلاف الشديد بينهم في المسألة، وتباينت أقوالهم في أكثر من عشرين رأياً، وذلك لأسباب منها: أن مسألة التفضيل ليست من مباحث الاعتقاد، وهي مسألة اجتهادية، بل وفي أحسن أحوالها ظنية عند أهل السنة. ولا تلازم بين الخلافة والأفضلية كما نص عليه المؤلف وغيره.

انظر للتوسع: «الاستدكار» لابن عبد البر: ٢٤١/١٤. «مناقب الأئمة الأربعة» للباقلاني: ص: ٢٩٥. «الإرشاد» للجويني: ص: ٤٣١. «المعلم بفوائد صحيح مسلم» للمازري: ١٣٨/٣. «المواقف» للجزائري: ٣٧٢/٨. «المفهم شرح صحيح مسلم» للقرطبي: ٢٣٨/٦. «أبكار الأفكار» للآمدي: ٣٠٩. «شرح العقيدة النسفية» للفتازاني: ص: ٦٥. «الصواعق المحرقة» لابن حجر الهيتمي: ص ٨٩.

(٥) زيادة من (ب).

[٢٣١]؛ (فإنهم يفضلون على أولاد جميع الصحابة^(١)) لقربهم من رسول الله - ﷺ - .

ومن السنة: أن يكفَّ (الرَّجُلُ^(٢)) لسانه عن جميع الصحابة رضي الله عنهم^(٣)، ولا يذكر منهم إلا الجميل، ويحمل أمرهم على الصلاح والسداد؛ لقول (النَّبِيِّ^(٤)) ﷺ: «الله الله في أصحابي، لا تتخذونهم غرضا^(٥) (بعدي^(٦))؛ فمن أحبهم، فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم^(٧) فببغضي أبغضهم»^(٨)، إذ هم الناصرون لدين الله (تعالى^(٩))، المختارون لصحبة رسول الله ﷺ، ورضي عنهم^(١٠).

(١) في (ب): ﷺ .

(٢) سقطت من (ب).

(٣) سقطت من (ب).

(٤) زيادة من (ب).

(٥) سقطت من (ب).

(٦) الغرض: الهدف الذي يرمى إليه.

(٧) سقطت من (ب).

(٨) البغض: عكس الحب وهو الكُره والمقت.

(٩) حديث ضعيف لجهالة راويه، ضعفه غير واحد. انظر الكلام عليه في «سلسلة الأحاديث

الضعيفة»: (٢٩٠١). وتعليق الشيخ شعيب على «المسند».

أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: ٢٤٤/١٦ (٧٢٥٦). و«الترمذي» في كتاب المناقب عن رسول

الله، باب فيمن سب أصحاب النبي (٣٨٦٢). وأحمد في «المسند»: ٥٤/٥ (٢٠٠٢٦)، ٥٧/٥

(٢٠٠٥٥). وأحمد في «فضائل الصحابة»: ٤٧/١ (١)، ٤٨/١ (٢)، ٤٩/١ (٤). والبيهقي في

«شعب الإيمان»: ١٩١/٢ (١٥١١). والبيهقي في «الاعتقاد» (٢٩٤). وأبو نعيم في «الحلية»:

٢٨٧/٨.

(١٠) في ب: عز وجل.

(١١) زيادة من ب.

الْقَوْلُ فِي مَسَائِلِ التَّحْدِيلِ وَالتَّجْوِيرِ

التَّحْدِيلُ: هو النُّسْبَةُ إِلَى الْعَدْلِ.

والتَّجْوِيرُ: هو النُّسْبَةُ إِلَى الْجَوْرِ.

وقد اختلف أهل القبلية في هذه المسائل، في جواز النُّسْبَةِ والإضافة إلى الله تعالى، بناءً على أنه عدلٌ، أو جورٌ، حكمةٌ، أو سَفَهٌ، مع اتفاقهم أن الله تعالى موصوفٌ (بالعدل والحكمة^(١)) مُتَزَعَةٌ عن الجور والسَّفَه.

(ثم اختلفوا في حَدِّ الْحِكْمَةِ وَالسَّفَهِ:

قالت المعتزلة: الحكمة: ما فيه منفعة للفاعل أو لغيره. والسَّفَه: على

ضده.

وقالت الأشعرية: الحكمة: ما وقع على قصد فاعله. والسَّفَه: على

ضده^(٢).

وقال الشيخ الإمام أبو منصور (الماتريدي^(٣)) -

(١) في ب: بالحكمة والعدل.

(٢) سقطت من ب.

(٣) زيادة من ب.

هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، الماتريدي. كان يلقب بإمام السنة، وإمام الهدى، وقد وقف في وجه المعتزلة الذين كانوا فيما وراء النهر إلا أنه كان قريباً منهم في النظر إلى العقل. ولد في ماتريد، وهي من بلدان سمرقند فيما وراء النهر، ولا يعرف على وجه اليقين سنة مولده، تلقى علوم الفقه الحنفي والكلام على أحد كبار علماء ذلك العصر، وهو نصر بن يحيى البلخي =

(رحمه الله) ^(١) - ومن تابعه: الحكمة: ما له عاقبة حميدة.

والسُّفَه: على ضده [٢٩ / ١]، وسنبيّن تفصيل هذه المسائل بعد هذا إن شاء الله تعالى.

= المتوفى سنة ٣٨٦هـ، وغيره من كبار علماء الأحناف، حتى أصبح من كبار علماء الأحناف، وقد تلمذ عليه بعض المشاهير في علم الكلام. لقد كان لأبي منصور مناظرات ومجادلات عديدة مع المعتزلة في الأمور التي خالفهم فيها، وقد اتّحد في الهدف مع الأشعري في محاربة المعتزلة، وكان معاصراً له، وأما في العقائد فكان على اتفاق مع ما قرّره أبو حنيفة في الجملة، مع مخالفته في أمور، وله مؤلفات كثيرة في مختلف الفنون، منها: «بيان وهم المعتزلة»، «تأويلات أهل السنة»، «الدرر في أصول الدين»، «الرّد على تهذيب الكعبي في الجدل»، «كتاب التوحيد وإثبات الصفات»، «كتاب الجدل»، «مأخذ الشرائع في أصول الفقه»، «المقالات». توفي سنة (٣٣٣هـ). انظر ترجمته وآراءه في: «الجواهر المضيئة»: ٣/ ٣٦٠ - ٣٦١. «تهذيب الأسماء الواقعة في الهداية والخلاصة»: ٢١٧. «تاج التراجم»: ٢٤٩ - ٢٥٠. «المرقاة الوفية في طبقات الحنفية»، لوحة: ٧٤. «طبقات الحنفية»، لابن الحنائي: ١٦٧ - ١٦٨. «مفتاح السعادة»: ٩٦/٢، ١٥١، ١٥٢. «كتاب أعلام الأخيار»: رقم: ١٦٢. «الأنمار الجنية»: رقم: ٥٨٤. «الطبقات السنية»: رقم: ٢٣٠٤. «كشف الظنون»: ١/ ٢٦٢، ٣٣٥، ٥١٨، ٧٥١، ١٤٠٦/٢، ١٤٠٨، ١٥٧٣، ١٧٨٢. «الفوائد البهية»: ١٩٥. «هدية العارفين»: ٣٦/٢ - ٣٧. «الأعلام»: ٢٤٢/٧. «معجم المؤلفين»: ١١/ ٣٠٠. «فرق معاصرة»، لغالب بن علي العواجي. «البريلوية عقائد وتاريخ»، لإحسان إلهي ظهير. «الماتريدية»، لأحمد بن عوض الله اللهيبي الحربي. «الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات»، لشمس الأفغاني السلفي. «منهج الماتريدية في العقيدة»، لمحمد ابن عبد الرحمن الخميس. «معجم الفرق الإسلامية» لشريف يحيى الأمين: ٢٠٧.

(١) سقطت من ب.

الْقَوْلُ فِي الْإِسْطِطَاعَةِ^(١)

الاستطاعة، (والْقُوَّةُ^(٢))، والقدرة، والطاقة، والوُسْع، أسماءٌ متقاربةٌ عند أهل اللغة، مترادفةٌ عند المتكلمين، وهي ثابتةٌ للعبادِ في الأفعال الاختيارية، عند أهل السنة، خلافًا للجبرية^(٣)؛ فإنهم قالوا: العبد مجرى خلق الله تعالى؛ كالجمادات.

وفي هذا القول إبطالُ الأمرِ، والنَّهي، والوعد، والوعيد، ورفع الشُّرائع، وإنكار الحسِّ والضرورة، والتحاقُّ بالسُّوفسطائية.

وقالت القدرية^(٤)، والضرارية، وكثير من الكرامية: الاستطاعة ثابتةٌ للعبد، ولكن قبل الفعل؛ ليكون التكليف للقادر.

(١) انظر معنى الاستطاعة في «اللمع»: ١٠٥. «التوحيد»، للماتريدي: ٢٥٦. «شرح العقائد النسفية»: ١٢١. «الكليات»: ٣٩.

(٢) سقطت من ب.

(٣) هم القائلون بإسناد فعل العبد إلى الله تعالى.

انظر عن فرقهم ومقالاتهم: مقالات الإسلاميين: ٢٧٩ - ٢٨٠. البدء والتاريخ: ١٤٦/٥ - ١٤٧. الفهرست: ٢٥٤ - ٢٥٦. الفرق بين الفرق: ٢١١ - ٢١٤. أصول الدين، للبزدوي: ٢٥٢. الملل والنحل، للشهرستاني: ٨٥/١ - ٩١. المواقف: ٤٢٨. شرح المواقف: ٢٩٤/٣ - ٢٩٥.

(٤) هم القائلون أن كل عبد خالق لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله. انظر عن فرقهم ومقالاتهم: الرد على البدع والأهواء: ٨٧ - ٩٦. مقالات الإسلاميين: ٤٣٠، ٤٧٧، ٥٤٩. التنبيه والرد: ١٦٥ - ١٧٧. الفرق بين الفرق: ١١٤ - ٢٠١. التبصير: ٤٠ - ٥٨. أصول الدين، للبزدوي: ٢٤٩ - ٢٥٢. الملل والنحل: ٤٣/١ - ٨٤.

قال أهل السُّنة: - (١) - استطاعة الفعل مقارنةً للفعل؛ لأن القدرة الحادثة عَرَضٌ، والعرض يستحيل بقاءه، فلو كانت سابقة على الفعل، لانعدمت وقت الفعل، فحصل الفعل بدون القدرة، (ولو صحَّ الفعل بدون القدرة) (٢)، لصحَّ من العاجز، وإنه فاسد.

ودلالة استحالة بقاء الأعراض (٣): أن البقاء معنى وراء ذات الباقي، بدليل أن الجواهر في أول أحوال وجوده يوصف بالوجود، ولا يوصف بالبقاء.

بوضحة: أن الجوهر إذا وجد، فانعدم، صحَّ أن يقال: وجد ولم يبق، ولو كان البقاء هو الوجود، لصار تقدير الكلام، كأنه قال: وجد ولم يوجد، أو بقي ولم يبق، وإنه فاسد.

وإذا ثبت أن البقاء معنى وراء (الوجود) (٤).

فنتقول: الأعراض لا (قيام) (٥) لها بذواتها، إذ تقدير الحركة بدون المتحرك محالٌ، فلو كانت باقية لوجب قيام البقاء بها، ومتى استحال قيام العرض بذاته، استحال قيام البقاء (به) (٦).

(١) في ب: نصرهم الله.

(٢) سقطت من ب.

(٣) استدل القائلون ببقاء الأعراض بوجود ثلاثة:

(الأول): أن القدرة لو لم تتقدم الفعل، فبح تكليف الكافر، والتالي باطلٌ بالإجماع، فالمقدم مثله، وبيان الملازمة هو: أن تكليف ما لا يطاق قبيح، فلو لم يكن الكافر متمكناً من الإيمان حال كفره لزم تكليف ما لا يطاق.

(الثاني): لو لم تكن القدرة متقدمة على الفعل لزم استغناء الفعل عن القدرة مع فرض الحاجة إليها، وهو تناف ظاهرٌ وبيان الملازمة أن الحاجة إلى القدرة إنما هي لإخراج الفعل من العدم إلى الوجود، وحالة الإخراج يستغني عن القدرة، وقبله لا قدرة، فلا حاجة إليها مع أن الفعل إنما خرج بالقدرة.

(الثالث): لو لم تكن القدرة متقدمة لزم إما حدوث قدرة الله تعالى، أو قدم الفعل، والقسمان محالان، فالمقدم باطل.

(٤) في ب: ذات الباقي.

(٥) في ب: بقاء.

(٦) في ب: بدون.

ولأنه لو جاز قيام العرض بالعرض، لجاز قيام الحياة بالقدرة، والحركة بالسكون، ويستحيل أن توصف (القدرة بالحياة^(١))، و(السكون بالحركة^(٢)) فكذا البقاء.

ولأن العرض لو كان باقياً، لكان بقاءه غير بقاء الجوهر؛ لأنهما متغايران حقيقة.

ويستحيل بقاء شيئين متغايرين بقاءً واحداً، ولو صحَّ ذلك لأمكن تقدير بقاء القدرة مع فناء [٣٠/١] القادر، ولو جاز ذلك، لجاز وجود القدرة ابتداءً مع عدم القادر، وذا كله محالٌ، فما يؤدي إليه يكون محالاً أيضاً.

(فإن قيل: لو سلّمنا استحالة بقاء القدرة حقيقةً، لم يلزم من ذلك خلوه الفعل عن القدرة، أليس أنكم قلتم ببقاء الصفات حكماً بتجدد أمثالها؛ كالحل، والملك في الأعيان، وبقاء الكفر والإيمان في ذات الإنسان، فتكون القدرة باقيةً وقت الفعل بتجدد أمثالها.

قلنا: متى سلّمتم استحالة بقاء القدرة حقيقةً لم ينفعكم التّشبيث^(٣) بتجدد الأمثال؛ لأن القدرة التي حدثت مقارنةً للفعل حقيقةً، لا تخلو إما أن تكون قدرة هذا الفعل المقارن، أو قدرة فعل آخر يتعقبها^(٤)).

إن قلتم: قدرة (هذا)^(٥) الفعل المقارن، لزمكم حصول الفعل بالقدرة المقارنة، وتصير القدرة السابقة ضائعة فيما يرجع إلى وجود هذا الفعل، فيكون وجودها كعدمها.

وإن قلتم: قدرة فعل آخر تتعقبها، فقد خلا هذا الفعل عن قدرته، وإن كان

(١) في ب: الحياة بالقدرة.

(٢) في ب: الحركة بالسكون.

(٣) في هامش أ: التعلق.

(٤) سقطت من ب بعد أربعة أسطر.

(٥) زيادة من ب.

فأدركنا على فعل آخر، فيكون الفعل (حاصلاً^(١)) يمتن لا قدرة له .

ولو جاز ذلك (إيجاد^(٢)) الفعل (مع المعجز والخصم، إنما اشترط سبق القدرة^(٣)) لصحة التكليف، فإذا صحَّ الفعل بدون القدرة، فأية حاجة إلى اشتراطها وقت التكليف؟

ولأننا توافقنا أن الفعل يستحيل بقدرة سابقة على الفعل بأزمان كثيرة، متى كانت معدومة وقت الفعل، فكذا يستحيل بقدرة سابقة عليه بزمان واحد، لأن عدم في الحال لا يتفاوت.

ثم القدرة الواحدة هل تصلح للضدين أم لا؟

قال عامة الأشعرية، ومتكلمو أهل الحديث: إنها لا تصلح.

وقال أبو حنيفة - رحمه الله^(٤) -: تصلح، ولكن على سبيل البدل، (إن شاء فعل هذا، وإن شاء فعل ذلك^(٥))، وتابعه في ذلك القلانسي^(٦)، وابن شريح، وابن الراوندي؛ لأن محل القدرة وهو الآلة، صالحة للضدين، فكذا القدرة.

ونحقيقه: أن الطاعة مع المعصية إنما تختلفان بالنسبة (والإضافة^(٧)) إلى الأمر والنهي، لا من حيث الذات، فإن السجدة لله تعالى طاعة، وللصنم

(١) سقطت من ب.

(٢) في ب: لجاز.

(٣) سقطت من ب.

(٤) في ب: رحمه الله.

(٥) سقطت من ب.

(٦) هو أبو العباس، يذكر في كتب الكلام والملل والنحل على أنه من الصفاتية ممن أظهر مذهب ابن كلاب، ومع بحثي عن ترجمته لم ألق عليها. انظر المقدمة لابن خلدون: (في كشف الغطاء عن المنشأ من الكتاب والسنة). الملل والنحل، للشهرستاني: (الصفاتية). وله ذكر في كتب ابن تيمية مقروناً بابن كلاب.

(٧) سقطت من ب.

معصية، [٣١/١] ولا تفاوت في ذات السجدة، فلا يتفاوت القدرة عليها، إلا أنها إذا قرنت بالطاعة سُميت: (توفيقيًا، وإذا قرنت بالمعصية سُميت: خذلانيًا^(١))، وهي في ذاتها واحدة، (لا تفاوت في ذاتها^(٢))، كما أن السجدة إذا كانت لله (تعالى^(٣)) سُميت: طاعة، وإذا كانت للصنم سُميت: معصية، وهي في ذاتها وضع الجبهة على الأرض، وإنما اختلف الاسم باختلاف النسبة، فكذا هذا.

(١) سقطت من ب.

(٢) زيادة من ب.

(٣) زيادة من ب.

الْقَوْلُ فِي خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ

قال أهل السنة: - (١) - أفعال العباد، وجميع (أفعال) (٢) الحيوانات مخلوقة (بخلق) (٣) الله تعالى، ولا موجد لها إلا الله تعالى، [ب/ ٢٣٢] سواء كان الموجد عيناً أو عرضاً، على هذا كان الصحابة والتابعون - رضي الله عنهم -، إلى أن حدثت القدرية؛ فأحدثت القول بأن الأفعال الاختيارية من جميع الحيوانات بخلقها (إياها) (٤)، لا تعلق لها بخلق الله تعالى وقدرته، وهو قول باطل، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٥). وكذا قوله تعالى: ﴿أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (٦)، مدح نفسه بما تفرد به عن غيره؛ فافتضى أن لا يشاركه أحد في خلق شيء ما.

وكذا (قال - جلَّ جلاله - (٧): ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨)، وكلمة

-
- (١) في ب زيادة نصرهم الله.
 - (٢) سقطت من ب.
 - (٣) سقطت من ب.
 - (٤) سقطت من ب.
 - (٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٢.
 - (٦) سورة الرعد، الآية: ١٦.
 - (٧) في ب: قوله تعالى.
 - (٨) سورة الصافات، الآية: ٩٦.

(ما) (إذا ذكرت^(١)) مع الفعل، يراد بها المصدر عند جميع التَّخوين، كما يقال: أعجبني ما صنعت، أي: صنعك، فيكون المراد من الآية - (٢) -
(الله^(٣)) خلقكم وعملكم، ونصَّ عليه رسول الله ﷺ^(٤) حيث قال: «إن الله تعالى خلق كل صانع وصنعه»^(٥).

وأما المعقول: وهو أن فعل العبد محدث، وهو جائز الوجود (والعدم^(٦))، فيستوي (فيه^(٧)) إمكان الوجود والعدم، فلا يترجح الوجود على العدم إلا بتخصيص مخصص، وهو واجب الوجود، وهو (إيجاد^(٨)) الله تعالى.

وبهذا الزمننا على الدُّفْرِية في إنكارهم نسبة وجود (الأعيان^(٩)) إلى الله تعالى، (فتُلزِمُ المعتزلة أيضًا في إنكارهم نسبة وجود الأفعال إلى الله تعالى^(١٠)) إذ هما في الوجود سواء، ولأن العبد متى كان قادرًا على إيجاد الحركة في نفسه.

(١) سقطت من ب.

(٢) في ب زيادة: والله أعلم.

(٣) زيادة من ب.

(٤) في ب: ~~الله~~.

(٥) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد»: ص ٧٣، وابن أبي عاصم في «السنة»: (٣٥٧)،

(٣٥٨)، وابن منده في «التوحيد»، وابن عدي: ٢٦٣/٢، والحاكم: ٣١/١، والبيهقي في

«الأسماء والصفات»: ص ٢٦ و ٣٨٨، وكذا المحاملي في «الأمالي»: ج ٦ رقم: ١٣،

والديلمي من طرق. وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم». ووافقه الذهبي. ولفظه عند

البخاري وابن أبي عاصم وابن عدي والبيهقي والمحاملي: «صانع» مكان «خالق». وزاد

البخاري في آخر الحديث: «وتلا بعضهم عند ذلك: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ﴾». والظاهر أنها

مدرجة، وقال البخاري عقبه: «فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة».

(٦) سقطت من ب.

(٧) في ب: في العقل.

(٨) زيادة من ب.

(٩) في ب: الأهراس.

(١٠) سقطت من ب.

فنتقول: هل يقدر الله تعالى على [٣٢/١] إيجاد السكون في نفسه، في تلك الحالة أم لا؟.

إن قلت: يقدر، لزم اجتماع الضدين.

وإن قلت: لا يقدر، لزم تعجز الله تعالى، وكلاهما محال.

ولأن شرط قدرة التخليق، عِلْمُ الخالق بكيفية المخلوق قبل وجوده، لقوله تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١)، إذ من لا علم له بفعل أصلاً، لا يقدر عليه، ولا علم بكيفية فعله (غالباً) (٢) من الحسن والقبح. (والإضرار والانتفاع) (٣)، كما لا علم للكافر والمبتدع بقبح أفعالهما، فلا يتصور أن يكون خالقاً.

(فإن قيل: إذا حكمتم باستحالة الإيجاد من العبد، فإذا لا فعل له أصلاً، إذ لا معنى للفعل، أي: الخلق، إلا الإيجاد.

قلنا: لَمَّا اتَّفَقْنَا مع الخصوم على قيام الفعل بالعبد، وأقمنا الدلائل على استحالة الإيجاد من العبد، ثبت أن له فعلاً، وليس بإيجاد.

ثم نقول: ما يقوم بالعبد من الصفات، نوعان:

نوع يوجد الله فيه بدون قدرته واختياره؛ كحركات المرتعش.

والثاني: يوجد الله تعالى في العبد مع قدرته واختياره وإرادته؛ كالحركات الاختيارية، وهذه التفرقة معلومة بالضرورة، فيسمى هذا النوع: كسباً لا خلقاً، وقصرت العبارة عنه إلا بلفظ: (الكسب) كما أن التفرقة بين اللذة والألم معلومة قطعاً، ولا يُعبر عنهما إلا بهاتين اللفظتين (٤). (٥).

(١) الآية في ب: إلى قوله: ﴿مَنْ خَلَقَ﴾، الملك: ١٤.

(٢) سقطت من ب.

(٣) أي ب: الانتفاع والإضرار.

(٤) سقطت من ب قدر أربعة أسطر تقريباً.

(٥) لم ير شيخ الإسلام مصطفى صبري كبير فرق بين قول المعتزلة وقول هؤلاء الأئمة، انظر كتابه=

فالحاصل: أن فعل العبدِ يسمَّى: (كسبًا) لا خلقًا، وفعل الله تعالى يسمَّى: خلقًا لا كسبًا، واسم الفعل يشملهما، وهذا عندنا.
وعند الأشعرية: الفعل عبارة عن الإيجاد حقيقة، إلا أن الكسب يسمَّى: فعلًا مجازًا.

والصحيح ما ذهبنا إليه؛ لأن الاستعمال المطلق يدلُّ على الحقيقة، ولأنَّ من شرط المجاز أن يكون بين المَحَلِّين مشابهةً في معنى مخصوصٍ، فيستعارُ اللَّفْظُ عن محلِّ الحقيقة إلى محلِّ المجاز، لإفادة ذلك المعنى، ولا مشابهة (بين كسب العبدِ وإيجاد الله تعالى^(١)) بوجهٍ من الوجوه، فلا يتحقَّق المجاز.

وثبت بما ذكرنا جواز مقدور بين قادرين، ولكن بجهتين مختلفتين، (فيكون الفعل مقدورًا الله تعالى بجهة الإيجاد، ومقدورًا للعبد بجهة الكسب^(٢)).
والفرق بين الخلق والكسب، (وهو^(٣)) أن ما وقع بغير آلة فهو خلق. وما وقع بآلة فهو كسب.

وقيل: ما يجوز تفرد (الله^(٤)) القادر به، فهو خلق. وما لا يجوز [٣٣/١] تفرد القادر به، فهو كسب.

فيختصُّ (الكسب بالعبد، والخلق بالله تعالى^(٥)).

هذا إذا كان (الخلق) بمعنى الإيجاد، وأما (الخلق) بمعنى التقدير؛ فيجوز

= «موقف البشر تحت سلطان القدر» و «موقف العلم والعقل والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين».

ورأي شيخ الإسلام مصطفى صبري يحتاج لنظر لاحتوائه على دقائق، قد تعطي تصوراً آخر لمسألة تفصيل المعتزلة وغيرهم الكثير في موضوع خلق أفعال العبادا

(١) في ب: لإيجاد الله تعالى، وكسب العبد.

(٢) في ب: فيكون الفعل من مقدور الله تعالى بجهة الخلق، ومن العبد بجهة الكسب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في ب: الخلق بالله تعالى، والكسب بالعبد.

من العبد أيضًا، كما (أخبر^(١)) الله تعالى (عن عيسى^(٢)) - ﷺ -: ﴿وَلَا تَخْلُقْ مِنْ أُلْوِينَ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾^(٣)؛ أي: تقدُّره، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٤)؛ أي المقدرين.

فإن قيل: لو صحَّ ما ذكرتم: أن فعل العبد من العبد (يكون^(٥)) (كسبًا^(٦))، ومن الله تعالى خلقًا، كان الفعل مشتركًا بين الله تعالى وبين عبده.

قلنا: حدُّ الشَّرْكة بين اثنين: أن يختصَّ كلُّ واحدٍ منهما بنصيبه؛ كالعبد المشترك بين اثنين، يكون لكل واحدٍ منهما نصف العبد، وما يكون لأحدهما لا يكون للآخر.

فأمَّا (لو^(٧)) كان كل العبد لأحدهما بجهة، وللآخر بجهة أخرى، لا يكون العبد مشتركًا بينهما؛ كمن أجر عبده من إنسان، يكون كلُّ العبد لأجر بملك الرقبة، وللمستأجر بملك المنفعة. ولا يقال: إن العبد مشتركٌ بينهما.

وأوضح من هذا: أن كلَّ عبدٍ ملكٌ لمالكة بجهة الشُّراء، وملكٌ لخالقه بجهة التَّخْلِيق، فهل لقائل أن يقول: إن العبد مشتركٌ بين الله تعالى وبين عباده، بل الشَّرْكة فيما يزعمُ الخصم بأن بعض الأعراض بخلق الله تعالى، وبعضها بخلق العباد؛ فيكون إحالة الشَّرْكة مع هذا القول إلى من يخالفه من الوقاحة والعناد.

(١) في ب: قال.

(٢) في ب: لعيسى.

(٣) سورة المائدة، الآية: ١١٠.

(٤) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٥) سقطت من ب.

(٦) في ب: كسب.

(٧) في ب: إذا.

الْقَوْلُ فِي إِبْطَالِ التَّوَلِيدِ

ثبت بما ذكرنا: أن آثار أفعال العباد بخلق الله تعالى وإيجاده، لا بإيجاد العباد، ولا متولدة من أفعالهم، كما زعمت عامة القَدَرِيَّة. وزعم النُّظَام^(١): أنها فعل الله تعالى، بإيجاب الطبع. وقال القلانسي: إنها فعل الله تعالى، ولكن بإيجاب الخلقة. وزعم ثمامة بن الأشرس^(٢): أنها أفعال، لا فاعل لها.

-
- (١) شيخ المعتزلة، صاحب التصانيف، أبو إسحاق، إبراهيم بن سيار، مولى آل الحارث بن عبَّاد الضَّبْعِي البصري المتكلم. شيخ الجاحظ. له نظم رائق، وترسل فائق، وتصانيف جمَّة، منها: كتاب «الطُّفَرَة»، وكتاب «الجواهر والأعراض»، وكتاب «حركات أهل الجنة»، وكتاب «الوعيد»، وكتاب «النُّبُوَّة». مات، في خلافة المعتصم أو الواثق، سنة بضع وعشرين ومائتين. انظر عنه، وعن أقواله، والفرقة المنسوبة إليه في: «الرد على البدع والأهواء»: ٩٥. مقالات الإسلاميين: ١٨٧. طبقات المعتزلة: للقاضي عبد الجبار: ٢٤٦ - ٢٦٥. اختلاف الحديث، لابن قتيبة: ١٧ وما بعدها. طبقات المعتزلة، للمرتضى: ٤٩ - ٥٢. أمالي المرتضى: ١/ ١٨٧ - ١٨٩. فهرست ابن النديم: ٢٠٥ - ٢٠٦. الفرق بين الفرق: ١٣١ - ١٥١. تاريخ بغداد: ٩٧/٦ - ٩٨. الفصل: ٣٧٥/٢ - ٣٨٥. الملل والنحل: للشهرستاني: ٥٣/١ - ٥٩. التبصير: ٤٣ - ٤٥. اللُّبَاب: ٣/٣١٦. سير أعلام النبلاء: ١٠/٥٤١. الوافي بالوفيات: ١٤/٦ - ١٩. شرح المواقيف: ٣/٢٨٣ - ٢٨٤. خطط المقرئ: ١/٣٤٦. لسان الميزان: ٦٧/١. النجوم الزاهرة: ٢/٢٣٤. سفينة البحار: ٢/٥٩٧. معجم المصنفين: ٣/١٥٨ - ١٦١. المعتزلة، لزهدى جار الله: ١٢٨ - ١٣٧. وانظر: «النظام وآراؤه الفلسفية والدينية»، للأستاذ: محمد عبد الهادي أبي ريدة.
- (٢) هو: أبو معن ثمامة النميري، من أئمة المعتزلة، ولهذا الإمام مكانة خاصة بين علماء عصره، حتى المعتزلة منهم، فقد أوضح أن له في قضايا عصره موقفاً مستقلاً (متولدات الأعمال - إرادة=

والصحيح ما قلنا؛ لأن (هذه^(١)) الآثار لو حصلت بفعل العبد، إما إن حصلت بدون القدرة، أو بالقدرة التي حصل بها الفعل، أو بقدرة أخرى.

لا وجه إلى الأول لاستحالة تعري الفعل عن القدرة.

(ولا وجه إلى الثاني؛ لأن تلك القدرة مقارنة للفعل فتتعدم وقت الأثر^(٢)).

ولا وجه (إلى^(٣)) (الثالث^(٤))؛ لأنه يقتضي أن يقدر الإنسان على تحصيل الأثر بدون [ب/٢٣٣] (الفعل، أو تحصيل الفعل بدون الأثر^(٥))؛ كالآلم بدون الضرب، والضرب بدون الآلم، إذ من قدر على الشئتين كان قادرًا [أ/٣٤] على كل واحد منهما على الانفراد.

ولأنه يجوز أن يموت الضارب عقيب الضرب، والآلم يحدث بعده، والفعل من الميت محال، إلا أن الله تعالى لما أجرى العادة (المستمرة^(٦)) بخلق الأثر عقيب مباشرة السبب، فإذا باشر العبد السبب، لقصد حصول ذلك الأثر أضيف إليه، وتوجه عليه اللائمة عرفًا، ولزمته الغرامة (شرعًا^(٧)).

= الإنسان - تحكيم عقله في المعارف) وكان مقدمًا لدى الرشيد والمأمون نظرًا لثقافته العالية، ونقله الحاد للنظريات المحافظة التي أصبح أصحابها يعادونه ابتداءً من عهد المتوكل. والخلاصة فيه أنه كان فريد عصره في العلم والمعرفة، وكان يهاب لجلته. ويؤرخ لوفاته: ٢١٣ أو بفترة تقع بين: ٢٢٧ و ٢٣٢. ولم يصلنا شيء من مصنفاته إلا نكتًا مبثورة في «الحيوان» و«البيان والتبيين» للجاحظ، و«الانتصار» للخياط. انظر عنه في: تاريخ التراث العربي، سزكين: ٢/٣٩٦ - ٣٩٧ ر. ٤. فضل الاعتزال: ٢٧٢ - ٢٧٥. تاريخ بغداد: ٧/١٤٥. ابن النديم (الملحق). لسان الميزان: ٨٣/٢، ٤٤/٦. ميزان الاعتدال: ١/١٧٣.

(١) في ب: تلك.

(٢) سقطت من ب.

(٣) سقطت من ب.

(٤) في ب: للثالث.

(٥) سقطت من ب.

(٦) زيادة من ب.

(٧) في ب: الغرامة في الدنيا، والعقوبة في العقبى.

وإن لم يكن الأثر حاصلًا بفعله (حقيقة^(١))؛ كمن شقَّ زقَّ إنسانٍ حتى سال
الدُّهن، يلام عليه عرفًا، ويؤاخذ به شرعًا، وإن لم يكن السَّيلان حاصلًا بفعله
حقيقة، لكنَّ لماً باشر السَّبب لقصد حصول ذلك الأثر أضيف إليه فكذا هذا.

(١) سقطت من ب.

الْقَوْلُ فِي تَكْلِيفِ مَا لَا يُطَاقُ

قال أصحابنا - رحمهم الله - : لا يجوز من الله تعالى أن يكلف عباده بما لا يصح وجوده منهم، خلافاً للأشعرية وذلك ؛ لأن تكليف العاجز خارج عن الحكمة ؛ كتكليف الأعمى بالنظر، والمقعد بالمشي فلا ينسب إلى الحكيم جلّ جلاله .
وتحقيقه : أن التكليف إلزام ما فيه كلفة للفاعل ابتلاءً ، بحيث لو أتى به يثاب عليه ، ولو امتنع يعاقب عليه ، وهذا إنما يتحقق فيما يتصور منه ، لا فيما يستحيل عنه .

(فإن قيل : قال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾^(١) ، فلو لم يكن جائزاً لما صح الاستعاذة منه .
وكذا قوله تعالى للملائكة : ﴿ أُنِيبُوا بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ ﴾^(٢) مع علمه بأنه لا علم لهم بذلك .

وكذا روي في الخبر : « يقول الله للمصوّرين يوم القيامة : أحيوا ما خلقتكم »^(٣) .
قلنا : في الآية الأولى : الاستعاذة عن تحميل ما لا طاقة لنا به ، لا عن تكليفه .

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٨٦ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٣١ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب البيوع ، باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء (٢١٠٥) ، أطرافه : ٣٢٢٤ ، ٥١٨١ ، ٥٩٥٧ ، ٥٩٦١ ، ٧٥٥٧ . ومسلم في كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، وتحريم اتخاذ ما فيه (٢١٠٧) .

وهندنا: يجوز أن يحمله الله تعالى جبلاً أو جداراً لا يطيقه؛ فيموت. أما ما لا يجوز أن يكلفه أن يحمل جبلاً أو جداراً، بحيث لو فعل يثاب عليه، ولو امتنع يعاقب عليه؛ لأنه خارج عن الحكمة على ما ذكرنا.

وقوله جلّ جلاله: ﴿أَلَيْسَ لِي بِأَسْمَاءَ هَؤُلَاءِ﴾^(١) ليس بتكليف حقيقة، بل هو خطاب تعجيز، وتفسيره: توجيه صيغة الأمر، لإظهار عجزهم، وإنه جائز.

وكذا الأمر بإحياء الصور، ليس بتكليف حقيقة، بل هو نوع تعذيب له على ارتكابه المحظور^(٢) (يوضحه^(٣)) أنه يكون في القيامة، وهي دار الجزاء، لا دار الابتلاء.

فإن قيل: أليس أنه كلف أبا جهل وفرعون بالإيمان، وعلم أنهما لا يؤمنان، وخلاف معلوم الله تعالى محال.

قلنا: أول ما يلزم على هذا السؤال مخالفة الإجماع، ثم تكذيب أخبار الله تعالى. أما مخالفة الإجماع؛ فإن الأمة أجمعت [٣٥/١] على أن تكليف ما ليس في الوسع، ليس بكائن أصلاً، وإنما الاختلاف في جوازه عقلاً.

(وأمّا^(٤)) تكذيب (الخبر^(٥))، (قوله تعالى^(٦)): ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِشْرًا وَلَا مَنَعًا﴾^(٧)، والمحال (ما^(٨)) ليس في وسع أحد. وقوله: «خلاف معلوم الله تعالى محال».

(١) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٢) سقطت من نسخة ب نحو ستة أسطر تقريباً.

(٣) في ب: نوضحه.

(٤) في ب: ثم.

(٥) في ب: إخبار الله تعالى.

(٦) في ب: فقد قال الله تعالى.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

(٨) سقطت من ب.

قلنا: المحال ما لا يمكن في العقل تقدير وجوده، والجائز ما يمكن. وإنما
يقدَّر وجود الشيء وعدمه في ذاته من غير النسبة إلى علم الله تعالى وإرادته.
ودلالة ذلك: أننا اتَّفَقنا بأن العالم جائز الوجود والعدم، مع علمه تعالى أنه
يوجد، وقد تَحَقَّق وجوده في الحال، إذ لو صار ما علم وجوده واجباً، وما
علم أن لا يوجد مستحيلًا، لم يكن لجائز الوجود تحقُّق، وتكون الإرادة
لتمييز الواجب من المحال، لا لتخصيص أحد الجائزين من الآخر، وإنه
خلاف قول العقلاء.

فإن قيل: لو جاز وجود خلاف معلوم الله تعالى، لكان فيه تجهيل الله
تعالى.

قلنا: التجهيل في نفس الوجود، لا في تصوره؛ فإن علم الله تعالى فيه أن لا
يوجد مع تصور وجوده. (والله الموفق^(١)).

(١) زيادة من ب.

الْقَوْلُ فِي تَخْمِيمِ الْمُرَادَاتِ

قال أهل الحق: - (١) - إِنَّ كُلَّ مُحَدِّثٍ، فَهُوَ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَقَضَائِهِ، وَقَدَرِهِ، عَيْنًا كَانَ أَوْ عَرْضًا، خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا.

وقالت المعتزلة: ما ليس بِمَرُضِيٍّ اللَّهُ تَعَالَى فَلَيْسَ بِمُرَادٍ لَهُ. واختلفوا في المباحات.

فنقول: ما علم الله تعالى أن يوجد أراد أن يوجد، سواء أمر به، أو لم يأمر به، وإليه أشار أبو حنيفة - رَحِمَهُ اللَّهُ -، حيث سأل بعض الْقَدَرِيَّةِ، هل علم الله تعالى في الأزل، ما يكون من الشرور والقبايح أم لا؟

فاضطر إلى الإقرار به، ثم قال: هل أراد أن يظهر ما علم كما علم، أم أراد أن يظهر بخلاف ما علم؛ فيصير علمه جهلاً، فرجع عن مذهبه، وتاب عن ذلك (٢).

(١) في ب زيادة: نصرهم الله.

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد»: ١٣/ ٣٨٢ - ٣٨٣. وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: ٤٥/ ٢٩٨ - ٢٩٩، عن أبي يوسف بلفظ: قال: «سمعت أبا حنيفة يقول: وإذا كلمت القدري، فإني ما هو حرفان؛ إما أن يسكت، وإما أن يكفر. يقال له: هل عَلمَ الله في سابق علمه أن تكون هذه الأشياء كما هي، فإن قال: لا، فقد كفر، وإن قال: نعم، يقال له: أفأراد أن تكون كما علم، أو أراد أن تكون بخلاف ما علم؟ فإن قال: أراد أن تكون كما علم، فقد أقر أنه أراد من المؤمن الإيمان، ومن الكافر الكفر، وإن قال: أراد أن تكون بخلاف ما علم، فقد جعل ربه مُتَمَنِّياً منحسراً، لأن من أراد أن يكون ما علم أنه لا يكون، أو لا يكون ما علم أنه يكون، فإنه مُتَمَنِّ =

ولهذا قال (بعض أصحابنا - رحمهم الله تعالى -: إن الإرادة تجري مع العلم.

والصحيح أن يقال^(١): إن الإرادة تجري مع الفعل.

ومعناه: أن كل ما يكون مفعول الله تعالى، فهو (مراده)^(٢).

ولهذا قال الشيخ الإمام (الأجل^(٣)) أبو منصور - رحمه الله -: إن هذه المسألة فرع مسألة خلق الأفعال، فمهما دللنا أن جميع أفعال العباد مخلوق الله تعالى، كان مراداً له، إذ لو لم يُرَد، لكان مجبوراً في إيجاده، وإنه محال.

وبعض الآيات ناطقة بعموم المشيئة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٤)، (وكقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾^(٥)).

(وكذا^(٦)) قوله^(٧) تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً﴾^(٨).

وبعضها تنص على إرادة الضلال، كقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٩) [١٠]، وكقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً﴾^(١١).

= منحسّر، ومن جعل ربه متمنياً منحسراً فهو كافر.

وأورده كذلك الماتريدي في «التوحيد»: ٣٠٣ - ٣٠٤. وابن الجوزي في «المنتظم» ٨ / ١٣١ - والبيهقي في «الأصول المنيفة» ٧٥. وإشارات المرام: ٣٠٤ - ٣٠٧.

(١) سقطت من ب.

(٢) في ب: مراد له.

(٣) زيادة من ب.

(٤) سورة الإنسان، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٠٧.

(٦) زيادة من ب.

(٧) سقطت من ب.

(٨) في ب: وكقوله.

(٩) سورة يونس، الآية: ٩٩.

(١٠) سورة الرعد، الآية: ٢٧.

(١١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٥.

ولا فرق (عند أهل السنة^(١)) بين الإرادة والمشية^(٢)، خلافاً للكرامية .
والدليل على صحة ما ذهبنا إليه : اللفظ المنقول الذي تلقته الأمة بالقبول،
(وهو قول^(٣)) : «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن» .
ومذهب الخصم يضاد قضية هذه الكلمة ؛ فإن ما شاء من الإيمان، من
جميع الكفرة، لم يكن، وما لم يشأ من كفرهم كان، فيكون باطلاً بإجماع
الأمة .

فإن قيل : لو شاء من الكافر الكفر، لم يمكنه الخروج عن مشيئته ؛ فيصير
مجبوراً، فلما أن يعذر (بالكفر^(٤))، وفيه إبطال الأمر والنهي، والوعد
والوعيد، (أو^(٥)) يعاقب عليه، وفيه تكليف ما ليس في الوُسْع، ونسبة الجور
إلى الله تعالى .

قلنا : نعارضكم [ب/ ٢٣٤] بالعلم ؛ إنه متى علم منه الكفر، هل يمكنه
الخروج عن علمه أم لا ؟ .

فما أجبتم عن فصل العلم، فهو جوابنا عن فصل الإرادة .
ثم نقول : شاء منه الكفر، ولكن باختياره ومشيئته، مع القدرة على الإيمان،
كما علم منه، كذلك حتى صَحَّ الأمر والنهي، والوعد والوعيد .
وإذا كان (المراد والمعلوم^(٦)) (هو^(٧)) الفعل الاختياري، كيف يكون

(١) سقطت من ب .

(٢) في هذا الموضع في ب : عند أهل السنة .

(٣) زيادة من ب .

(٤) في ب : في الكفر .

(٥) في ب : وأما .

(٦) في ب : المعلوم والمراد .

(٧) زيادة من ب .

(الفاعل^(١)) (فيه مجبوراً^(٢))، وقد نصَّ الله تعالى على مشيئة العبد بقوله تعالى^(٣): ﴿مَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾^(٤).

وكذا قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(٥)، والعبد يعلم (ذلك^(٦)) من نفسه علماً ضرورياً، لا يجد إلى إنكاره سبيلاً، (و^(٧)) مشيئة الله تعالى لأفعاله ثابتة نصاً وعقلاً، فلا سبيل إلى إنكار أحدهما.

فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٨)، أخبر أنه خلقهم للعبادة، فكيف يريد منهم الكفر (والمعصية^(٩))؟

(وكذا قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾^(١٠))^(١١). وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾^(١٢)).

قلنا: أما الآية الأولى؛ تعذر إجراؤها على عمومها، فإن الصبيان والمجانين لم يعبدوه، فلا بُدَّ من التأويل، والتأويل من وجهين:

أحدهما: بجواز أن يكون المراد: إلا ليكونوا عبيداً لي.

والثاني: يجوز أن يكون المراد من علم الله تعالى من الجن والإنس أن يعبدوه، لا العموم.

(١) في ب: العبد.

(٢) في ب: مجبوراً فيه.

(٣) سقطت من ب.

(٤) سورة الكهف، الآية: ٢٩.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٤٠.

(٦) زيادة من ب.

(٧) في ب: ثم.

(٨) سورة الداريات، الآية: ٥٦.

(٩) في ب: والعصيان.

(١٠) سورة البقرة، الآية: ١٨٥.

(١١) سقطت من ب.

(١٢) سورة هافر، الآية: ٣١.

وأما الآية الثانية؛ المراد به: أنه لم يرد بشرع الإفطار في رمضان، والقضاء خارج رمضان العسر لعباده، وإنما أراد به اليسر.

وأما الثالثة؛ فالمراد بها: لا يريد الظلم على العباد، يعني: لا يظلم عليهم، لأن لا يريد ظلم العباد بعضهم على بعض.

والدليل عليه: إنه لم يقل ظلم العباد، بل قال: ظلمًا للعباد، واللام بمعنى «على» كقوله (تعالى^(١)): ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧] أي: فعلیها.

فَضْلٌ

ثم المعدوم لا يتعلّق بالإرادة عند عاتمة أصحابنا - رحمهم الله -، خلافاً لبعض الناس؛ فإن الإرادة تلازم الفعل، والمعدوم لا يصلح أن يكون مفعولاً، فلا (يصلح^(٢)) أن يكون مراداً.

ولأن ما يتعلّق بالإرادة يكون حادثاً، والعدم أزليّ يدلُّ عليه قول الأئمة: «ما شاء الله كان، [٣٧/١] وما لم يشأ لم يكن»، ولم يقولوا: «ما شاء الله أن لا يكون لم يكن».

وكذا المعدوم لا يتعلّق بالرؤية عند جميع (المسلمين^(٣)) خلافاً للباطنية والمقنعية^(٤)؛ فإنهم قالوا: العالم مرثي الله تعالى قبل وجوده في الأزل،

(١) زيادة من ب.

(٢) في ب: يصحّ.

(٣) في ب: للناس.

(٤) المقنعية: مبيضة ما وراء النهر، وكان زعيمهم رجلاً كان يعرف بالمقنع، وكان رجلاً قصاراً أعور من قرية من قرى مرو، كان قد نظر في شيء من الهندسة والنيرنجات، وكان على دين الرزامية، ثم ادعى لنفسه الإلهية، واحتجب من الناس؛ فاغتر به جماعة من أهل جبل إيلاق، ودامت فنتته أربع عشرة سنة. وكان المقنع أحل المحرمات لأتباعه، وأسقط منهم الصلاة والصوم وجملة الفرائض.

انظر للمزيد: التبصير: ١٢٠، ١٣٠، ١٣١. الفصل: ١٤٣/٤. الفرق بين الفرق: ٢١٥، =

(وهذا^(١)) قولٌ باطلٌ ؛ فإنه يشعر بكون المعدوم شيئاً .

وحاصله : يرجع إلى القول بقدوم العالم ، ولأنهم اتَّفَقُوا أن المعدوم الذي يستحيل وجوده ، أي : الذي لا يوجد أصلاً لا يتعلق برؤية الله تعالى ، فكذا المعدوم الذي يوجد ، إذ لا تفاوت في العدم .

ولأن علّة جواز الرؤية (الوجود^(٢)) في الشاهد على ما قرّرنا في مسألة الرؤية ، فإذا (انعدمت^(٣)) العلّة امتنع جواز الرؤية ، فجاءت الاستحالة ، وما يستحيل رؤيته لا يضاف إلى رؤية الله تعالى ، كالجمع بين الضدين ، لما كان مستحيلاً في الشاهد لا يضاف إلى قدرة الله تعالى .

= ٢٢٢ ، ٢٤١ - ٢٥٠ . الملل والنحل : ١ / ١٤٩ . اعتقادات المسلمين والمشرّكين : ٧٩ - ٨٠ .

(١) في ب : وهو .

(٢) سقطت من ب .

(٣) في الأصل : انعدم ، والمثبت من ب .

الْقَوْلُ فِي نَفْيِ الْأَصْلَحِ

لا يجب على الله تعالى رعاية الأصلح (للعباد^(١))، ولا رعاية الصّلاح لهم عندنا، خلافاً للمعتزلة.

وقال بشر بن المعتمر ومن تابعه: يجب رعاية الأصلح على الله تعالى، وهو فاسد؛ لأن الألوهية تنافي الوجوب عليه، بل له أن يفعل بعبده ما شاء، إلا أنه خصّ المؤمنين بلطفٍ لو فعل ذلك مع جميع الكُفَّار لآمنوا، وذلك فضل^(٢) وكرم (من الله تعالى^(٣))، ولو منع ذلك عن بعض عبده كان ذلك عدلاً منه وقهراً، وهو محمود في عدله وقهره، كما في فضله وكرمه.

ولأنّ في القول (الوجوب^(٤)) الأصلح على الله تعالى إبطال متته على عباده في الهداية لهم، لأن من أدّى حقاً واجباً عليه لا منة له على المؤدى إليه.

ولأن فيه قولاً بتناهي مقدور الله تعالى حيث (أعطاه غاية ما في مقدوره من الأصلح^(٥)) له، إذ لو بقي في مقدوره شيء هو أصلح للعبد ولم يعطه كان جوراً منه، ويلزم من هذا أن لا يكون الله تعالى زيادةً منّةً في حقّ (محمد^(٦))

(١) في ب: لعباده.

(٢) في ب: فضل منه.

(٣) سقطت من ب.

(٤) في ب: بوجوب.

(٥) في ب: أعطاه ما هو الأصلح.

(٦) في ب: النبي.

- ٢٢٢ - لم يكن ذلك في حق أبي جهل - (١) -، لأنه (٢) فعل بكل واحد منهما غاية ما في مقدوره من الأصلح.

ولأن الأمة (أجمعت) (٣) على سؤال العصمة، والمعونة، والتوفيق من الله تعالى، فإن اتاهم ذلك فسؤالهم سفة، وإن لم يؤتاهم (ذلك) (٤) فقد فعل بهم المفسدة.

وكذا سؤال دفع المرض، وكشف الضرر جائز، بل مستحب، فإن كان المرض والبلاء مصلحة، فسؤال إزالتها طلب المفسدة، وإن كان الزوال مصلحة فقد فعل بهم المفسدة.

والذي يظهر عوار مذهبهم أن عندهم: لما أعطى الله تعالى الكافر غاية ما في مقدوره من الاستعداد والتمكن، ومع ذلك لم يؤمن، تبين (٥) بهذا أنه ليس في مقدوره ما هو الأصلح للعبد أن يؤمن باختياره، فيسعد لا أن يقدر [٣٨/١] على الإيمان، و(لا) (٦) يؤمن فيشقى؛ فإذا (على زعمكم) (٧) فعل الله تعالى بعبد ما هو أفسد في حقه، لا ما هو الأصلح.

(١) في ب زيادة: لعنه الله.

(٢) في ب زيادة: يقرر.

(٣) في ب: أطقت.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في ب: تبين بأن هذا.

(٦) في ب: لم.

(٧) في ب: أعطاه ما هو الأصلح.

الْقَوْلُ فِي الْأَرْزَاقِ

قال أهل السنة: - (١) - ما يأكله الإنسان (فهو رزقه^(٢)) حلالاً كان أو حراماً.

وقالت المعتزلة: الحرام ليس برزق.

وهذا الاختلاف بناء على (أن اسم الرزق عندنا ينطلق على^(٣)) [ب/ ٢٣٥] ما يتغذى به الحي، وعندهم للملك خاصة، وهو فاسد؛ فإنه يؤدي إلى الخلف في وعد الله تعالى في إيفاء الرزق، لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾^(٤)، والدواب لا يتصور لها (لها الملك، ورُبما يأكل الإنسان في عمره الحرام، وليس يصح أن يقال: أنه^(٥)) (لم^(٦)) يأكل رزق الله تعالى (في تلك المدة^(٧)).

فإن قيل: إذا كان الحرام رزق الله تعالى، فلم يعاقب على أكله^{١٢}.

(١) في ب زيادة: نصرهم الله.

(٢) في ب: أعطاه ما هو الأصلح.

(٣) جملة مكررة في بداية اللوحة الجديدة في ب.

(٤) سورة هود، الآية: ٦.

(٥) زيادة من ب.

(٦) سقطت من ب.

(٧) سقطت من ب.

قلنا: بناءً على (مباشرة سببه^(١))، وقصده، واختياره ذلك؛ (فإن^(٢)) الله تعالى وعد الرزق مطلقاً، وأمر العبد بطلبه من وجهٍ جلَّه بقوله - (جلَّ جلاله^(٣)) -: ﴿كُلُوا مِنَّمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾^(٤)، فإذا طلبه بحرمة وهو من غير جلَّه، يوصله الله تعالى إليه (من ذلك الوجه، ولكن يعاقبه على سوء اختياره، ومخالفة أمره^(٥)) كما قلنا في سائر المتولّدات: إن الموت في المقتول بخلق الله تعالى، ولكن يعاقب (الله تعالى^(٦)) القاتل على (مباشرة^(٧)) سببه، وقصده ذلك.

(١) في ب: سبب مباشرته.

(٢) في ب: لأن.

(٣) سقطت من ب.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٦٨.

(٥) سقطت من ب.

(٦) سقطت من ب.

(٧) في ب: لمباشرة.

الْقَوْلُ فِي الْأَجَالِ

قال أهل السنة: - (١) - المقتول ميّت بأجله، ولا أجل له (سوى ذلك) (٢)، والقتل فعل القاتل قائم (به)، والموت قائم بالميت بخلق الله تعالى فيه، عقيب فعل القاتل (٣).

وقالت المعتزلة: المقتول مقطوع عليه أجله، لولا القتل لعاش إلى أجله. وقال الكعبي (٤): له أجلان؛ القتل والموت، وعنده المقتول ليس بميت. والصحيح ما قلنا؛ لأن الله تعالى حكم بأجال العباد على ما علم منهم وأراد، ولا تردّد في علم الله تعالى وإرادته، ولا مردّد لحكمه وقضائه. فإن قيل: قال النبي ﷺ: «صلة الرحم تزيد في العمر» (٥)، فلو كان له أجل

(١) في ب زيادة: نصرهم الله.

(٢) في ب: سواء.

(٣) سقطت من ب.

(٤) أبو القاسم الكعبي (٢٧٢ - ٣١٩ هـ) (٨٨٦ - ٩٣١ م). عبدالله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي، أبو القاسم، أحد أئمة المعتزلة، وإليه تنسب طائفة الكعبية، أقام ببغداد، وتوفي ببلخ. من مؤلفاته: «أدب الجدل»، «تحفة الوزراء»، «التفسير»، «السنة».

راجع: «تاريخ بغداد»: ٩ / ٣٨٤. «الملل والنحل»، للشهرستاني: ١ / ٧٦. «سير أعلام النبلاء»: ١١ / ٣١٣. «شذرات الذهب»: ٤ / ٩٣. «الأعلام»: ٤ / ٦٥.

(٥) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ٨ / ٢٦١ (٨٠١٤). والمعجم الأوسط: ١ / ٢٨٩ (٩٤٣). والبيهقي في شعب الإيمان: ٣ / ٢٤٤ (٣٤٤٢). والحاثر في مسنده: ١ / ٣٩٧ (٣٠٢). والشهاب في مسنده: ١ / ٩٣ (١٠٠)، ١ / ٩٤ (١٠٢).

واحد، لا يتصور فيه الزيادة.

قلنا: تفسير هذه الزيادة: أنه كان في علم الله تعالى أنه لولا صلة الرحم لكان عمره مثلاً خمسين سنة، ولكنه علم أنه يصل رحمه، ويكون عمره سبعين سنة.

(والمحكوم المراد: أنه يصل ويعيش إلى سبعين سنة؛ فسَمِيَ هذه العشرين زيادةً بصلة الرحم، بناءً على علمه أنه لولا لكان عمره خمسين سنة^(١)).

وأصل هذا: أن الله تعالى [٣٩/١] كما يعلم المعلوم الذي يوجد، أنه (لو وجد^(٢)) كيف يوجد، يعلم المعلوم الذي لا يوجد، أنه لو وجد كيف يوجد، كما أخبر الله تعالى عن أهل النار أنهم لو رُدُّوا إلى الدنيا، لعادوا إلى كفرهم، مع علمه (تعالى^(٣)) أنهم لا يُرَدُّون، بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٤).

(١) سقطت من ب.

(٢) سقطت من ب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٨.

الْقَوْلُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ

قال أهل الحق: - (١) - (إِنَّ^(٢)) أفعال الخلق، وأحوالهم، وأقوالهم، كلها بقضاء الله تعالى وقدره.

وقالت المعتزلة: المعاصي ليست بقضائه وقدره، كما قالوا في الإرادة، وهي مبنية على مسألة خلق الأفعال.

فنقول: كل ما كان بخلق الله تعالى وإرادته، فهو بقضائه وقدره؛ لأن القضاء في اللغة: عبارة عن الفعل، (مع^(٣)) زيادة إحكام، كما قال أبو ذؤيب الهذلي: وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا داوُدُ أَوْ صِنْعُ السُّوَابِغِ تُبِعُ^(٤) والقدر: تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد (فيه^(٥)) من (حُسْنٍ وَقُبْحٍ^(٦))، (ونفع^(٧)) (وضرر^(٨))، (وما يحويه من ظرف المكان والزمان، وما يلزمه من

(١) في ب زيادة: نصرهم الله.

(٢) زيادة من ب.

(٣) في ب: الذي فيه.

(٤) البيت من بحر الكامل لأبي ذؤيب في ديوانه ضمن قصيدة مطلعها:

أَمِنْ الْمَنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ وَالذَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ بَجْرِغٍ

مسرودتان: درعان. قضاهما أي فرغ منهما، ومنه قول الله عز وجل: ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَنَواتٍ﴾

يَوْمَئِذٍ [فصلت: ١٢]، والصنع الحاذق بالعمل يريد تعاورا درعين بالطعن.

(٥) زيادة من ب.

(٦) في ب: من القبح والحسن.

(٧) سقطت من ب.

(٨) في ب: والضرر.

ثواب^(١) أو عقاب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٢)، وقال (النَّبِيُّ)^(٣) ﷺ: «القدر خيرُه وشرُه من الله (تعالى)^(٤)»^(٥).

فإن قيل: قال (النَّبِيُّ)^(٦) ﷺ^(٧) خبراً عن الله تعالى: «من لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر على (نعمائي)^(٨)؛ فليطلب رباً سواي» فلو كان الكُفر (بقضائه)^(٩) لزمنا أن نرضى به، وذا لا يجوز.

قلنا: الكفر مَقْضِيٌّ الله (تعالى)^(١٠)، لا قضاؤه؛ فإن قضاءه (صفته)^(١١)، والكفر (صفة العبد). وقضاؤه أن يخلق الكُفر في الكافر شراً، قبيحاً، باطلاً، عند اختيار العبد ذلك، على وجه يستحقُّ به عقاب الأبد.

ونحن نرضى بهذا على أن المراد من الحديث^(١٢) الأمراض والمصائب التي تصيب الإنسان من غير اختياره، فأما ما يباشره العبد باختياره فهو يرضى به^(١٣) أشدَّ الرضى، من غير تحريض (أحد)^(١٤)، فلا يكون مراداً بالحديث.

(١) سقطت من ب.

(٢) سورة القمر، الآية: ٤٩.

(٣) زيادة من ب.

(٤) في ب: عز وجل.

(٥) جزء من حديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (٨).

والترمذي في كتاب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي الإمامة

والإسلام: (٢٦١٠). وأبو داود في كتاب السنة، باب في القدر (٤٦٩٥). ولفظ مسلم:

«الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره».

(٦) زيادة من ب.

(٧) في ب: ﷺ.

(٨) في ب: لنعمائي.

(٩) في ب: بقضاء الله.

(١٠) زيادة من ب.

(١١) في ب: صفة.

(١٢) سقطت من ب.

(١٣) سقطت من ب.

(١٤) زيادة من ب.

الْقَوْلُ فِي الْهُدَى وَالْإِضْلَالِ

قال أهل السنة: - (١) - الهدى من الله تعالى: خلق الاهتداء في العبد.

والإضلال: خلق الضلالة فيه.

وقالت المعتزلة: الهدى من الله تعالى، (بيان^(٢)) (طريق^(٣)) الصواب والإضلال تسمية [٤٠/١] العبد ضالاً، أو حكمه بالضلال عند خلق العبد الضلالة في نفسه.

والصحيح قول أهل السنة - (٤) -؛ لقوله تعالى خطاباً للنبي ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٥)، ولو كان الهدى بيان طريق الصواب، لَمَا صَحَّ النَّفْيُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (٦)، لأنه يَبَيِّنُ الهدى لمن أَحَبَّ وأبغض. وكذا قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (٧)، فلو كان الهدى بيان (الطريق^(٨))، لم تتحقق القسمة، لأنَّ بيانه عامٌ في حقِّ الكلِّ، وكذا الإضلال،

(١) في ب زيادة نصرهم الله.

(٢) في ب: ما.

(٣) في ب: بطريق.

(٤) في ب زيادة: نصرهم الله.

(٥) سورة القصص، الآية: ٥٦.

(٦) سقطت من ب.

(٧) سورة النحل، الآية: ٩٣.

(٨) في ب: طريق الصواب.

لو كان تسمية العبد ضالاً، لتقيّد ذلك بمشيئة العبد، لا بمشيئة الله تعالى؛ لأن ذلك ينبنى على قصد العبد واختياره ذلك، إلا أن الهداية تضاف إلى النبي ﷺ (١) بطريق (السبب) (٢) (والدعوة) (٣)، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٤).

ويكون المراد هو: البيان والدعوة، (٥) وتضاف إلى القرآن أيضاً، (كما قال الله (٦) تعالى ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْنَمٌ﴾ (٧) لكونه سبباً للاهتداء.

وكذا الإضلال كما (أضيف) (٨) إلى الله تعالى، (من حيث خلق الضلالة في العبد عند اختياره ذلك، أضيف إلى الشياطين أيضاً بطريق التسيب والدعوة، كما قال الله تعالى: (٩) ﴿وَلَا ضَلَالَتَهُمْ وَلَا مَنِيْنَهُمْ﴾ (١٠).

(وكذلك أضيف) (١١) إلى الأصنام، لكونها سبباً للضلالة، كما قال الله تعالى خبراً عن الخليل عليه السلام (١٢): ﴿رَبِّ إِنِّي أَخْلَلْتُ كَيْدًا مِنَ النَّاسِ﴾ (١٣)، والفعل الواحد لا يضاف إلى الله تعالى، وإلى غيره بجهة واحدة، فكان المراد ما قلنا.

(١) في ب: ﴿وَأَنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

(٢) في أ: التسيب.

(٣) زيادة من ب.

(٤) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

(٥) في ب: وكذا أيضاً يضاف.

(٦) في ب: لقوله.

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٨) في ب: يضاف.

(٩) سقطت من ب بقدر سطر، ومكانه كلمة واحدة: (اللعين) أ.

(١٠) سورة النساء، الآية: ١١٩.

(١١) في ب: وكذا يضاف.

(١٢) زيادة من ب.

(١٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٦.

الْقَوْلُ فِي أَصْحَابِ الْكِبَائِرِ

قال أهل السُّنة: - (١) - من ارتكب كبيرة دون الكفر، فلا يصير كافرًا، ولا منافقًا، ولا يخرج عن الإيمان، وإن (مات) (٢) من غير توبة؛ إما أن يعفو الله عنه بشفاعته شفيح، أو بفضله وكرمه، [ب/٢٣٦] وإما أن يعاقبه (الله تعالى) (٣) بقدر جنايته، ثم يدخل الجنة لا محالة.

وعند الخوارج: يصير كافرًا.

وعند المعتزلة: يخرج من الإيمان، ولا يدخل في الكفر، وإن مات من غير توبة يخلد في النار.

وكان الحسن البصري (٤) - ~~تلك~~ - يقول: إنه (٥) منافق، ثم رجع عن ذلك.

(١) في ب زيادة: نصرهم الله.

(٢) في أ: كان، والتصحيح من نسخة ب.

(٣) سقطت من ب.

(٤) هو الحسن بن أبي الحسن يسار، أبو سعيد، مولى زيد بن ثابت الأنصاري، من أئمة التابعين. أشهر من أن يعرف، توفي ١١٠ هـ.

انظر للتوسع في ترجمته: «طبقات ابن سعد»: ١٥٦/٧. «المعرفة والتاريخ»: ٣٢/٢، ٣٣٨/٣.

«أخبار القضاة»: ٣/٢. «الحلية»: ١٣١/٢. «ذكر أخبار أصبهان»: ٢٥٤/١. «فهرست ابن

النديم»: ٢٠٢. «طبقات الفقهاء»، للشيرازي: ٨٧. «الحسن البصري»، لأبي الفرج بن

الجزري. «تهذيب الأسماء واللغات»، القسم الأول من الجزء الأول: ١٦١. «سير أعلام

النبلاء»: ٥٦٣/٤. «وفيات الأعيان»: ٦٩/٢. «تاريخ الإسلام»: ٩٨/٤. «تذكرة الحفاظ»: ١/

٦٦. «البداية والنهاية»: ٢٦٦/٩ - ٢٦٨. «النجوم الزاهرة»: ٢٦٧/١. «طبقات الحفاظ»،

للسيوطي: ٢٨. «طبقات المفسرين»: ١٤٧/١. «شذرات الذهب»: ١٣٦/١.

(٥) في ب زيادة: يصير.

وقالت المرجئة^(١): لا (يُضُرُّ)^(٢) مع الإيمان ذنبٌ، كما لا ينفع مع الكفر طاعةٌ.

والصحيح ما قال أهل السنة؛ - ^(٣) - [١/ ٤١] لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبًا إِلَى اللَّهِ قَوْمًا نَصُوحًا﴾^(٤) (الآية^(٥))، خاطبهم باسم الإيمان (مع ارتكاب العصيان، إلى غير ذلك من الآيات.

والأمة توارثت^(٦) من عصر النبي - ﷺ - إلى يومنا هذا بالصلاة على من مات من أهل القبلة، والدعاء والاستغفار لهم، مع علمهم بارتكاب الكبائر، وكذا اشتهر استغفار المؤمنين في الصلاة لوالديهم و(لأقربائهم)^(٧) ومعارفهم من غير تمييز، مع اعتقادهم أن الاستغفار للكافر لا يجوز.

(١) هم الذين اتكلوا على الإيمان بلا أي عمل، وقالوا: لا ينفع مع الكفر حسنة؛ فذلك الإيمان لا يضر معها الكبائر. وهي من أخطر الفرق التي لها ظهورٌ على الساحة اليوم، ويدعو إليها اليوم بعض من يدعي الانتساب إلى السلف الصالح، كل ذلك ليبرروا للمستبدين عدم تطبيق أحكام الشريعة في الحياة، وتعطيل فريضة الجهاد.

المرجئة الخالصة: هم القائلون بأن الإيمان هو الإقرار وحده، وأنه لا تنفع مع الكفر طاعة، ولا تضر مع الإيمان معصية.

سموا مرجئة، لأنهم أرجؤوا العمل عن الإيمان.

وسموا مرجئة خالصة، لأن المرجئة ثلاث فرق: مرجئة القدرية، مرجئة الجبرية، مرجئة خالصة، والمرجئة الخالصة تفترق على خمس فرق، أو على سبع فرق كما ذهب إلى ذلك الشهرستاني.

انظر مقالاتهم في: «مقالات الإسلاميين»: ١٣٢ - ١٥٤. «البدء والتاريخ»: ١٤٤/٥ - ١٤٦. «الفرق بين الفرق»: ٢٠٢ - ٢٠٦. «الفصل»: ٢٢٧/٣، ٧٣/٥ - ٩٦. «أصول الدين»، للبزدوي: ٢٥٢. «شرح المواقف»: ٢٩٣/٣ - ٢٩٤. «المنية والأمل»: ١٢٠. ظاهرة الإرجاء، للدكتور سفر الحوالي.

(٢) في ب: يصير.

(٣) في ب زيادة: نصرهم الله.

(٤) سورة التحريم، الآية: ٨.

(٥) سقطت من ب.

(٦) سقطت من ب.

(٧) في ب: معارفهم.

وتحقيقه: وهو أن حقيقة الإيمان، هو: التصديق (بالقلب، والإقرار باللسان) أمانة عليه، فمن وجد منه الإقرار بالإنكار، لا يوصف بكونه كافرًا، وإذا لم يكن كافرًا كان مؤمنًا، إذ لا واسطة بين التصديق^(١) والتكذيب إلا الشك والتوقف، وإنه كفرٌ بالاتفاق.

فأما مخالفة الأمر، وارتكاب النهي، إذا لم يكن بطريق الاستحلال والاستخفاف، لا يكون تكديًا، ولا^(٢) ردًا للأمر والنهي، بل يكون ذلك إما لغلبة شهوة أو حمية أو أنفة أو كسل، (كيف وقد اقترن بذلك خوف العقاب ورجاء العفو منه، والعزم^(٣)) على توبة، وذا كله ثمرة الإيمان، وأمانة تصديق الوعد والوعيد.

ومثاله: الطبيب إذا أمر المريض بشرب الدواء، ونهاه عن (أكل^(٤)) ما يضره، وصدقه المريض، وقبل ذلك منه، ولكن ربما يقدم مع ذلك على أكل ما يضره، أو يمتنع عن شرب ما ينفعه، مع خوف الضرر، والندامة على ذلك، (و^(٥)) الحياء من الطبيب، والخوف من ملامته، ورجاء التدارك منه لا يكون هذا ردًا لأمر الطبيب، ولا استخفافًا بحقه، كذا هذا.

وإذا ثبت بما ذكرنا أنه مؤمن، كان حكمه الجنة، لو مات على ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(٦).

وإذا كان من أهل الجنة لا يتصور الخلود في النار؛ لأن الخلود في (النار^(٧)) لا يتصور مع دخول الجنة، ولأن الخلود في النار لما كان موعودًا للكفار، وإنه

(١) سقطت من ب.

(٢) سقطت من ب.

(٣) سقطت من ب.

(٤) زيادة من ب.

(٥) في ب: من.

(٦) في ب الآية إلى قوله: ﴿جَنَّاتٍ﴾ التوبة: ٧٢.

(٧) في ب: الإيمان.

أعظم العقوبات، (١) والكفر أعظم الجنايات، كان الخلود منذ تجديده أحمر،
فلو حُذِبَ به على غير الكفر، كان زيادةً على قدر الجناية، فلا يكون عدلاً.

فإن قيل: الوعيد [٤٢/أ] بتعذيب مرتكبي الكبائر ورد مطلقاً، فلو جاز العفو
عن البعض؛ لكان خُلُفاً في الخبر، وإنه غير جائز.

قلنا: سلّم بعض أصحابنا عموم الوعيد في جميع العصاة، لكنهم قالوا:
الخلف في الوعيد كرم؛ فيجوز من الله تعالى.

والمحققون لم يجوزوا الخلف من الله تعالى، لا في الوعد ولا في الوعيد،
لأنه تبدّل القول، وقد قال الله تعالى: ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ (٢).

ولأن الله (تعالى) (٣) سَمَّى الوعيد وعداً، ونفى الخلف فيه، فقال:
﴿وَسَتَجِدُنَا بِالْعَذَابِ وَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ وَعْدُهُ﴾ (٤)، لكنهم قالوا: بالعفو تبين أن
المعفو عنه لم يكن مراداً بعموم الوعيد، فيكون العفو بيان تخصيص هذا
الملذّب من الوعيد العام.

والتخصيص بمنزلة الاستثناء، ولو استثنى بعض العصاة من عموم الوعيد،
لا يكون خُلُفاً، فكذا لو خَصَّ.

فإن قيل: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ
خَالِداً فِيهَا﴾ (٥).

وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقَعْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً
خَالِداً فِيهَا﴾ (٦)، وعد الخلود بالقتل والعصيان.

(١) سقطت من نسخة (ب) نحو من لوحة كاملة، وتقدر بخمسة وأربعين سطراً تقريباً.

(٢) سورة ق، الآية: ٢٩.

(٣) في هامش أ: جل جلاله.

(٤) سورة الحج، الآية: ٤٧.

(٥) سورة النساء، الآية: ٩٣.

(٦) سورة النساء، الآية: ١٤.

قلنا: أما الآية الأولى؛ نزلت في حق مُسْتَحِلِّ قتل المؤمن، بدليل نزول الآية كما ذكر في التفسير، وإنه كافر.

وكذا الآية الثانية في حق الكافر؛ فإن التعذيب عن جميع الحدود لا يكون إلا من الكافر، على أن الخلود يُذكر ويراد به طول المُدَّة دون الأبد.

فَضْلُ

ويبنى على هذا مسائل:

الأولى: مسألة الشفاعة؛ فإنها ثابتة، عندنا خلافاً للمعتزلة^(١)

وذلك لأنه لما جاز عفو الله تعالى من غير واسطة، فأولى أن يجوز بشفاعة النبيين ﷺ، والأخيار رضي الله عنهم.

وعندهم لما امتنع العفو، لا فائدة في الشفاعة.

وحُجَّتنا في ذلك: قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾^(٢).

وكذا قوله جلَّ جلاله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(٣)، وهذا أمر بالشفاعة.

وكذا قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفَاعِينَ﴾^(٤)، فلو لم ينفع أيضاً للمؤمنين لم يكن لتخصيص الكافرين معنى وفائدة.

وكذا الحديث المشهور قوله ﷺ: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»^(٥).

(١) يقول القاضي عبد الجبار: «لا خلاف بين الأمة في ثبوت شفاعته النبي للأمة، وإنما الخلاف في أنها تثبت لمن؟. فعندنا أن الشفاعة للتائبين من المؤمنين، وعند المرجئة أنها للفساق من أهل الصلاة». «شرح الأصول الخمسة»: ٦٨٨.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٤) سورة المدثر، الآية: ٤٨.

(٥) أخرجه ابن حبان في «صحيحه»: ٣٨٦/١٤، (٦٤٦٧)، ٣٨٧/١٤، (٦٤٦٨). والحاكم في -

والأحاديث في باب الشفاعة قريب من المتواتر، فلا أقل من المشهور، [٨]
[٤٣] وإنكار الخبر المشهور بدعة.

والثانية: مسألة العفو عن الكفر والشرك، هل يجوز في العقل أم

لا؟

قال أصحابنا - رحمهم الله -: لا يجوز ذلك.

وقالت الأشعرية: يجوز، وكذا يجوز عندهم تخليد المؤمنين في النار،
وتخليد الكافرين في الجنة، ولا يكون ذلك سفهاً، إلا أن السمع دل على أنه
لا يفعل ذلك، وعندنا لا يجوز ذلك.

والصحيح ما قلنا؛ لأن قضية الحكمة: التفرقة بين المسيء والمحسن، قال
الله تعالى: ﴿مَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ (١).

يوضحه أن الله تعالى رد على من حكم بالتسوية بين المسيء و المحسن،
فقال ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الجاثية: ٢١] إلى
قوله (٢): ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٣).

= «مستدرکه»: ١٣٩/١ (٢٢٨)، ١٤٠/١ (٢٣٠)، ١٤٠/١ (٢٣١)، ١٤٠/١ (٢٣٢)، ٢/٢
٤١٤ (٣٤٤٢). و«الترمذي» في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله (٢٤٣٥)،
(٢٤٣٦). و«أبو داود» في كتاب السنة، باب في الشفاعة (٤٧٣٩). وأحمد في «المسند»: ٣/
٢١٣ (١٢٨١٠). و«الطحاوي» في مسنده: ٢٣٣/١ (١٦٦٩). والطبراني في «المعجم الكبير»:
٢٥٨/١ (٧٤٩)، ١٨٩/١١ (١١٤٥٤). و«الأوسط»: ٧٥/٥ (٤٧١٣)، ١٠٦/٦، ٢٤١/٨،
(٨٥١٨). و«الصغير»: ٢٧٢/١ (٤٤٨). وأبو يعلى في «مسنده»: ٤٠/٦ (٣٢٨٤)، ١٣٩/٧،
(٤١٠٥)، ١٤٧/٧ (٤١١٥). والبيهقي في «شعب الإيمان»: ٢٨٧/١ (٣١٠)، ٢٨٧/١،
(٣١١). و«السنن الكبرى»: ١٧/٨ (١٥٦١٦)، ١٩٠/١٠ (٢٠٥٦٣). وأبو نعيم في «الحلية»:
٢٠١/٣، ٢٦١/٧.

(١) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٢) والآية بتمامها: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحَنَهُمْ
وَمَنَّا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٣).

(٣) سورة الجاثية، الآية: ٢١.

وكذا قوله جلّ جلاله: ﴿أَتَجْمَلُ السُّلَيْمِينَ كَالْجُرَيْرِينَ﴾ (٢٥) مَا لَكَ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢٦﴾ (١).
والفرق لأصحابنا - رحمهم الله - بين الكفر وسائر الذنوب: أن الكفر نهاية
في الجناية، وأنه مما لا يحتمل الإباحة ورفع الحرمة، فكذا لا يحتمل العفو
ورفع الغرامة، ولأن الكافر يعتقد حقا وصوابا، ولا يطلب له عفواً ومغفرةً،
فلم يكن العفو عنه حكماً وصواباً، ولأن الكفر اعتقادُ الأبد، فيوجب جزاء
الأبد، بخلاف سائر الذنوب.

والثالثة: أَنَّ الظلم والسّفه والكذب، هل هي مقدّرة لله تعالى أم لا؟
فعندنا: هي مستحيلة، لا يوصف الله تعالى بالقدرة عليها، خلافاً للمعتزلة؛
فإنهم قالوا: يقدر ولا يفعل.

وإنه فاسد؛ لأنّ كلّ ما كان مقدوراً له، جاز أن يوصف به، وإنه محال.
ولأنه لو كان جائزاً منه، إما أن يجوز مع بقاء صفة العدل، أو مع زوالها. لا
وجه إلى الأول؛ لأن فيه اجتماع الضدين. ولا وجه إلى الثاني؛ لأنّ صفة
العدل واجب (٢) الله تعالى، فيستحيل عدمه.

وَأَمَّا الرَّابِعَةُ: بَيَانُ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ
قال بعض الناس: كلّ ما عصى المرء به الله، فهو كبيرة، وهو قول
الخوارج.

وهو خلاف ما نصّ الله تعالى في كتابه، كما قال تعالى: ﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا
كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (٣).

وقال بعضهم: ما أصرّ المرء عليه فهو كبيرة، وما استغفر منه فهو صغير.
والحق والصواب فيه: أَنَّ الكبيرة والصغيرة اسمان إضافيان، لا يعرفان [١/

(١) سورة الفلم، الآيات: ٣٥ - ٣٦.

(٢) في (١) بين الأسطر: أي ثابت.

(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٩.

[٤٤] بذاتهما، كما في الحسيات؛ فكل معصية إن أضيفت إلى ما فوقها، فهي صغيرة. وإن أضيفت إلى ما دونها، فهي كبيرة. فالكبيرة المطلقة هي: الكفر، إذ لا ذنب أكبر منه، وما عداها صغيرة بالنسبة إليه، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾^(١)، أي: إن تجتنبوا الكفر تُكْفَر عنكم ما دونه.

ولقوله جلّ جلاله: ﴿وَنَقُصُّ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢)، وذكر الجمع في (الكبائر)^(٣) مقابلًا بذكر جميع المنهيين، فيوجب انقسام الآحاد على الآحاد، كقولهم: «ركب القوم دوابهم» على أنه قرئ: ﴿كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ بلفظ (الفرد)^(٤)، فيزول الإشكال.

(١) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٣) إلى هنا السقط من نسخة ب.

(٤) في ب: المفرد.

الْقَوْلُ فِي الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ

اتفق أهل (القبلة^(١)): أن الإيمان بالله تعالى فرض، والكفر به حرام،
(لكنهم^(٢)) اختلفوا أن وجوبه بالعقل أم بالسمع؟.

ومن لم تبلغه الدعوة لو مات على الكفر، هل يعاقب أم لا؟.

ذكر الحاكم الشهيد^(٣) - رحمته - في «المنتقى» عن أبي حنيفة - رحمته^(٤) - أنه قال: «لا عذر لأحد في الجهل بخالقه، لِمَا يرى من خلق السماوات

(١) في ب: أهل الملة.

(٢) في ب: لكن.

(٣) الحاكم الشهيد: هو محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن عبد المجيد المروزي السلمي الوزير الشهيد، أبو الفضل البلخي، قاضي بخارى، وإمام الحنفية في عصره، كان فقيهاً محدثاً، قال السمعاني: كان يحفظ ستين ألف حديث، وتصانيفه تدل على كمال فهمه كـ «الكافي» و«المنتقى». وقال الحاكم في «تاريخ نيسابور»: ما رأيت في جملة من كتب عنهم من أصحاب أبي حنيفة أحفظ للحديث وأهدى إلى رسومه وأفهم له منه. قُتِلَ شهيداً سنة ٢٣٤هـ. قال الكفوي: في «كتائب الأخيار»: «الكافي» و«المنتقى» أصلان من أصول المذهب بعد كتب محمد، ولا يوجد «المنتقى» في زماننا.

للمزيد: «الأنساب»: ٤٢٤/٧ - ٤٢٦. «المنتظم»: ٣٤٦/٦ - ٣٤٧. «اللباب»: ٣٥/٢.

«الجواهر المضية»: ٣١٣/٣ - ٣١٥. «تهذيب الأسماء الواقعة في الهداية والخلاصة»: ١٧٦.

«تاج التراجم»: ٢٧٢ - ٢٧٤. «المرقاة الوفية في طبقات الحنفية»، لوحة: ٧١. «طبقات

الحنفية»، لابن الحناني: ١٦٩ - ١٧٠. «كتائب أعلام الأخيار»: رقم: ١٦٧. «الأمار الجنية في

الأسماء الحنفية»: رقم: ٥٦٧. «الطبقات السنية»: رقم: ٢٢٣٠. «كشف الظنون»: ١٣٧٨/٢،

١٨٥١. «الفوائد البهية»: ١٨٥ - ١٨٦. «هدية العارفين»: ٣٧/٢.

(٤) في ب: رحمته.

والأرض، (وخلق نفسه، وسائر المخلوقات^(١))^(٢) .

وقال أبو حنيفة أيضًا: «لو لم يبعث الله تعالى رسولاً، لوجب على الخلق معرفته بعقولهم»^(٣) .

وقالت الأشعرية: لا يجب (بالعقل^(٤)) شيء، ولكن يُعرف به حُسن بعض الأشياء وقبحه .

وقالت الملاحدة، والرافضة، والمشبّهة، والخوارج، والمُحكّمة: (لا يُعرف به شيء، و^(٥)) لا يجب به شيء .

وقالت المعتزلة: العقل يوجب الإيمان بالله، وشكر نعمته، ويثبت الأحكام بذاته .

و(عند^(٦)) أهل السنة، العقل: آلة يعرف بها حسن الأشياء وقبحها، ووجوب الإيمان، وشكر المنعم، والمُعَرَّفُ (والمُوجِبُ^(٧)) في الحقيقة هو الله تعالى، (لكن بواسطة العقل .

ثم الصّبي العاقل إذا كان بحال يمكنه الاستدلال، فهل يجب عليه معرفة الله تعالى^(٨) أم لا ؟ .

(١) سقطت من ب .

(٢) انظر النقل عن الإمام في: «شرح وصية الإمام أبي حنيفة»، للباقرتي: ٣٨ . «كشف الأسرار»، للبخاري: ٢٣٤/٤ - ٢٣٥ . «الروضة البهيّة فيما بين الأشاعرة والماتريدية»: ٣٢٠ . «حاشية نسمات الأسحار»، لابن عابدين: ٢٤٩ .

(٣) انظر النقل نفسه في: «شرح وصية الإمام أبي حنيفة»، للباقرتي: ٣٨ . «المسايرة مع المسامرة»، لابن الهمام: ١٥٧ . «إشارات المرام»، لليياضي: ٧٥ .

(٤) في ب: على العقل .

(٥) سقطت من ب .

(٦) في ب: وقال .

(٧) سقطت من ب .

(٨) سقطت من ب .

قال الشيخ الإمام أبو المنصور الماتريدي - رحمه الله -: وكثير من مشايخ العراق: يجب عليه.

وقال بعضهم: لا يجب عليه قبل البلوغ شيء.

(ودلالة كون^(١) العقل حُجَّة، قوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢)، [١/٤٥].

والسَّمْع يختص بالمسموعات، والبصر بالمبصرات، والفؤاد بالمعقولات، مع أن السمع والبصر لا يستغنيان عن العقل؛ لأن السَّمْع يسمع الحق والباطل، والبصر يبصر الحق والباطل، ولا يمكن التمييز بينهما إلا بالعقل.

يوضحه: (أنَّ الشرع لا يتصور ثبوته إلا بدون العقل؛ لأنه يثبت بخبر الرسول - ﷺ -، و^(٣) قولُ الرسول خبر الواحد، وهو في ذاته يحتملُ الصدق والكذب، ولا يمكن التمييز بينهما إلا بالمعجزة، والفاصل بين المعجزة والمُخَرَّفَةِ هو العقل، فإذا مدار (جميع^(٤)) المعارف والمَوَاجِب بالتحقيق على العقل، ولأنَّ الأنبياء ﷺ^(٥) ناظروا قومهم بالدلائل العقلية خاصة، و(حَاجَّ^(٦)) الخليل (صلوات الله عليه^(٧)) مع الملك وأبيه وقومه كما ذكر (في^(٨)) القرآن (مع أبيه، قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِي لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾^(٩) (١٠).

(١) في ب: والدليل على كون.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) زيادة من ب.

(٤) سقطت من ب.

(٥) زيادة من ب.

(٦) في ب: معاجة.

(٧) زيادة من ب.

(٨) سقطت من ب.

(٩) سورة مريم، الآية: ٤٢.

(١٠) زيادة من ب.

وحصول العلم بتلك الدلائل لا يتوقف على قول الرسول ^(١)، بل لو تفكروا بعقولهم لعلموا ذلك، ولهذا حثهم الله تعالى على (النَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ) ^(٢) (والاستدلال) ^(٣) في كثير من آيات ^(٤) القرآن، (كما قال الله تعالى ^(٥)): ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ ^(٦)، ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾ ^(٧).

واعلم أن العقل يَسْتَبِدُّ بمعرفة المعقولات، والسمع لا يَسْتَبِدُّ بدون العقل، وليس تفسير وجوب الإيمان بالعقل: أن يستحقَّ الثواب (بفعله) ^(٨)، أو العقاب بتركه، إذ هما لا يُعرفان إلا بالسمع.

ولكن تفسيره عندنا: نوع ترجيح في العقل، أن الاعتراف [ب/ ٢٣٧] بالصانع أولى من إنكاره، وتوحيده أحرى من إشراك غيره معه، بحيث لا يحكم بالعقل أنهما بمنزلة واحدة. وكذا الشكر إظهار النعمة من المُنْعَم بحيث يعرف أنه لا يشركه فيه أحد. والله الموفق.

(١) في ب زيادة ~~في~~.

(٢) في ب: التفكير والنظر.

(٣) سقطت من ب.

(٤) في ب: أي.

(٥) في ب: بقوله تعالى.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ١٨٤.

(٧) سورة الأعراف، الآية: ١٨٥.

(٨) في ب: بالفعل.

الْقَوْلُ فِي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ

قال أهل الحديث: الإيمان: هو الإقرار والتّصديق والعمل.

وقال كثير من أصحابنا، الإيمان: هو الإقرار والتّصديق.

وقالت الكراميّة: الإيمان: هو الإقرار المجرّد.

وقال جهم، والحسين الصّالحيّ من القُدريّة: الإيمان: هو المعرفة.

وقال المحقّقون من أصحابنا - رحمهم الله -: الإيمان: هو التّصديق بالقلب، والإقرار شرط لإجراء الأحكام في الدُّنيا.

نصّ عليه أبو حنيفة - رحمته الله^(١) - في كتاب «العالم والمتعلم»، وهو اختيار الشيخ الإمام أبي منصور (الماتريدي^(٢))، والحسين بن الفضل البجلي^(٣) - رحمهم الله -.

وأصحُّ الروايتين عن الأشعريّ.

(١) في ب: رحمته الله.

(٢) زيادة من ب.

(٣) الحسين بن الفضل، ابن عمير: العلامة، المفسر، الإمام، اللغوي، المحدث، أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري، عالم عصره. ولد قبل الثمانين ومئة. توفي في شعبان، سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وهو ابن مئة وأربع سنين.

انظر للتوسع في ترجمته: «سير أعلام النبلاء»: ١٣ / ٤١٤ - ٤١٦. «العبر»: ٦٨ / ٢. «لسان الميزان»: ٣٠٧ / ٢ - ٣٠٨. «طبقات المفسرين»: ١٥٦ / ١. «شذرات الذهب»: ١٧٨ / ٢.

وذلك لأن الإيمان في اللغة، هو: التصديق، قال الله تعالى خبراً عن إخوة يوسف **﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾** ^(١) أي؛ بمصدقٍ لنا، إلا أن التصديق [٤٦: ٤٦] لما كان أمراً باطناً، لا يمكن بناء الأحكام عليه، فأوجب الشرع الإقرار أمانةً على التصديق ^(٢)، وشرطاً لإجراء الأحكام، كما قال (النبي ^(٤)) **﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾** ^(٣) : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله؛ فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى» ^(٥)، ولهذا يكفي في العمر مرة.

والأعمال ليست من الإيمان؛ فإن الله تعالى عطف الأعمال على الإيمان، بقوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** ^(٦)، والمعطوف غير المعطوف عليه.

وكذا الإيمان شرط صحة الأعمال، (كما قال جل جلاله ^(٧)) : **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾** ^(٨).

والشرط غير المشروط، ثم الإقرار إخباراً عن التصديق بالقلب، فإذا قال: «آمنت» (فما ^(٩)) لم يكن التصديق قائماً بالقلب، لا يكون صادقاً (في ^(١٠)) الإخبار.

(١) سقطت من ب.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٧.

(٣) سقطت من ب.

(٤) سقطت من ب.

(٥) أخرجه «البخاري» في كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم (٢٥)، أطرافه: ٣٩٣، ١٤٠٠، ٢٩٤٦، ٦٩٢٤، ٧٢٨٥. و«مسلم» في كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله (٢٠).

(٦) سورة البقرة، الآية: ٢٧٧.

(٧) في ب: لقوله تعالى.

(٨) سورة طه، الآية: ١١٢.

(٩) في ب: فإذا.

(١٠) في ب: مع.

ولهذا نفى الله تعالى الإيمان عن المنافقين مع إقرارهم بالإيمان، (بقوله جلّ جلاله: ^(١) ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا﴾ ^(٢) فمن أقر ولم يصدق كان مؤمناً عندنا، كافرًا عند الله تعالى، ومن صدق ولم يقر كان مؤمناً عند الله تعالى، كافرًا في أحكام الدنيا.

(١) في ب: قال الله تعالى.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٤.

الْقَوْلُ فِي إِيمَانِ الْمُقَلِّدِ

(اختلف أهل القبلة في صحة إيمان المقلِّد^(١)) قال أبو حنيفة^(٢)، وسفيان، ومالك، (والشافعي^(٣))، والأوزاعي^(٤)، (وعامة الفقهاء^(٥))، وأهل الحديث - رحمهم الله -: صحَّ إيمانه، ولكنَّه عاصٍ بتركه الاستدلال.

(١) زيادة من نسخة ب.

(٢) في ب زيادة: وكان.

(٣) سقطت من ب.

(٤) هو الإمام عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو، أهم ممثلٍ للمدرسة الشامية القديمة، وتمثل آراء الأوزاعي بصورة عامة أقدم الحلول الفقهية، وقد اشتهر مذهبه في الشام والمغرب والأندلس قبل حل محله مذهب المالكية. توفي سنة ١٥٧هـ.

انظر للتوسع «طبقات ابن سعد»: ٤٨٨/٧. «طبقات خليفة»: ٣١٥ - ٣١٦. «تاريخ خليفة»: ٤٢٨. «التاريخ الكبير»: ٣٢٦/٥. «التاريخ الصغير»: ١٢٤/٢. «المعرفة والتاريخ»: ٣٩٠/٢ - ٣٩٧، ٤٠٨ - ٤١٠. «الجرح والتعديل»: ١٨٤/١ - ٢١٩. ٢٦٦/٥ - ٢٦٧. «مشاهير علماء الأمصار»: ١٨٠. «حلية الأولياء»: ١٣٥/٦ - ١٤٩. «الفهرست»: المقالة السادسة، الفن السادس. «وفيات الأعيان»: ١٢٧/٣ - ١٢٨. «سير أعلام النبلاء»: ١٠٧/٧. «تاريخ الإسلام»: ٢٢٥/٦ - ٢٣٨. «تذكرة الحفاظ»: ١٧٨/١ - ١٨٥. «ميزان الاعتدال»: ٥٨٠/٢. «العبر»: ١/١ - ٢٢٦. «البداية والنهاية»: ١١٥/١٠ - ١٢٠. «تهذيب التهذيب»: ٢٣٨/٦ - ٢٤٢. «طبقات الحفاظ»: ٧٩. «خلاصة تهذيب الكمال»: ٢٣٢. «شذرات الذهب»: ٢٤١/١ - ٢٤٢.

(٥) سقطت من ب.

وقال الرُّسْتُفَنِيُّ^(١)، وَالْحَلِيلِيُّ^(٢): شرط صحة الإيمان أن يعرف صحة قول
لرسول الله^(ص)، بدلالة المعجزة.

(وعند الأشعري^(٣)): أن يعرف كل ذلك^(٤) بدلالة العقل.

(وعند المعتزلة^(٥)): ما لم يعرف كل مسألة بدلالة العقل على وجه يمكنه
دفع الشبهة لا يكون مؤمناً.

(والصحيح ما عليه عامة أهل العلم؛ فإن الإيمان هو: التصديق مطلقاً^(٦))،
كمن أخبر بخبر، فصلَّفه، صحَّ أن يقال: آمن به، وآمن له، فإذا أخبر المقلد

(١) هو: علي بن سعيد، أبو الحسن. من كبار مشايخ سَمَرْقَنْد. له كتاب: «إرشاد المُهْتَدِي»، وكتاب
«الزُّوْلَد والفوائد في أنواع العلوم». وهو من أصحاب الماتريدِي الكبار. والخلاف بينه وبين
الماتريدِي، في مسألة المُجْتَهِد إذا أخطأ في إصابة الحق يكون مُخْطِئاً في الاجتهاد عند أبي
مصور، وعند أبي الحسن مُصِيب في الاجتهاد على كل حال أصاب الحق أم لم يُصِيب. وقد
روى عن أبي حنيفة، أنه قال: كل مُجْتَهِد مُصِيبٌ، والحق عند الله واحد.

ترجمته في «الأنساب»: ٢٥٢ ر. «اللباب»: ٤٦٦/١. «الجواهر المضية»: ٥٧٠/٢ - ٥٧١.
«تاج التراجم»: ٢٠٥. «المرقة الوفية في طبقات الحنفية»، لوحة: ٤٦. «كتاب أعلام الأخيار»:
رقم: ١٩٠. «الأمم الجنية في الأسماء الحنفية»: رقم: ٣٨٤. «الطبقات السنية»: رقم:
١٤٨٩. «كشف الظنون»: ٦٧/١، ٧٠، ١٢٢٣/٢، ١٤٢٢. «الفوائد البهية»: ٦٥.

(٢) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبدالله، القاضي، العلامة،
رئيس المحلثين والمتكلمين بما وراء النهر. مولده بجرجان ووفاته في بخارى. (٣٣٨ -
٤٠٣ هـ).

نظر للتوسع: «تاريخ جرجان»: ١٥٦. «الأنساب»: ١٩٨/٤. «المنتظم»: ٢٦٤/٧. «اللباب»:
٣٨٢/١. «وفيات الأعيان»: ١٣٧/٢ - ١٣٨. «تذكرة الحفاظ»: ١٠٣٠/٣. «العبر»: ٤٨/٣.
«دول الإسلام»: ٢٤٢/١. «الوافي بالوفيات»: ٣٥١/١٢. «طبقات السبكي»: ٣٣٣/٤ -
٣٤٣. «طبقات الإسنوي»: ٤٠٤/١ - ٤٠٥. «البلدية والنهاية»: ٣٤٩/١١. «طبقات الحفاظ»:
٤٠٧ - ٤٠٨. «طبقات ابن حنبلية الله»: ١٢٠. «كشف الظنون»: ١٠٤٧/٢. «شذرات الذهب»:
١٦٧/٣ - ١٦٨. «عدة العرفين»: ٣٠٨/١. «الرسالة المستطرفة»: ٥٨.

(٣) في ب: الرسول ﷺ.

(٤) في ب: وقلت الأشعرية.

(٥) في ب: مسألة.

(٦) في ب: وقلت المعتزلة.

(٧) سقطت من ب.

بما يجب الإيمان به فصدقه كان مؤمناً؛ فيستحق ما وعد الله تعالى المؤمنين (في دار الآخرة^(١)).

والمعرفة غير الإيمان، بدليل أنه ينفك عنه؛ فإن أهل الكتاب يعرفون نبوة محمد - ﷺ - (كما يعرفون أبناءهم^(٢))، ولا يصدقون، كما [٤٧/١] نطق به الكتاب.

وهذا الخلاف فيمن نشأ على شاطئ الجبل، ولم يتفكر في العالم، ولا في الصانع أصلاً؛ فأخبر بذلك، - (يعني: أن له رباً خلقه^(٣))؛ - فصَدَّقَه.

وأما من نشأ في بلاد المسلمين، وسبَّح الله تعالى عند رؤية صنائعه؛ فهو خارج عن حدِّ التقليد.

فصل

وإذا ثبت أن الإيمان هو التصديق، والإقرار شرط إجراء الأحكام؛ فإذا وجد (التصديق^(٤)) حصل الإيمان، و(لا^(٥)) يتصور فيه الزيادة والنقصان، خلافاً للشافعي - رحمه الله -؛ حيث يجعل (الأعمال من الإيمان^(٦))، فيقول: بزيادة الإيمان عند زيادة الأعمال، وينقصانه حين تنقص (الأعمال^(٧))، وقد أبطالناه. وقوله جلّ جلاله: ﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(٨)؛ محتمل (يحتمل^(٩)) الزيادة من حيث

(١) زيادة من ب.

(٢) سقطت من ب.

(٣) سقطت من ب.

(٤) سقطت من ب.

(٥) في ب: لم.

(٦) في ب: الإيمان من الأعمال.

(٧) سقطت من ب.

(٨) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٩) سقطت من ب.

التفصيل في عصر النبي ﷺ، (حيث ينزل في كل وقت آية، ويتجدد في كل وقت حكم، فيلزمهم الإيمان به من^(١)) حيث التفصيل، وإن كان داخلًا في الجملة.

ويحتمل الزيادة من حيث تجدد الأمثال، كما في سائر الأعراض، أو زيادة ثمرة الإيمان وإشراق نوره، (والله أعلم^(٢)).

ثم من قام به التصديق والإقرار (فهو^(٣)) مؤمنًا حقًا.

ولا يجوز أن يقول: أنا مؤمن (إن شاء الله تعالى^(٤))، خلافًا للشافعي - رحمه الله -؛ لأن الاستثناء في الإيمان يقتضي الشك أو (يحتمل ذلك، فمن^(٥)) قامت به الحياة.

ولا يجوز أن يقول: أنا حيّ إن شاء الله (تعالى^(٦))، وكذا يكون مؤمنًا عند الله تعالى؛ لقيام الإيمان به في الحال.

وإن علم الله تعالى (منه^(٧)) أنه يكفر بعدها، كما يعلم الله تعالى الحي حيًا لقيام الحياة به، وإن علم^(٨) أنه يموت بعدها، (حتى قلنا^(٩)): إن إبليس كان مؤمنًا وسعيّدًا، حين كان يعبدُ الله تعالى، وإن علم الله تعالى أنه يكفر بعد ذلك.

(١) سقطت من ب.

(٢) سقطت من ب.

(٣) في ب: بكونه.

(٤) سقطت من ب.

(٥) في ب: يحتمله، كمن.

(٦) سقطت من ب.

(٧) سقطت من ب.

(٨) في ب زيادة: الله تعالى.

(٩) في ب: ولهذا قال.

وقوله جلّ جلاله: ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(١) (أراد به صار من الكافرين، كما قال جلّ جلاله في حقّ ابن نوح عليه السلام: ﴿كَانَ مِنَ الْمُفْرِينَ﴾^(٢)، أي: صار^(٣)).

ثم الإيمان والإسلام واحد عندنا، خلافاً لأصحاب الظواهر، وذلك لأن الإيمان تصديق الله تعالى، فيما أخبر من أوامره ونواهيه، والإسلام هو الانقياد والخضوع لألوهيته، وذا لا يتحقق إلا بقبول الأمر والنهي؛ فالإيمان لا ينفك عن الإسلام [ب/٢٣٧] حكماً، (فلا تغاير^(٤)).

ومن أثبت التغاير، يقال له: ما حكم من آمن ولم يسلم، أو أسلم ولم يؤمن، فإن أثبت [٤٨/أ] لأحدهما حكماً ليس بثابت للآخر، والأظهر بطلان قوله.

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

(٢) سورة هود، الآية: ٤٣.

(٣) سقطت من ب.

(٤) زيادة من ب.

الْقَوْلُ فِيْمَا وَجَبَ الْإِيْمَانُ بِهِ بِالسَّمْعِ^(١)

فنقول: ما تصوّر في العقل وجوده، إذا وَرَدَ السَّمْعُ به، يجب قبوله، والإيمان به، ومن ذلك: السُّؤال بعد الموت.

وعذاب (بالقبر)^(٢) (عندنا حقٌّ ثابتٌ)^(٣)، خلافاً للمعتزلة^(٤)

وذلك ممكنٌ بإعادة الحياة بعد الموت إلى الجسد.

وقد قال (النَّبِيُّ)^(٥) ﷺ، بعد دفن الميت «استغفروا لأخيكم؛ فإنه الآن يسأل»^(٦).

(١) في السمعيّات هناك أمران؛ الأول: يشترط لقبول الأخبار الجواز العقلي، ومن ثَمَّ حمل النص على الظاهر، إلا إذا صرفها قرينة، ولكن تبقى مشكلة ثبوت النص بالقطع، لتتم عملية تفعيل القاعدة المشهورة والتي تقول: إن خبر الواحد لا يفيد في العلم والعقائد.

(٢) في ب: في القبر.

(٣) في ب: ثابت عندنا.

(٤) قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: «فصل في عذاب القبر، وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمة» شرح الأصول الخمسة: ٧٣٠. ويؤكد إجماع الأمة على الاعتراف بعذاب القبر. «المحيط بالتكليف»: ٧٧/٤.

(٥) سقطت من ب.

(٦) الحديث بلفظ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَاسْأَلُوا لَهُ التَّيْبَتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ» أخرجه أبو داود: (٣٢٢١)، والحاكم في «المستدرک»: ١/ ٣٧٠ (١٣٢٠)، والبيهقي في «معرفه السنن والآثار»: ٥٦/٤ (٢٣٣٢)، وعبدالله بن أحمد في «زوائد الزهد»: ١٢٩. وقال الحاكم: «صحيح الإسناد». وقال النووي: ٢٩٢/٥ «إسناده جيد».

و^(١) قال ~~عليه السلام~~: «استزوها (من^(٢)) البول؛ فإنَّ عاتة عذاب القبر منه» (٣).

وكذا بعث الأجساد، وإحيائها يوم القيامة حق ثابت

وانكروا الدهريَّة أصلاً، وزعمت الفلاسفة: أنَّ الحشر للأرواح دون الأجساد.

(وهو أيضاً ممكن^(٤))؛ بإعادة (الهيولى في الجسم^(٥))، بعد تغييره، وإعادة الروح إليه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (٦).

وكذا قال في جواب من يقول: ﴿مَنْ يُعْزِلُ الْعَظْمَ وَهِيَ رَمِيَّةٌ لَا قُلُوبٌ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (٧).

وكذا قراءة الكتب في يوم القيامة حق (ثابت^(٨))، لقوله تعالى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ (٩).

(١) في ب زيادة قد.

(٢) سقطت من ب.

(٣) ورد من حديث أنس بن مالك، وأبي هريرة، وابن عباس؛ أما حديث أنس فأخرجه الدارقطني في «سننه»: ٤٧. وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل»: ٢٦/١. وأما حديث أبي هريرة فأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف». وعنه ابن ماجه: ٣٤٨. والدارقطني أيضاً. والآجري في «كتاب الشريعة»: ٣٦٢، ٣٦٣. والحاكم: ١٨٣/١. وأحمد: ٣٢٦/٢، ٣٨٨، ٣٨٩. وقال الدارقطني: «صحيح». وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين، ولا أعرف له علة». ووافقه اللعيبي. وقال البوصيري في «الزوائد»: «هذا إسناد صحيح رجاله من آخرهم محتج بهم في الصحيحين». وأما حديث ابن عباس فأخرجه الدارقطني. والحاكم: ١٨٣/١ - ١٨٤. وكذا البزار، والطبراني، كما في «مجمع الزوائد»: ٢٠٧/١.

(٤) في ب: وذلك ممكن أيضاً.

(٥) في ب: الهيئة الأولى إلى الجسد.

(٦) سورة الحج، الآية: ٧.

(٧) سورة يس، الآيتان: ٧٨ - ٧٩.

(٨) سقطت من ب.

(٩) سورة الإسراء، الآية: ١٣.

ويعطى كتاب المؤمنين بإيمانهم، وكتاب الكفرة بشمائلهم، ووراء ظهورهم، كما نطق به القرآن.

وكذا الميزان حق (ثابت^(١))

لقوله تعالى: ﴿وَالْوِزْنُ يُوْزَنُ الْحَقُّ﴾^(٢)، وهو: عبارة عما يُعرف به مقادير (الأعمال^(٣)).

والعقل قاصرٌ عن بلوغ معرفته وكيفيته، ولا يقاس على الموازين الدنيوية، والتسليم فيه أسلم.

وكذا الصراط حق

وهو: جسرٌ ممدودٌ على متن جهنم يمرُّ عليه الخلائق، فيجوزه أهل الجنة، ويزل به أقدام أهل النار.

والجنة والنار مخلوقتان اليوم عندنا، خلافاً للمعتزلة^(٤)

لقوله (جلّ جلاله^(٥)) للجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٦)، وللنار ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٧).

(١) سقطت من ب.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٨.

(٣) في ب: أعمال العباد.

(٤) والخلاف مبني على مسائل منها: عدم العبث بأن يخلق الجنة والنار ثم يهلكهما كما ورد في قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصاص: ٨٨]. القول بالحسن والقبح العقلي. مع القول بالوجوب على الله تعالى. والخلاف في هذه المسائل طويل.

(٥) في ب: تعالى.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(ولا فناء لهما^(١)) مع أهاليهما أبدًا عندنا، خلافًا للجَهَنَّمِيَّة؛ لقوله تعالى في حق الفريقين: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾^(٢).

وكذا ما أخبر الله تعالى من نعيم أهل الجنة، من: الحور، والقصور، والأنهار، والأشجار، والأطعمة، والأشربة.

ومن عذاب أهل النار، من: الزُّقُوم، والحميم، والأنكال، والأغلال، والسَّلاسِل، حقُّ ثابتٍ (عندنا^(٣))، خلافًا لما يقوله الباطنيَّة والفلاسفة، (وتأويل^(٤)) كلِّ واحد منهما على خلاف ظاهره، وإنه عدول عن ظواهر النُّصوص من غير (ضرورة^(٥)) ولا دليل، وهو: إلحادٌ محضٌ.

وكذا رؤية الله تعالى للمؤمنين بالأبصار يوم القيامة، حقُّ ثابتٌ، على ما قرَّرنا قبل هذا. [٤٩/١]

أكرمنا الله تعالى بها في العقبي، مع النِّعيم المقيم، وأعاذنا من العذاب الجحيم، وثبتنا في الدُّنيا على الصُّراط المستقيم، إنه جوادٌ كريمٌ رؤوفٌ رحيمٌ.^(٦)

(١) في ب: وهما لا تغنيان.

(٢) سورة الجن، الآية: ٢٣.

(٣) سقطت من ب.

(٤) في ب: يؤولون.

(٥) سقطت من ب.

(٦) قال قارئ الكتاب ومصحَّحُه (محمد زاهد بن كامل جول): انتهيت من مقابلة النُّصِّ وخدمته بقدر الطاقة، في يوم الثلاثاء، الأول من جمادى الثانية، لسنة سبع وعشرين وأربعمائة وألف من هجرة المصطفى ﷺ، الموافق للسابع والعشرين من شهر حزيران (يونيو) لسنة ست وألفين.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾	البقرة	٢٣	١٠١
﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	البقرة	٢٤	١٨٥
﴿أَنْتُمْ فِي أَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾	البقرة	٣١	١٤١ - ١٤٢
﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾	البقرة	٣٤	١٨١
﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾	البقرة	٩٥	٨٨
﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾	البقرة	١١٧	٨٥
﴿كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾	البقرة	١٦٨	١٥٤
﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾	البقرة	١٨٥	١٤٨
﴿إِنَّ الْأَدِينَ أَمَانُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	البقرة	٢٧٧	١٧٤
﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾	البقرة	٢٨٦	١٤١ - ١٤٢
﴿أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾	آل عمران	١١٣	١٨٥
﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾	آل عمران	١٥٩	١٦٥
﴿وَمَنْ يَقْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾	النساء	١٤	١٦٤
﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَارَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾	النساء	٣١	١٦٨

١٦٨	٤٨	النساء	﴿وَيَعْفُرْ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
١٦٤	٩٣	النساء	﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾
١٦٠	١١٩	النساء	﴿وَلَا تُضِلَّهُمْ وَلَا تُمْيِنُهُمْ﴾
١١٠	١٦٥	النساء	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾
١٣٥	١١٠	المائدة	﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾
٥٨	١٢٠	المائدة	﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
٥٥	١٨	الأنعام	﴿وَهُوَ الْغَايُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾
١٥٦	٢٨	الأنعام	﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾
١٣١	١٠٢	الأنعام	﴿ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾
١٤٦	١٠٧	الأنعام	﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾
١٠٩	١٢٤	الأنعام	﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾
١٤٦	١٢٥	الأنعام	﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾
١٨٥	٨	الأعراف	﴿وَالْوِزْنَ بِوَمِيدِ الْحَقِّ﴾
٨٧	١٤٣	الأعراف	﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾
٨٧	١٤٣	الأعراف	﴿فَإِنْ أَسْتَفَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾
٨٨	١٤٣	الأعراف	﴿لَنْ تَرَانِي﴾
١٠٧	١٥٨	الأعراف	﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
١٧٢	١٨٤	الأعراف	﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾
١٧٢	١٨٥	الأعراف	﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا﴾
١٧٩	٢	الأنفال	﴿زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾
٩٨	٤٢	الأنفال	﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ مِنْ بَيْنِنَا وَمَنْ لَمْ يَلْمِزْنا مِنْ بَيْنِنَا﴾
٧٨	٦	التوبة	﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾

١٦٣	٧٢	التوبة	﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾
٨٩	٢٦	يونس	﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ ذُنُوبُهُمْ﴾
١٤٦	٩٩	يونس	﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَهِيمًا﴾
١٥٣	٦	هود	﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾
١٨١	٤٣	هود	﴿فَكَاتَ مِنَ الْمُغْرِبِينَ﴾
١٧٤	١٧	يوسف	﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾
٥٩	١٦	الرعد	﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾
١٣١	١٦	الرعد	﴿إِنَّمَا جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾
١٤٦	٢٧	الرعد	﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ﴾
٩٣	٢٧	إبراهيم	﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾
١٦٠	٣٦	إبراهيم	﴿رَبِّ إِنِّهَنَّ اضْلَلَنَّكَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾
١٥٩	٩٣	النحل	﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾
١٤٩	٧	الإسراء	﴿وَإِن أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾
١٨٤	١٣	الإسراء	﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾
١٦٠	٩	الإسراء	﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمُ﴾
١٧١	٣٦	الإسراء	﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾
١٠١	٨٨	الإسراء	﴿قُلْ لِّمَنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بِقَعْنُهُمْ لَيَبْعَثَنَّ إِلَهُاتُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾
١٤٨	٢٩	الكهف	﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾
١٦٧	٤٩	الكهف	﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾
٨٩	١١٠	الكهف	﴿وَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾

٨٨	٢٦	مريم	﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسَا﴾
١٧١	٤٢	مريم	﴿يَتَأْتٍ لِمَ قَبْلُكَ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يَبْصُرُ﴾
٥٤	٥	طه	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾﴾
١٧٤	١١٢	طه	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾
٩٩	١٠٧	الأنبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾
١٨٤	٧	الحج	﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾
١٦٤	٤٧	الحج	﴿وَيَسْتَعِظُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾
١٣٥	١١٠	المؤمنون	﴿مَتَّبِعْكَ اللَّهُ أَحْسَنُ لِّلْخَالِقِينَ﴾
١١١	٤٠	النمل	﴿إِنَّا مَلَيْنَاكَ بِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُمْ﴾
١٥٩	٥٦	القصص	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾
١٠٧	٢٨	سبا	﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾
١٨٤	٧٩ - ٧٨	يس	﴿مَنْ يُعِزِّ الْعِظَمَ وَهِيَ رَيْبٌ لَا قُلُ يُجِيبُهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾
١٣١	٩٦	الصفات	﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾
٩٣	٣٨	الزمر	﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ﴾
١٤٨	٣١	غافر	﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾
٥٨	٦٥	غافر	﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾
١٤٨	٤٠	فصلت	﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾
٥٩	١١	الشورى	﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
٦٧	١١	الشورى	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

١٦٠	٥٢	الشورى	﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾
٨٨	٧٧	الزخرف	﴿وَنَادُوا بِمَلِكٍ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾
١٦٦	٢١	الجاثية	﴿مَسَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾
١٧٥	١٤	الحجرات	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمِنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾
١٦٥	١٩	محمد	﴿وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾
١٦٤	٢٩	ق	﴿مَا يُبْدِلُ الْفَوَلُ لَذَى﴾
١٤٨	٥٦	الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾
١٥٨	٤٩	القمر	﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾
١٦٦	٦٠	الرحمن	﴿مَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿٦٠﴾﴾
٦٤	٧٤	الواقعة	﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾
٧٣	٨	المجادلة	﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾
٨١ - ٥٩	٢٤	الحشر	﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾
٥٨	٢	التحریم	﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾
١٦٢	٨	التحریم	﴿يَتْلُوهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُرْآنًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾
١٣٣	٤	الملك	﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿٤﴾﴾
١٦٧	٣٦ - ٣٥	القلم	﴿أَتَجِدَلُ السُّيُوفَ كَالْمُحْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾
٧٥	١	نوح	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾
١٨٦	٢٣	الجن	﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾
١٦٥	٤٨	المدثر	﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفِيعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴿٤٨﴾﴾
٨٩	٢٣ - ٢٢	القيامة	﴿وَجُزْءٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرٌ ﴿٢٣﴾﴾
١٤٦	٣٠	الإنسان	﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْتَ تُقُولُونَ فِي﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
٦١	- أنا أعلمكم بالله تعالى، وأخشاكم لله عز وجل. أسألك بكل اسم هو لك...
٦١	- في علم الغيب عندك. إنكم سترون ربكم يوم القيامة...
٨٩	- في رؤيته
١٠٤	- ما هذا بوجه كذاب
١١١	- يا سارية الجبل الجبل
١١٣	- لا يصلح سيفان في غمد واحد
١١٣	- إخواننا بغوا علينا
١١٤	- الأئمة من قريش
١١٧	- لا تجتمع أمتي على ضلالة
١٢٠	- الخلافة بعدني ثلاثون سنة
١٢١	- الله الله في أصحابي... فيبغضي أبغضهم
١٣٢	- إن الله تعالى خلق كل صانع وصنعه
١٤١	- يقول الله للمصورين يوم القيامة: أحيوا ما خلقتم
١٥٥	- صلة الرحم تزيد في العمر
١٥٨	- القدر خيره وشره من الله تعالى
١٦٥ - ١٦٦	- شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي

- ١٧٤ - أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله... على
الله تعالى
- ١٨٣ - استغفروا لأخيكم، فإنه الآن يسأل
- ١٨٤ - استنزها من البول، فإن عامة عذاب القبر منه

فهرس

الأبيات الشعرية الواردة في متن الكتاب

الصفحة	الشاعر	البحر	القافية
٥٤	مجهول	الرجز	مهرق
٦٤	مجهول	الطويل	اعتذر
٧٢	الأخطل	الكامل	دليلا
١٥٧	أبو ذؤيب الهذلي	الكامل	تُبّع
١٠٤	عبدالله بن رواحة	البسيط	بالخير

فهرس الأعلام

- (أ) ابن الراوندي: ٨٠، ٨٣، ١٢٨.
 ابن شريح: ١٢٨.
 آدم ~~بن~~: ١١٠.
 ابن فورك: ٧٦.
 أسعد أفندي: ١٩.
 أبو إسحاق الأسفراييني: ٧٨.
 الأشعري: ٦٢، ٧٦، ٨٥، ١٧٣،
 سفرائيني: ٧٨.
 أم معبد: ١٠٣.
 أبو بكر ~~بن~~: ١٠٤، ١١٣، ١١٧،
 الأوزاعي: ١٧٧.
 أنوشروان: ١٠٦.
 أبو بكر الباقلائي: ٧٧.
 أبو جهل: ١٤٢، ١٥٢.
 (ب) أبو حنيفة ~~بن~~: ١٠٦، ١٢٨، ١٤٥،
 البخاري: ١٨.
 بروكمان: ١٩.
 أبو ذؤيب الهذلي: ١٥٧.
 بشر بن المعتمر: ٨٠، ٨٣، ١٥١.
 البغدادي: ١٩.
 بلقيس: ١١١.
 (ث) أبو الهذيل: ٨٠، ٨٣.
 ثمامة بن الأشرس: ١٣٧.

(ج)

جبريل عليه السلام: ٩١.

جهم بن صفوان: ٦٧، ١٧٣.

(ح)

حاتم (الطائي): ١٠٦.

حاجي حليفة: ١٩.

الحاكم الشهيد: ١٦٩.

الحسن البصري: ١٦١.

الحسين الصالحي: ١٧٣.

الحسين بن الفضل البجلي: ١٧٣.

الحليمي: ١٧٨.

الجنائي: ١٨.

(خ)

خالد بن الوليد: ١١٢.

الخليل: ١٦٠، ١٧١.

الخوانساري: ١٧.

(د)

داود عليه السلام: ١١٠.

(ر)

الرازي: ١٤، ١٥، ١٦، ١٧.

الرّشغفي: ١٧٨.

رشيد الدين (شيخ): ١٣.

الرضي النيسابوري: ١، ١٦.

(ز)

الزبير: ١١٩.

الزركشي: ١٨.

الزركلي: ١٩.

زينب: ٦٥.

(س)

سارية: ١١١.

سعد بن أبي وقاص: ١١٩.

سفيان: ١٧٧.

سليمان عليه السلام: ١١٠، ١١١.

(ش)

الشافعي: ١٧٧، ١٧٩.

الشهرستاني: ١٦.

(ص)

الصابوني: ١٣، ١٤، ١٦، ١٧،

١٨، ١٩، ٢٧.

(ط)

طلحة: ١١٩.

(ع)

عبد الرحمن بن عوف: ١١٩.

عبد الله بن رواحة: ١٠٤.

عبد الله بن سلام: ١٠٤.

عثمان عليه السلام: ١١٨، ١١٩.

عليه: ١٠٢، ١٠٦، ١١٣،

١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠.

علي القاري: ١٨.

عمره: ٩٢، ١١١، ١١٥، ١١٨.

عيسى عليه: ٤٦، ٤٩.

(غ)

الغزالي: ١٦.

(ف)

فرعون: ١٤٢.

الفريد الغيلاني: ١٦.

الفيروزابادي: ١٨.

(ق)

القاري: ١٨.

القرشي: ١٨.

قطلوبغا: ١٨.

القلانسي: ١٢٨، ١٣٧.

قيصر: ١٠٧.

(ك)

كحالة، عمر رضا: ١٩.

الكردي، شمس الأئمة: ١٧.

كسرى: ١٠٥، ١٠٧.

الكمبي: ١٥٥.

كليم الله = موسى عليه

(م)

الماتريدي، أبو منصور: ٧٨، ٨٨،

١٠٩، ١٢٣، ١٤٦، ١٧١، ١٧٣.

مالك: ١٧٧.

محمد عليه: ٢٧، ١٥١، ١٧٩.

محمد عليه: ٦٥، ١٠١.

مريم عليه: ٤٦، ٤٩.

مسيلمة الكذاب: ١٠١.

معاوية: ١١٣.

موسى عليه: ٧٧، ٧٨، ٨٧، ١٠٩.

(ن)

النجاشي: ١٠٧.

النسفي، حافظ الدين: ١٣.

التطام: ١٣٧.

نوح عليه: ٧٥، ٧٦.

نور الدين أبو محمد = الصابوني.

(هـ)

هشام بن الحكم: ٥٢.

هند بن أبي هالة: ١٠٣.

(ي)

يوسف عليه: ١١٠، ١٧٤.

فهرس الفرق

الإباضية: ٩٩.	الجهمية: ٦٣.
الأشاعرة: ٥٨ ، ٦٤ ، ٧٩ ، ٩٩ ،	الحساب: ٣٩.
١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٤١ ،	الحشوية: ١١٠.
١٦٦ ، ١٧٠.	الحنابلة: ٧٤.
الأفلاكية (المنجمة): ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩.	الخوارج: ٩٩ ، ١١٠ ، ١١٥ ،
أهل الحق (أهل السنة الماتريدية):	١٦١ ، ١٦٧ ، ١٧٠.
١٣ ، ٤٥ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٣ ، ٧١ ،	الدهرية: ٤٠ ، ١٣٢ ، ١٨٤.
٧٦ ، ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٧ ، ١١٠ ،	الرافضة (الروافض، غلاة الروافض):
١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٧٠.	
١٢٦ ، ١٣١ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ،	السفسطائية: ٣١ ، ١٢٥.
١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ،	السمينة: ٣١ ، ٩٧.
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٧٠.	الضرارية: ١٢٥.
الباطنية: ٥٧ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ١٤٩ ،	الطائعية: ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩.
١٨٦.	الفلاسفة: ٣٩ ، ٦٧ ، ٩٣ ، ١٨٤ ،
البراهمة: ٣١ : ٩٧.	١٨٦.
الثنوية: ٤٥ ، ٤٠.	القدرية: ١٢٥ ، ١٣١ ، ١٣٧ ،
الجبرية: ١٢٥.	١٤٥ ، ١٧٣.

٧٩ ، ٧٢ ، ٧١ ، ٦٨ ، ٦٣ ، ٦٠	الكزامية: ٥١ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٧٢
١١٠ ، ٩٤ ، ٩٣ ، ٨٧ ، ٨٠	٨١ ، ٨٢ ، ٩٣ ، ١١٣ ، ١٢٥
١٣٢ ، ١٢٣ ، ١١٥ ، ١١١	١٤٧ ، ١٧٣
١٥٥ ، ١٥٣ ، ١٥١ ، ١٤٥	الماتريدية = أهل الحق.
١٦٥ ، ١٦١ ، ١٥٩ ، ١٥٧	المتكلمين: ١٢٥.
١٨٥ ، ١٨٣ ، ١٧٠ ، ١٦٧	المجوس: ٤٥.
المقنعية: ١٤٩.	المحكمة: ١٧٠.
الملاحلة: ٣٢ ، ١٧٠.	المرجئة: ١٦٢.
المنجمة = الأفلاكية.	المشبهة: ٣٢ ، ٥١ ، ١٧٠.
النجارية: ٥٢ ، ٩٣.	المعطلة: ٦٧.
النصاري: ٤٥ ، ٤٦ ، ١٠٦.	المعتزلة: ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٣ ، ٥٨.

فهرس الأماكن

العراق: ١٧١.

غزنة: ١٥.

المدينة: ١١١.

نهاوند: ١١١.

النيل: ١١١.

فهرس

الكتب الواردة في متن الكتاب

(أ)

- الأثمار الجنية (القاري): ١٨.
- الأعلام (الزركلي): ١٩.
- إيضاح المكنون (البغدادى): ١٩.

(ب)

- البحر المحيط (الزركشي): ١٨.
- البداية في أصول الفقه (الصابوني): ١٣ ، ١٨ ، ١٩.

(ت)

- تابع التراجم (قطلوينا): ١٨.
- تبصرة الأدلة (النسفي): ١٤.

(ج)

- الجواهر المضية (القرشي): ١٨.

(ط)

- طبقات الخفية (الجناتي): ١٨.
- الطبقات السنية: (التميمي): ١٨.

(ع)

العالم والمتعلم (أبو جنيفة): ١٧٣.

(ك)

كشف الأسرار (البخاري): ١٨.

الكفاية في الهداية (الصابوني): ١٣، ١٨، ١٩، ٢٧، ١١٨.

(م)

المرقاة الوفية (الفيروزابادي): ١٨.

المنتقى من عصمة الأولياء (الصابوني): ١٣.

(هـ)

الهداية في علم الكلام (الصابوني): ١٩.

فهرس المصادر والمراجع

- ١ - الآمدي: سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي (ت ٦٣١هـ) أبكار الأفكار، طبع دار الكتب المصرية.
- ٢ - الآمدي: سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي (ت ٦٣١هـ) غاية المرام في علم الكلام، ت. حسن محمود عبد الطيف، ط. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٣٩١ - ١٩٧١.
- ٣ - أحمد بن حنبل: الإمام (ت. ٢٤١هـ) كتاب الرد على الجهمية والزنادقة، ضمن «عقائد السلف»، ت. علي سامي النشار - عمار الطالبي، ط. منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧١.
- ٤ - الأزهرى: أبو منصور محمد بن أحمد (ت. ٣٧٠هـ) تهذيب اللغة، ت. عبد السلام هارون، ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٣٤٨ - ١٩٦٤.
- ٥ - الأسفرايينى: أبو المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد (ت ٤٧١هـ) التبصير في الدين، ت. محمد زاهد الكوثري، ط. الأنوار، القاهرة ١٣٥٩هـ.
- ٦ - الأشعري: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ) الإبانة عن أصول الديانة، ت. فوية حسين، دار الأنصار، القاهرة ١٣٩٧هـ.
- ٧ - الأشعري: الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٣٣٠هـ) مقالات

الإسلاميين واختلاف المصلين، عناية: هلموت ريتز، ط. فرانز شتاينر
بفيسبادن، الثانية، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

٨ - ابن أبي أصيبعة: أحمد بن القاسم (ت ٥٦٦٨ -) عيون الأبناء في
طبقات الأطباء، ت. نزار رضا، مكتبة الحياة، بيروت.

٩ - ابن الأنباري: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٧٧) الداعي
إلى الإسلام في أصول علم الكلام، ت. سيد باغجوان، ط. دار البشائر
الإسلامية، الأولى، بيروت ١٤٠٩ - ١٩٨٨.

١٠ - الإيجي: عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٥٦هـ) المواقف في
علم الكلام، عالم الكتب، بيروت.

١١ - الباقلاني: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ) كتاب البيان
عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة، تصحيح الأب رتشارد
يوسف مكارثي، المكتبة الشرقية، بيروت ١٩٥٨.

١٢ - الباقلاني: القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ) كتاب تمهيد
الأوائل وتلخيص الدلائل، ت. عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب
الثقافية، بيروت ١٤٠٧.

١٣ - البخاري: الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) خلق
أفعال العباد، ضمن «عقائد السلف»، ت. علي سامي النشار - عمار الطالبي،
ط. منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٧١.

١٤ - بخيت: الشيخ محمد بخيت المطيعي (ت ١٣٥٤ - ١٩٣٥) القول
المفيد شرح وسيلة العبيد في علم التوحيد، ط. المطبعة الخيرية الأولى،
القاهرة ١٣٢٦.

١٥ - بروكلمان: كارل (ت ١٩٥٦م) تاريخ الأدب العربي (بالألمانية)،
مطبعة بريل، ليدن ١٩٤٣.

١٦ - البزدوي: أبو اليسر محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت ٤٩٣هـ)
أصول الدين، ت. هانز بيترلنس، ط. عيسى الحلبي، القاهرة ١٣٨٣ -
١٩٦٣.

١٧ - البستاني: بطرس بن بولس (ت ١٣٠٠هـ) دائرة المعارف، بيروت
١٩٦٠.

١٨ - البغدادي: إسماعيل باشا (ت ١٣٤٠هـ) إيضاح المكنون في الذيل
على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استانبول ١٩٤٥.

١٩ - البغدادي: إسماعيل باشا (ت ١٣٤٠هـ) هدية العارفين في أسماء
المؤلفين وآثار المصنفين، ط. استانبول.

٢٠ - البغدادي: عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ) أصول الدين، ط.
استانبول ١٣٤٦ - ١٩٢٨.

٢١ - البغدادي: عبد القاهر بن طاهر (ت ٤٢٩هـ) الفرق بين الفرق، ت.
محمد زاهد الكوثري، ط. عزت العطار، القاهرة ١٣٦٨.

٢٢ - البياضي: كمال الدين أحمد (١٠٩٨هـ) إشارات المرام من عبارات
الإمام، ت. يوسف عبد الرزاق، ط. مصطفى البابي الحلبي، الأولى،
القاهرة ١٣٦٨ - ١٩٤٩.

٢٣ - البيهقي: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) الأسماء
والصفات، ط. دار الكتب العلمية، الأولى، بيروت، ١٤٠٥.

٢٤ - البيهقي: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) الاعتقاد
والهداية إلى سبيل الرشاد، ت. كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت
١٤٠٣ - ١٩٨٣.

٢٥ - البيهقي: الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ) دلائل النبوة،
ت. عبد المعطي قلعه جي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥.

- ٢٦ - الیهقی: الحافظ أبو بکر أحمد بن الحسین (ت ٤٥٨هـ) عذاب القبر
وسؤال الملکین، المکتب السلفی لتحقيق التراث الإسلامی، مصر.
- ٢٧ - الیهقی: الحافظ أبو بکر أحمد بن الحسین (ت ٤٥٨هـ) کتاب البعث
والنشور، ت. عامر أحمد حیدر، ط. مرکز الخدمات والأبحاث الثقافية،
الأولى، بیروت ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
- ٢٨ - التفتازانی: سعد الدین مسعود بن عمر (ت ٧٩١هـ) شرح العقائد لعمر
النسفی (ت ٥٣٧هـ) ط. استانبول ١٣١٠هـ.
- ٢٩ - التفتازانی: سعد الدین مسعود بن عمر (ت ٧٩١هـ) شرح المقاصد،
ت: عبد الرحمن عمیرة، ط. عالم الكتب الأولى، بیروت ١٤٠٩.
- ٣٠ - التمیمی: تقی الدین عبد القادر (ت ١٠٠٥هـ)، الطبقات السنیة فی
تراجم الحنفیة، ت. عبد الفتاح محمد الحلو، ط. دار الرفاعي الأولى،
الریاض ١٤٠٣ - ١٩٨٣.
- ٣١ - التهانوی: محمد علی الفاروقی (ت ١١٥٨هـ) کشاف اصطلاحات
الفنون، ت. لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتألیف، القاهرة
١٩٦٣م/ وطبعة الهند.
- ٣٢ - ابن تیمیة: تقی الدین أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ت ٧٢٨هـ)
بغیة المرتاد، ت. موسى بن سليمان الدرویش، ط. مكتبة العلوم والحکم،
الأولى، المدينة المنورة ١٤٠٨ - ١٩٨٨.
- ٣٣ - ابن تیمیة: تقی الدین أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ت ٧٢٨هـ)
بیان تلیس الجهمیة فی تأسیس بدعهم الکلامیة، ت. محمد بن عبد الرحمن
ابن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة ١٣٩١.
- ٣٤ - ابن تیمیة: تقی الدین أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ت
٧٢٨هـ) درء تعارض العقل والنقل، ت. محمد رشاد سالم، ط. جامعة

الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٢ - ١٩٨٢.

٣٥ - ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ت ٧٢٨هـ) مجموعة الرسائل الكبرى، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة ١٣٨٦هـ.

٣٦ - ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ت ٧٢٨هـ) مذهب السلف القويم في تحقيق مسألة كلام الله الكريم، ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل»، لجنة التراث العربي.

٣٧ - ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم (ت ٧٢٨هـ) منهاج السنة النبوية، ت. محمد رشاد سالم، ط. مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤٠٩ - ١٩٨٩.

٣٨ - الجرجاني: السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد (ت ٨١٦هـ) التعريفات، مطبعة أحمد كامل، استانبول ١٣٢٧هـ. ومعه «متممات التعريفات»، لمؤلف مجهول.

٣٩ - الجرجاني: السيد الشريف أبو الحسن علي بن محمد (ت ٨١٦هـ) شرح المواقف، مطبعة الحاج مُحرم أفندي، استانبول ١٢٨٦هـ.

٤٠ - الجزيري: عبد الرحمن بن محمد (ت ١٣٦٠ - ١٩٤١) توضيح العقائد في علم التوحيد، مطبعة الإرشاد، مصر ١٩٤٥م.

٤١ - الجويني: إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله، أبو المعالي (ت ٤٧٨هـ) الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ت. محمد يوسف موسى، وزميله، مكتبة الخانجي، مصر ١٣٦٩.

٤٢ - الجويني: إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله، أبو المعالي (ت ٤٧٨هـ) العقيدة النظامية، ت. محمد زاهر الكوثري، مطبعة الأنوار، القاهرة ١٣٦٧.

٤٣ - حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله (١٠٦٧هـ) كشف الظنون عن
أسماء الكتب والفنون، استانبول ١٩٤١.

٤٤ - ابن حجر: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت
٨٥٢هـ) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي،
تصحيح مُحِب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، القاهرة.

٤٥ - الحديدي: د. محمد أبو النور، عصمة الأنبياء والرد على شبه
الموجهة إليهم، مطبعة الإمامة، مصر.

٤٦ - ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)
الفصل في الملل والأهواء والنحل، ت. عبد الرحمن عميرة وزميله، مكتبات
عكاظ، السعودية ١٤٠٢.

٤٧ - ملا حسين: ابن اسكندر الحنفي (ت. نحو ١٠٨٤هـ) الجوهرة المنيقة
في شرح الوصية للإمام أبي حنيفة، ط. الشؤون الدينية، قطر.

٤٨ - أبو حنيفة: الإمام نعمان بن ثابت الكوفي (ت ١٥٠هـ) الفقه الأكبر،
المطبوع ضمن «الرسائل الخمس» للإمام، دار القلم للنشر مع الترجمة
التركية، استانبول ١٩٨١م.

٤٩ - الدواني: جلال الدين (ت ٩٠٨هـ) شرح العقائد العضدية، ت.
سليمان دنيا، بعنوان: «الشيخ محمد عبده بين الفلاسفة والمتكلمين»، ط.
عيسى الحلبي، القاهرة ١٣٧٧.

٥٠ - الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ) سير أعلام
النبلأ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠١.

٥١ - الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦هـ) الأربعين
في أصول الدين، ت. أحمد حجازي السقا، الكليات الأزهرية، مصر.

٥٢ - الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦هـ) أساس

التفديس، ت. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٣ - الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦هـ) لوامع
البيانات شرح أسماء الله تعالى والصفات، ت. طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة
الكليات الأزهرية، ١٣٩٦ - ١٩٧٦.

٥٤ - الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين (ت ٦٠٦هـ) محصل
أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين، ت. طه عبد
الرؤوف سعد، ط. دار الكتاب العربي، الأولى، بيروت ١٤٠٤ - ١٩٨٤.

٥٥ - ابن رشد: القاضي محمد بن أحمد (٥٩٥) مناهج الأدلة على عقائد
الملة، ت. محمود قاسم، ط. مكتبة الانجلو المصرية، الثانية.

٥٦ - الزركلي: خير الدين (ت ١٩٧٦م) الأعلام، ط. دار العلم للملايين،
الخامسة، بيروت ١٩٨٠م.

٥٧ - السمرقندي: شمس الدين (ت بعد ٦٩٠هـ) الصحائف الإلهية، ت.
أحمد عبد الرحمن الشريف، الكويت ١٤٠٥هـ.

٥٨ - السمرقندي: علاء الدين أبو بكر محمد بن أحمد (ت ٥٣٩هـ) ميزان
الأصول في نتائج العقول، ت. محمد زكي عبد البر، مطابع الدوحة القطرية،
١٤٠٤ - ١٩٨٤.

٥٩ - ابن سينا: أبو علي الحسين (ت ٤٢٨هـ) رسالة الأضحوية في المعاد،
ت. حسن عاصي، بيروت ١٤٠٤ - ١٩٨٤.

٦٠ - ابن سينا: أبو علي الحسين (ت ٤٢٨هـ) النجاة في الحكمة...، ط.
الكردي، الثانية، القاهرة ١٣٥٧ - ١٩٣٨.

٦١ - الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) الملل
والنحل، ت. عبد العزيز محمد الوكيل، ط. الحلبي، القاهرة ١٣٧٨هـ.

- ٦٢ - الشهرستاني: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت ٥٤٨هـ) نهاية الإقدام في علم الكلام، ت. الفرد جيوم، مكتبة المثنى، بغداد.
- ٦٣ - الطناحي: د. محمود محمد. الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٦ - ١٩٨٥.
- ٦٤ - الطوسي: نصير الدين (ت ٦٧٢هـ) تلخيص المحصل للرازي، ت. طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٤هـ، مع المحصل.
- ٦٥ - الظواهري: محمد الحسيني. التحقيق التام في علم الكلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٥٧هـ.
- ٦٦ - أبو عذبة: الحسن بن عبد المحسن (ت بعد ١١٧٢هـ) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية، ت. عبد الرحمن عميرة، ط. عالم الكتب، الأولى، بيروت ١٤٠٩ - ١٩٨٩.
- ٦٧ - الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ) المنقذ من الضلال، ت. عبد الحلیم محمود، دار الكتب الحديثة، ١٣٩٤هـ.
- ٦٨ - الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد (ت ٥٠٥هـ) تهافت الفلاسفة، ت. سليمان دنيا، ط. دار المعارف، الخامسة، مصر.
- ٦٩ - الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) القاموس المحيط، ط. مصطفى البابي الحلبي، الثانية، ١٣٧١هـ.
- ٧٠ - القاري: علي بن سلطان محمد الهروي المكي، الشهير بملا علي القاري، (ت ١٠١٤هـ) الأثمار الجنية في طبقات الحنفية، سيطلع بتحقيقنا قريباً بإذن الله.
- ٧١ - القاري: علي بن سلطان محمد الهروي المكي، الشهير بملا علي القاري، (ت ١٠١٤هـ) شرح الفقه الأكبر، ط. دار الكتب العلمية، الأولى، بيروت ١٤٠٤هـ.

- ٧٢ - القاسمي: جمال الدين (ت ١٣٣٢ - ١٩١٣) تاريخ الجهمية والمعتزلة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩٩هـ.
- ٧٣ - القاضي عبد الجبار: أبو الحسن أحمد بن حنبل الأسدآبادي (ت ٤١٥هـ) شرح الأصول الخمسة، ت. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبه، القاهرة ١٩٦٥م.
- ٧٤ - ابن قطلوبغا: قاسم بن قطلوبغا (ت ٨٧٩هـ) تاج التراجم، تحقيق محمد خير يوسف، ١٩٩٢.
- ٧٥ - ابن قطلوبغا: قاسم بن قطلوبغا (ت ٨٧٩هـ) شرح المسامرة لابن الهمام، المطبوع بهامش «المسامرة»، المطبعة الأميرية، مصر ١٣١٧هـ.
- ٧٦ - كحالة: عمر رضا. معجم المؤلفين، تراجم مصنفى الكتب العربية، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٧٧ - الكستلي: مصلح الدين مصطفى (٩٠١هـ) حاشية الكستلي على شرح العقائد للسعد، استانبول ١٣٠٧هـ.
- ٧٨ - الكلنبوي: المحقق إسماعيل (ت ١٢٠٥هـ) حاشية الكلنبوي على الجلال من العقائد، ط. استانبول ١٣٠٧هـ.
- ٧٩ - الكمال بن أبي الشريف: محمد بن محمد المقدسي (ت ٩٠٦هـ) المسامرة بشرح المسامرة لابن الهمام، المطبعة الأميرية، بولاق ١٣١٧هـ.
- ٨٠ - الماتريدي: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود (ت ٣٣٣هـ) كتاب التوحيد، ت. فتح الله خليف، طبعة مصورة، استانبول ١٩٧٩م.
- ٨١ - محمد أيوب علي: الدكتور، عقيدة الإسلام والإمام الماتريدي، المؤسسة الإسلامية، بنغلادش ١٤٠٤هـ.
- ٨٢ - ابن منظور: جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن عبد القوي (٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر - دار بيروت، ١٣٨٨ - ١٩٦٨.

- ٨٣ - النسفي: حافظ الدين عبدالله بن أحمد (ت ٧١٠هـ) الاعتماد في الاعتماد، مخطوط بمكتبة فاتح باستانبول، تحت رقم ٣٠٨٥.
- ٨٤ - النسفي: أبو المعين ميمون المكحولي (ت ٥٠٨هـ) تبصرة الأدلة، طبعة المعهد الفرنسي بدمشق.
- ٨٥ - النسفي: أبو المعين ميمون المكحولي (ت ٥٠٨هـ) التمهيد لقواعد التوحيد، ت. حبيب الله حسن أحمد، دار الطباعة المحمدية، مصر ١٤٠٦هـ.
- ٨٦ - النشار: الدكتور علي سامي نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط. دار المعارف الثانية، مصر.

الفهرس

الإهداء	٥
مقدمة	٧
عملي في الكتاب	٨
ترجمة المؤلف	١٣
وفاته	١٧
من تلامذته:	١٧
نسبة الكتاب ومكانته وتسميته:	١٨

صُورُ الْمَخْطُوطَات

الْقَوْلُ فِي مَدَارِكِ الْعِلْمِ	٢٩
الْقَوْلُ فِي حَدُوثِ الْعَالَمِ، وَوُجُودِ الصَّانِعِ تَعَالَى	٣٧
الْقَوْلُ فِي تَوْجِيدِ الصَّانِعِ جَلَّ وَعَلَا	٤٥
الْقَوْلُ فِي تَنْزِيهِ الصَّانِعِ جَلَّ جلاله عَنْ سِمَاتِ الْحَدَثِ	٥١
ولأهل السنة فيه طريقان:	٥٥
الْقَوْلُ فِي صِفَاتِ اللَّهِ (تَبَارَكَ وَ) تَعَالَى	٥٧
وقسّمت الأشعرية الصفات على قسمين:	٥٨

٦٣	الْقَوْلُ فِي الْأَسْمِ وَالْمُسَمَّى
٦٧	الْقَوْلُ فِي نَقْيِ التَّشْبِيهِ
٦٧	واختلف القائلون فيما يثبت به المماثلة
٧١	الْقَوْلُ فِي أَرْزَلِيَّةِ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى
٧٦	كلامه (جلّ جلاله) مسموع أم غير مسموع؟
٧٩	الْقَوْلُ فِي التَّكْوِينِ وَالْمُكُونِ
٧٩	التكوين إذا لم (يقم) بذات الله تعالى، هل هو عين المكون أو غيره؟
٨٦	الْقَوْلُ فِي جَوَازِ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى
٩٢	فَصْلٌ
٩٣	الْقَوْلُ فِي الْإِرَادَةِ
٩٧	الْقَوْلُ فِي إِبْطَالِ الرُّسَالَةِ
١٠١	فَصْلٌ
١٠١	والدلالة على ذلك من وجهين:
١٠٩	الْقَوْلُ فِي خَوَاصِّ الثُّبُوتِ
١١١	الْقَوْلُ فِي الْكِرَامَةِ
١١٣	الْقَوْلُ فِي الْإِمَامَةِ وَتَوَابِعِهَا
١١٧	فَصْلٌ فِي إِمَامَةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ - ﷺ - أَجْمَعِينَ
١٢٣	الْقَوْلُ فِي مَسَائِلِ التَّعْدِيلِ وَالتَّجْوِيزِ
١٢٥	الْقَوْلُ فِي الْأِسْتِطَاعَةِ
١٢٨	ثم القدرة الواحدة هل تصلح للضدين أم لا؟
١٣١	الْقَوْلُ فِي خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ
١٣٧	الْقَوْلُ فِي إِبْطَالِ التَّوَلِيدِ
١٤١	الْقَوْلُ فِي تَكْلِيفِ مَا لَا يُطَاقُ
١٤٥	الْقَوْلُ فِي تَعْيِيمِ الْمُرَادَاتِ

١٤٩	فَصْلٌ
١٥١	الْقَوْلُ فِي نَفْيِ الْأَصْلَحِ
١٥٣	الْقَوْلُ فِي الْأَرْزَاقِ
١٥٥	الْقَوْلُ فِي الْأَجَالِ
١٥٧	الْقَوْلُ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ
١٥٩	الْقَوْلُ فِي الْهُدَى وَالْإِضْلَالِ
١٦١	الْقَوْلُ فِي أَصْحَابِ الْكِبَائِرِ
١٦٥	فَصْلٌ
١٦٥	الأولى : مسألة الشُّفاعة ؛ فإنها ثابتةٌ ، عندنا خلافاً للمعتزلة
١٦٦ ..	والثانية : مسألة العفو عن الكُفر والشُّرك ، هل يجوز في العقل أم لا ؟
١٦٧ ..	والثالثة : أنَّ الظُّلم والسُّفه والكذب ، هل هي مقدَّرة لله تعالى أم لا ؟
١٦٧	أَمَّا الرَّابِعَةُ : بَيَانُ الْكِبَائِرِ وَالصُّغَائِرِ
١٦٩	الْقَوْلُ فِي الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ
١٧٣	الْقَوْلُ فِي حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ
١٧٧	الْقَوْلُ فِي إِيْمَانِ الْمُقَلِّدِ
١٧٩	فَصْلٌ
١٨٣	الْقَوْلُ فِيْمَا وَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ بِالسَّمْعِ
١٨٣	وعذاب (بالقبر) (عندنا حقٌّ ثابتٌ) ، خلافاً للمعتزلة
١٨٤	وكذا بعث الأجساد ، وإحياءها يوم القيامة حقٌّ ثابتٌ
١٨٥	وكذا الميزان حقٌّ (ثابتٌ)
١٨٥	وكذا الصُّراط حقٌّ
١٨٥	والجنة والنَّار مخلوقتان اليوم عندنا ، خلافاً للمعتزلة
١٦٧	فهرس الآيات القرآنية
١٩٣	فهرس الأحاديث النبوية

١٩٥	فهرس الأليات الشعرية الواردة في متن الكتاب
١٩٧	فهرس الأعلام
٢٠١	فهرس الفرق
٢٠٣	فهرس البلدان والأماكن
٢٠٥	فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب
٢٠٧	فهرس المصادر والمراجع
٢١٧	فهرس المحتويات

هذا الكتاب

هذا كتاب من تراثنا الكلامي بطابعه الفلسفي، مفيد في موضوعه، من حيث النظر في عقائد التوحيد، من وجهة نظر الحنفية الماتريدية، ثري بمادته، محكم بينائه، واضح بأسلوبه.

يحتاج إليه المبتدئ؛ إذ يقدم إليه ما يريده بأيسر منهج ممكن، ويرغب به المتصلع، لما احتوى فيه من إثارة لكبرى قضايا الكلام، في إطارها الجدلي مع ما يلزم من التعمق والتدقيق.

